دراسة المصوتات العربية عند الفلاسفة المسلمين

فرح ديدوح

منشورات
المجلس الأعلى للغة العربية

دراسة المصوتات العربية عند الفلاسفة المسلمين

الأستاذة/ فرح ديدوح

- **كتاب**: دراسة المصوتات العربية عند الفلاسفة المسلمين
- **إعداد:** أ. فرح ديدوح
- **قياس الصفحة:** 23/15.5
- **عدد الصفحات: 168**

الإيداع القانوني: 2014-5057
ردمك: 978-9947-821-78-7

المجلس الأعلى للغة العربية
شارع فرونكلين روزفلت - الجزائر
ص. ب: 575 الجزائر _ ديدوش موراد
الهاتف: 021.23.07.24/25
الفاكس:021.23.07.07

تقوم اللغة على جملة من الأنظمة متكاملة الأداء، انطلاقا من أدقّ جزء فيها ؛ الذي هو الصوت إلى الوحدات الكلامية الكبرى، وفي هذا يقول **الجاحظ** (ت 255 هـ): "**الصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يُوجد التأليف، ولن تكون حركات اللّسان لفظا، ولا كلاما موزونا ولا منثورا، إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف.**"[1]

ما قاله الجاحظ يبرز لنا بوضوح أهمية الصوت؛ فهو اللبنة الأساس في البناء اللغوي وفي الكلام، وبالتالي في التّواصل اللغوي، يقول **ابن جني** (ت 392 هـ) معرّفا اللغة:"**أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم** ."[2]وعليه، فالأصوات هي مادة الألفاظ وأساس الكلام المركب.

لقد تنبّه علماؤنا القدامى إلى أهمية الأصوات في الدراسات اللغوية بنواحيها المتعددة:الصرفية، والنحوية، والدلاليّة، والجانب الصوتي هو الأول والأهم، وهو المقدمة لدراسة باقي المستويات وبخاصة المستوى الصرفي؛ الذي يعتمد اعتمادا يوشك أن يكون تاما المعلوماتِ الصوتية، كذلك لعلم الأصوات تأثير واضح في الدراسات النحوية، ومما يدل على هذا التأثير غنى المؤلفات النحوية بالبحوث الصوتية.[3]

1- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ)، البيان والتبيين، وضع حواشيه: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 2003، 1/ 63.

2- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت 392 هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان، 2006، ص: 67.

3- يُنظر: علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، دار غريب، القاهرة ـ مصر، 2005، ص: 244 – 247.

ولم يُترك البحث في هذا المجال للّغويين وحدهم، وإنما احتضنه جملة من العلماء على اختلاف تخصصاتهم، وهذا للارتباط الوثيق بين العلوم وحاجة بعضها لبعض.

كما لم ينشأ هذا العلم دونما مقدمات أو أسباب، وإنما كانت له بواعث استلزمت نشأته، سنحاول تبيّنها عند الفلاسفة المسلمين.

أولا: أصول التفكير الصوتي عند الفلاسفة المسلمين:

بعد ظهور الإسلام وانتشاره، واختلاط العرب بغيرهم من الأمم والشعوب أثّروا في غيرهم وتأثروا بهم، فمنذ القرن الأول للهجرة بدأ لقاء العرب بحضارة غيرهم؛ فاصطدموا بها اصطداما فكريا عنيفا،كان من آثاره حدوث انقلاب فكري وثقافي ولغوي، واجتماعي، فتسرَّبت الفلسفة اليونانية والعلم اليوناني إلى بلاد المسلمين عن طريق التّزاوج لّما فتحوا بلاد الأعاجم. [1]

هؤلاء الفاتحون المسلمون لم يكونوا أكثر من محاربين متحمسين لعقيدتهم، ولم يُؤْثر عنهم انصراف إلى تفكير فلسفي، فاكتفوا بأن أخذوا عن أهل البلاد لغتهم وقانونهم الجاري بينهم،وأطرافا من أنظمتهم، ولهذا لم يظهر بينهم فلاسفة حتى القرن الثالث الهجري. [2]يقول **آسين بلاثيوس:"إنّ الفلسفة لم تدخل الأندلس صريحة ظاهرة بوجه مستقر، وإنّما وفدت عليه في صحبة العلوم التطبيقية، الفلك،والرياضيات، والطب، وتسرّبت إليه في ثنايا بِدَع الاعتزال، وبعض مذاهب الباطنيّة،كما اجتهد أصحاب هذه المذاهب**

1- يُنظر: محمد عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية "موسوعة فلسفية شاملة" منشورات عويدات، بيروت، باريس، 2000، 1/ 230.

2- يُنظر: آنخل خانثالت بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله إلى العربية : حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ـ مصر، 2006، ص: 367.

التي كان الناس يتحاشونها في النجاة بأنفسهم من تعقّب الفقهاء وأهل الدّولة بالظهور في مظهر التّديّن والتّنسّك ." [1]

لكن بعد ظهور المراكز الثقافية المستقلّة ازداد انتشار الثقافة اليونانية، وكان من هذه المدارس: الإسكندرية في مصر، وأنطاكيا في سوريا، وبخاصة مدرسة **جنديسابور** قرب الكوفة ؛والتي كانت تدرَّس فيها الثقافات اليونانية والفارسية والهندية، وكانت الكتابات اليونانية تترجم إلى اللّغات السريانية، وهنا ظهرت أوائل الإشارات للتأثير اليوناني [2]، وكانت اللغة السريانية حلقة اتصال بين اللغة اليونانية واللغة العربية. [3]

نشطت حركة الترجمة أكثر عندما أخذ المسلمون في مواجهة الملل والنحل الطاعنة في دينهم، فقد استوجب ذلك التسلح بسلاح خصومهم من فلسفة ومنطق؛ ليجادلوهم جدلا علميا؛ ردّا على ما أثاروه حول الإسلام من شكوك. [4]

1- نفسه، ص: 370.

2- شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، دت، ص : 21، ويُنظر : كيس فيرستينغ، عناصر يونانية في الفكر اللغوي العربي، ترجمة: محمد كناكري، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2003، ص: 38، 40، وينظر : DeLacyO'eary، علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ترجمة : وهيب كامل، زكي علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دط، 1962، ص: 214، 215، 218، 220 .

3- كانت العلوم تنقل من اليونانية إلى السريانية أولا، ثم من السريانية إلى العربية، يُنظر: عصام الدين محمد علي، بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة من أواخر القرن الأول وحتى منتصف القرن الرابع الهجري، منشأة المعارف، الإسكندرية ـ مصر، 1986، ص: 37 – 38، ومحمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية " مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية "، مكتبة غريب، الفجالة ـ القاهرة، ص : 177 ـ 178 .

4- محمد عطية الأباشي، الآداب السامية مع بحث مستفيض عن اللغة العربية وخصائصها وعروقها وأسرار جمالها، ط2، 1984، ص: 74، ويُنظر: شابحة حمدون، أثر الترجمة في الحركة الثقافية العلمية في العهدين الأموي والعباسي إلى أيام المأمون، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد : 8، ص: 187.

ولكن ما تنبغي الإشارة إليه، هو أنّ المترجمين والنقلة كانوا غير متخصّصين؛ إذ كان معظمهم من الأطباء، وبخاصة في أوّل عهد العرب بالترجمة؛ لذلك، فقد وُجدت أخطاء وعيوب في النقل إلى العربية؛ حيث إنّه إذا أشكل على الناقل فهم نص من النصوص عمد إلى حذف ما يشكل عليه، أو يستعيض عنه بقول فيلسوف آخر. [1]

كذلك ما زاد من صعوبة الترجمة وتعقيدها، الفوارق بين تركيب الجملة في اللغتين: العربية واليونانية، وعدم إيجاد الألفاظ والتعابير الفلسفية المناسبة في العربية؛ لافتقار اللغة أحيانا إليها، وهذا ما أدّى إلى عدم التوصل إلى ضبط أبعاد المسائل بكلمات مقابلة، فلجأوا إلى طريقة شرح المعاني عوضا عن ترجمتهاأحيانا . [2]

تنبّه الفلاسفة المسلمون إلى هذه العيوب التي لحقت الترجمة، يقول **الفارابي (ت 339 هـ) :**

"منها أن يجعلوا لهذين المعنيين اسما بالعربية، فإنّ الأسطقس سمّوه : العنصر، وسمّوا الهيولى: العنصر أيضا ." [3]

وقال **البيروني (ت440هـ):"لم تبلغ عبارة المترجمين فيها إلى التّعريف التام، فلذلك وَصَلْنا منها إلى الاسم دون المعنى ."** [4] وقال **ابن حزم** (ت 465 هـ) في حديثه عن تشخيص ظاهرة كراهية المنطق السائدة بين فقهاء عصره:**"فلمّا**

1- من الفلسفة الإسلامية إلى الفلسفة اليونانية، 1/ 296، وتقويم الفكر النحوي، ص: 47 – 48.

2- يُنظر: ابن رشد، تلخيص منطق أرسطو، تحقيق : جرار جهامي، دار الفكر اللبناني، بيروت ـ لبنان، ط1، 1992، 1/ 87 – 88 (مقدمة المحقق).

3- الفارابي، أبو نصر(ت 339 هـ)، كتاب الحروف، تحقيق : محسن مهدي، دار المشرق، بيروت ـ لبنان، 1970،ص: 159.

4 ـالبيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت 440 هـ)، في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد،دط، دت، ص: 26.

نظرنا في ذلك، وجدنا بعض الآفات الدّاعية إلى البلايا الـتي ذكرنـا، تعقيـد الترجمة فيها، وإيرادها بألفاظ غير عامّية ولا فاشية الاستعمال، ولـيس كـل فهم تصلح له كل عبارة."[1]

وقال **ابن تيمية (ت 728 هـ)** :**"و إن كان كثير مـن الترجمـة لا يـأتي بحقيقة المعنى الذي في تلك اللغة؛ بل بما يقاربه؛ لأنّ تلك المعاني لا تكون لها في اللغة الأخرى ألفـاظ تطابقهـا علـى الحقيقـة؛ لاسـيما في لغـة العـرب، فإنّ ترجمتها في الغالب تقريب."**[2]

يتضح لنا مما تقدّم مبلغ العناء الذي لقيـه الفلاسـفة المسـلمون عنـدما اطّلعوا على الكتب المترجمة، مما حال بيـنهم وبـين نقلـها كمـا هـي في لغتهـا الأصلية؛ لذلك فإنهم أخذوا منها المنطق فقط خدمة للغة العربية، مع أنّ هذا المنطق لم يكن محلّ إعجاب عند النحاة والعلماء جميعا، وقد سجّل **أبو حيـان التوحيدي(ت 414 هـ)** المناظرة الشهيرة بين **أبي سعيد السيرافي ومتـى بـن يونس (ت 328 هـ)**، يقول **السيرافي**: **"إذا كان المنطق وضعه رجل من اليونان على لغـة أهلها،واصـطلاحهم عليهـا، ومـا يتعارفونـه بهـا، مـن رسـومها وصفاتها، فمن أين يلزم التّرك والهند، والفرس، والعـرب، أن ينظـروا فيـه ويتّخذوه قاضيا وحكما لهم وعليهم ."**[3]

1- ابن حزم (ت 465 هـ)، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تحقيق: إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان، ط1، 1900، ص: 3.

2- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحميد بن عبد السلام الحراني الدمشقي (ت 728 هـ)، الرّد على المنطقيين، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 2003، ص: 42 – 43.

3- التوحيدي، أبو حيان (ت 414 هـ)، الإمتاع والمؤانسة، اعتنى به : هيثم خليفة الصعيمي، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، لبنان، 1/ 91.

إنّ كلاّ من العربية واليونانية اعتمدتا المنطق في دراسة اللغة، لكن هـذا المنطق مختلف في العربية عنه في اليونانية، يقول **السيرافي:** "**على أنّ ههنا سرّا ما علق بك، ولا أسفر لعقلك، وهو أن تعلم لغة من اللغـات لا تطـابق لغـة أخرى من جميع جهاتهـا ؛ بحـدود صـفاتها في أسمائهـا وأفعالها،وحروفهـا وتأليفها، وتقديمها وتأخيرها، واستعاراتها وتحقيقها، وتشـديدها وتخفيفهـا، وسعتها وضيقها، ونظمها ونثرها، وغير ذلك مما يطول ذكره، وما أظن أحدا يدفع هـذا الحكـم أو يشـكّ في صـواب ممـن يرجـع إلى مَسـكة مـن عقـل أو نصيب من إنصاف .**"[1]

أقرّ بعض الفلاسفة المسلمين بالعلاقة الوثيقة بين النحو والمنطق، وهذا ما ذكره **الفارابي** في قوله: "**وهو؛ أي: المنطق، يشارك النحو بعض المشاركة بما يعطي من قوانين وألفاظ، يفارقه في أن علم النحو إنما يعطي قوانين تخص أمّة ما، وعلم المنطق إنما يعطي قوانين مشتركة، تعمّ ألفاظ الأمم كلّها.**"[2]

وأكّد هذه العلاقة أيضا ابن حزم في أثناء حديثه أو دفاعه عن المنطق بقوله : "**فأما علم النحو واللغة والخبر وتمييـز حقّـه مـن باطلـه، والشـعر والبلاغـة والعروض، فلها في جميع ذلك تصرّف شديد، وولوج لطيف، وتكـرر كـثير ونفع ظاهرين .**"[3]

يظهر مما تقدم أنّ الفلاسفة المسلمين اطلعوا على الفكر والثقافة اليونانيين، وأخذوا منهما المنطق خدمة للغة العربية، بما يتماشى وطبيعة

1- الإمتاع والمؤانسة، ص: 1/ 94.

2- ابن رشد، تلخيص منطق أرسطو، تحقيق: جرار جهامي، دار الفكـر اللبـان، بـيروت ـ لبنـان، ط1، 1992، نقلا عن الفارابي، كتاب إحصاء العلوم، ص: 60 - 61.

3- التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، ص: 10.

قواعدها، ولم يفرضوه عليها فرضا، والدليل على ذلك أنّ علوم النحو واللغة والعروض صُنّفت في الإسلام قبل أن يعرّب المنطق اليوناني .[1]

إنّ المطّلع على مؤلفات الفلاسفة المسلمين يلاحظ اطلاعهم على الفكر اليوناني، وحتى على الثقافة اليونانية، فكثيرا ما نجد عبارة "قال اليوناني"، "قال إقليدس"، "وقد تكلم إقليدس"، "اعلم أنّ اليونانيين."[2]

كذلك استفاد الفلاسفة المسلمون من مادة غنية جدا، وهي التي أخذوها عن النحاة واللغويين العرب، فكثيرا ما كانوا يستشهدون بآرائهم، يظهر هذا في مؤلفات أغلبهم، نحو قول **إخوان الصفا**[3]: **"والأصل في هذه الكلمة موضوعها في اللغة على ما أجمع عليه النحويون ."**[4]و قول **الباقلاني (ت403هـ)**: **"وقد ضرب الخليل لذلك مثلا، فقال: الكلام إذا تنافر وبعد البعد الشديد فهو بمنزلة الطّفر والخروج عن الشيء المعتدل ."**[5]

1- ابن تيمية، نقض المنطق، تحقيق: محمد بن عبد الرزاق حمزة وسلمان بن عبد الرحمن الصنيع، تصحيح : محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ـ مصر، ط1، 1951، ص: 169.

2- يُنظر: إخوان الصفا، الرسائل، دار صادر، بيروت ـ لبنان، دط، دت، 3/ 89، والباقلاني، أبو بكر (ت 403 هـ)، نكت الانتصار لنقل القرآن، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، القاهرة ـ مصر، 1971، ص: 251، وفي تحقيق ما للهند من مقولة في العقل مقبولة أو مرذولة، ص: 18، ويُنظر: فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسين بن أبي علي التميمي البكريالشافعي (ت 604 هـ)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة ـ مصر، 2003، 8/ 74.

3ـ هم جماعة من الفلاسفة المسلمين، جمع بينهم الودّ والوفاء كما يفهم من اسمهم، دوّنوا إحدى وخمسين رسالة في الفلسفة، شملت الرياضيات والمنطق والطبيعيات والنفس والأخلاق والدين، ينظر: عبد المنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مكتبة مادبولي، ط2، مزيدة ومنقّحة، دت، 1/ 114 .

4- الرسائل، 3/ 100.

5- نكت الانتصار لنقل القرآن، ص: 265.

كـذلك أبـو **العـلاء المعـري (ت449هــ)** [1] **وابـن السـيد البطليوسـي (ت521هـ)** [2]أكْثَرَا من الاستشهاد بأقوال النحاة واللغويين العـرب، وحتـى أنهمـا عرضـا الاخـتلاف بـين القـراء، بـل أكثـر مـن ذلـك، كانـا مطّلعـين على الاختلافات اللغوية بين مذهبي : الكوفة والبصرة، وعلى اختلاف لهجة الحجاز عن لهجة تميم . [3]

أمّا **فخر الدين الرازي (ت604هــ)** فقـد اسـتفاد أيضـا مـن الـتراث النحوي القديم في دراسته للأصوات، يتمثـل ذلـك في نقلـه لكـثير مـن آراء اللغويين، نحو قولـه: "**ذكر علي بـن عيسـى الرُّمـاني عـن النحـاة أنّ مخـارج الحروف ستة عشر .**" [4]و نحو قوله أيضـا : "**أجمعـوا علـى أنـه لا يُمـال لفـظ الرحمن، وفي جواز إمالته قولان للنحويين: أحدهما أنه يجـوز، ولعلّـه قـول سيبويه .**" [5]

1ـ شاعر فيلسـوف، ولـد وتـوفي بمعـرّة النعمـان، ارتـاد مكتبـة أنطاكيـة يقـرأون عليـه تعـاليم اليونـان والمسيحيين، طابق بين الفلسفة وحياته، له: الفصول والغايات، رسالة الغفـران، واللزوميـات، موسـوعة الفلسفة والفلاسفة، 2/ 1330، 1332 .

2ـ هو من أهل بطليوس، كان عالما بالآداب واللغات، وكان ثقة حافظا ضابطا، له تـآليف عـدّة، منهـا : الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب، الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة، كتـاب شـرح الموطّـأ، شـرح سـقط الزند، ينظر : القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، إنباه الـرواة علـى أنبـاه النحـاة، تحقيـق : محمد أبو الفضل إبراهيم، المطبعة العصرية، الدار النموذجية ،بيروت ـ لبنـان، ط1، 2004، 2/ 141 ـ 142.

3- يُنظر : المعري، أبو العلاء (ت 449هـ)، رسالة الصاهل والشاحج، تحقيق: عائشة عبد الرحمن بنـت الشـاطئ، دار المعـارف، القـاهرة ـ مصـر، ط2، 1984، ص: 254 – 271 – 270 – 254 – 447، ويُنظرذ1: البطليوسي، أبو محمد عبد الله بن السيد (ت 521 هــ) ، الاقتضـاب في شـرح أدب الكتّـاب، تحقيق: مصطفى السقا، ومحمد عبد المجيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996، 2/ 327 ـ 328 ـ 329 ـ 330، 333، 262.

4- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسـين، نهايـة الإيجـاز في درايـة الإعجـاز، تحقيـق: نصـر الله حاجي، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ط1، 2004، ص: 52.

5- التفسير الكبير، 1/ 109.

وبالنسبة **لمحي الدين بن عربي (ت638هـ)**، فإنه كثيرا ما كان يقارن بين آراء النحاة وآراء المنطقيين .[1]

هناك قضية من المهم الإشارة إليها، وهي أنّ الفلاسفة المسلمين كانوا على اطلاع وإلمام بالقضايا التي أُثيرت حول القرآن الكريم وقراءاته ؛ إذ كثيرا ما كانوا يشيرون إليها ويستطردون الحديث فيها، حتى إنَّ منهم من ألّف فيها، مثل **الباقلاني والقاضي عبد الجبار الأسدي (ت415هـ)** [2]، فقد ناقشا هذه القضايا في ردّهم على من قال بخلق القرآن [3]، **ولابن تيمية** رسالة في الأحرف السبعة، أوّلها : "**ما يقول سيدي ـ جمع الله له خير الدنيا والآخرة ـ في قول النبي صلى الله عليه وسلم: أُنزل القرآن على سبعة أحرف"، ما المراد بهذه السبعة**"[4] فقد أفتى **ابن تيمية** في كثير من القضايا التي كانت محل جدال ونقاش بين علماء عصره، ونلاحظ مثل هذا الاهتمام أيضا في مجموع الفتاوى ؛ إذ تحدث عن الأصوات، وعن أحكامها داخل

1- ابن عربي (ت 638 هـ)، الفتوحات المكية، تحقيق: عثمان يحيى، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالتعاون مع معهد الدراسات العليا في السوربون، الهيئة المصرية العامة للكتاب،دت، دط، 1994، 12/ 169، 170، 2/ 85.

2ـ هو عبد الجبار أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين، قاض أصولي، كان شيخ المعتزلة في عصره، له : تنزيه القرآن عن المطاعن، والأمالي، والمجموع في المحيط بالتكليف، ينظر : الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان ن ط7، 1986، 3/ 273 ـ 274 .

3ـ ينظر : الباقلاني، أبو بكر بن الطيب البصري (ت403هـ)، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق وتعليق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، دط، دت، ص : 78 وما بعدها .

4- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن محمد (ت 728 هـ)، رسالة في الأحرف السبعة، تحقيق: فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، 2008، ص: 48 وما بعدها.

التركيب وخارجه، ومخالفة الأصوات في النطق على ما هي عليه في الخط، كذلك تحدث عن اختلاف القراء في مقادير المدّات والأصوات . [1]

إنّ الدراسة الصّوتية بوجه خاص، واللغوية بوجه عام عند الفلاسفة المسلمين لم تكن مسعاهم ولا هدفهم منذ البداية، فقد أوضح **أبو بكر الشهرستاني (ت 548 هـ)** سبب عناية الفلاسفة باللفظ والكلام في قوله: "**لمّا كانت المخاطبات النظرية بألفاظ مسموعة، والأفكار العقلية بأقوال عقليّة، فتلك المعاني التي في الذّهن ؛ من حيث يتأدّى بها إلى غيرها كانت موضوعات المنطق، ومعرفة أحوال تلك المعاني مسائل علم المنطق، وكان المنطق بالنسبة إلى المعقولات على مثال النّحو بالنسبة إلى الكلام، والعروض إلى الشعر، فوجب على المنطقي أن يتكلّم في الألفاظ من حيث تدلّ على المعاني.**" [2]

هذا لا يعني أنهم لم يكونوا عارفين باللّغة وعلومها، وإنما تركوا البحث فيها لأهلها وأصحابها، يقول **البطليوسي**: "**في كل علم المتقدّم والمتأخّر، والقويّ والضّعيف، ولو ناظرنا في ذلك رجلا له نظر بصناعة النحو لكان الأشعريّ [3] هو المنقطع دونه ؛ لأن صناعة النحو ليست من صناعة الجدل، وإن كان بين الصناعتين مناسبة من بعض الجهات . وقد روي أنّ الباقلاني**

1- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع: عبد الرحمن بن محمد قاسم بمساعدة الله، المكتب التعليمي السعودي، المغرب، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، 13/ 412، 413.

2- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت 548 هـ)، الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا، وعلي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان 1997، 2/ 492.

3ـ هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن اسحق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال، توفي سنة :323هـ، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، 1/ 148 .

تساءل في شيء من النحو، فردّ عليه النحويون، وقال له بعضهم: "ليست هذه الصناعة لك بضاعة، فاتركها لأهلها ." [1]

ما وقع **للباقلاّني** يشبه إلى حدّ كبير ما حدث لابن سينا في المجلس الذي جمعه **بأبي منصور الجبان** [2]؛ إذ يروى أنه جرت مسألة في اللغة، تكلّم فيها ابن سينا بما حضره، فقال له أبو منصور : إنّك فيلسوف وحكيم، ولكنّك لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها، فسكت ابن سينا خجلا، وبعد ما جرى نظر في اللغة وعمل رسائل أودعها نوعا متوفّرا من اللغة . [3]

أهل الدراسة اللغوية هم النحاة والقرّاء، يقول **ابن عربي: "النّحو علم ميزان الكلام ."** [4] **ويقول في موضع آخر : "وإمّا قولنا مخرجه كذا، فمعلوم عند القراء، وفائدته عندنا أن نعرف أفلاكه ."** [5] **وقريب من هذا أيضا قوله : "القرّاء أهل الله وخاصته، ولا عدد بحصرهم، وأهل القرآن هم الذين حفظوه بالعمل له، وحفظوا حروفه، فاستظهروه حفظا وعملا ."** [6]

أدرك الفلاسفة المسلمون أنّ الأساس الذي تبنى منه الدراسة الصوتية واللغوية هو القرآن الكريم وقراءاته، فقد انشعب من ألفاظ القرآن الكريم علم اللغة، ومن إعراب ألفاظه علم النحو، ومن وجوه إعرابه علم

1- البطليوسي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد (ت 521 هـ)، الحلل في إصلاح الخلل الواقع من كتاب الجمل، تحقيق: سعيد عبد الكريم سعودي، دار الطليعة، بيروت ـ لبنان، ص: 79.

2ـ هو محمد بن علي بن عمر الجبان، أبو منصور اللغوي الرازي، له تصنيف في اللغة سمّاه : الشّامل، وهو كتاب كبير، قصد فيه جمع الألفاظ اللغوية، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 3 / 194، 4 / 176 .

3ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة، 4 / 176 ـ 177 .

4- الفتوحات المكية، 3/ 81.

5-الفتوحات المكية، 1/ 343.

6-نفسه، 11/ 365.

القراءات، ومن كيفية التصويت بحروفه علم مخارج الحروف، إذ أول أجزاء المعاني التي منها يلتئم النطق هو الصوت .[1]

تحدّث الفلاسفة المسلمون عن كل ما له علاقة بالصوت، فعرفوه، وميّزوا بينه وبين الحرف، كما تحدّثوا عن الأسباب المؤدية إلى حدوثه، فحدّدوا خصائصه، وكيفية انتقاله، **فالفارابي** مثلا تحدّث عن آلية النطق وكيفية حدوث أصوات الأمة وألفاظها، يقول :"**وظاهر أنّ تلك التّصويتات، إنما تكون من القرع بهواء النَّفَس لجزء أو أجزاء من حلقه، أو بشيء من أجزاء ما فيه، وباطن أنفه أو شفتيه، فإن هذه هي الأعضاء المقروعة بهواء النفس، والقارع أوّلا هي القوة التي تسرب هواء النفس من الرئة وتجويف الحلق أوّلا فأوّلا إلى طرف الحلق ؛ الذي يلي الفم من أجزاء باطن الفم، وإلى جزء من أجزاء أصول الأسنان، وإلى الأسنان، فيقرع به ذلك الجزء؛ فيحدث من كل جزء يضغطه اللسان عليه ويقرعه به تصويت محدود، وينقله اللسان بالهواء من جزء إلى جزء من أجزاء أصل الفم، فتحدث تصويتات متوالية،كثيرة، محدودة .**"[2]

كذلك خصّص **الفارابي** معظم أجزاء كتابه"الموسيقى الكبير" لشرح أصول صناعة الموسيقى ليختم دراسته بمقالة عن الأصوات وأنواعها، وعن جهاز النطق، بخاصة المقطع الصوتي؛ الذي لم يعن النحاة

1- يُنظر:الغزالي، أبو حامد (ت 505 هـ)، جواهر القرآن، تحقيق: محمد رشيد رضا الفياتي، دار إحياء العلوم، بيروت ـ لبنان، 1986، ص: 36.

2- كتاب الحروف، ص: 135 – 136.

بدراسته [1].ومثل هذا المزج بين الموسيقى والأصوات تردّد في مؤلفات معظم الفلاسفة المسلمين . [2]

تحدّث **إخوان الصفا** عن أصوات اللغة من حيث عددها ومخارجها، وعيوبها الناشئة عن اضطرابات التّكلّم، كما تحدثوا عن الألفبائية العربية، وعدد الرموز فيها ؛ إلا أنهم لم يعنوا بالمصوتات؛ حيث نظروا إليها على أنها تابعة للصوامت لا تستقل بنفسها في النطق كاستقلال الأصوات الصامتة . [3]

والمطّلع على مؤلفات **أبي العلاء المعري** يجدها زاخرة وثريّة بالمعلومات الصوتية، على الرغم من أنّه لم يخصّص لها بابا معيّنا في أي مؤلف من مؤلفاته، وإنما جاءت مبثوثة في ثنايا القضايا الأدبية والشعرية التي عالجها، وأهم شيء هو أن أبا العلاء المعري كان مدركا تمام الإدراك أن اللغة غير ثابتة ولا مستقرة على حال، فهي في تطوّر وتغيّر مستمرين، يتضح هذا من قوله: "**العربية الأولى أصابها التغيير.**" [4] ومن القضايا الصوتية التي عالجها في رسائله، وبخاصّة رسالة الصاهل والشاحج : ظاهرة الإدغام، فقد عرّفه، وذكر شروطه وأحكامه، كذلك ذكر الأصوات التي يجب فيها الإدغام والتي لا يجب فيها، من ذلك قوله : "**الحرف المدغم لقيه الحرف الآخر، فانقلب الأول إلى حال الثاني، ألا ترى أنّك لما أردت أن تدغم الخاء في الغين جعلت**

---

1 - يُنظر: فاطمة بورحلة، الظواهر الصوتية والأدائية عند ابن سينا، رسالة تقدمت بها الطالبة لنيل شهادة الماجستير في الصوتيات العربية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2008 – 2009، ص: 15.

2- يُنظر، أكسندر نايف، ابن سينا والموسيقى، ترجمة: نايف أبو كرم، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق ـ سوريا، 1984، العددان : 15- 16، ص: 220 وما بعدها.

3- يُنظر: الفخراني أبو السعود، البحث اللغوي عند إخوان الصفا، مطبعة الأصالة، مصر، ط1، 1991، ص: 224 – 225.

4- ينظر : المعري، رسالة الملائكة، إشراف: لجنة من العلماء، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، دط، دت، ص : 45.

الخاء غينا، فقلت: اسلخ غّنمك، فجعلت الخاء من اسلخ غينا ؛ لمكان إدغامها في غين غنمك ."[1] كما لم يغفل عن ذكر اختلاف اللهجات العربية في هذه الظاهرة، وفي غيرها من الظواهر،كـ: الإبدال مثلا،والاختلاف في تحقيق الهمز وتخفيفه. [2]

وفيما يخص المصوتات، فقد بسط **أبو العلاء المعري** الحديث فيها في مقدمة اللزوميات ؛ التي تنمّ على قدرة صاحبها اللغوية الفائقة، يقول في مقدمة الكتاب : "**وقد بنيت هذا الكتاب على بنية حروف المعجم المعروفة ما بين العامة، لا التي رتبها العلماء بمجاري الحروف .**"[3] و في كثير من الأحيان كان يقدّم هذه المعلومات على شكل أبيات شعرية نحو قوله : [4]

فَيا أَلِفَ اللَّفْظِ لا تأْمَلي حَراكا فَما لَكِ إلاّ السُّكونُ .

كما عالج المصوّتات وظيفيا في أثناء نقده اللغوي للشعر كما فعل في رسالة الغفران [5].فأبو العلاء المعري لم يلتزم منهجا معينا في معالجة وعرض المادة الصوتية.

في بداية القرن الخامس هجري، طلع ابن سينا بمؤلف في الأصوات، كان فريدا في بابه؛ لأنه عالج الأصوات بطريقة لم تتح عند سابقيه ؛فقد أفاد من دراساته الطبّيّة ودراساته الطبيعية ؛ حيث قدّم وصفا تشريحيا فسيولوجيا

1- رسالة الصاهل والشّاحج، ص: 496، 484 ـ 485، 649.

2- نفسه، ص: 124 ـ 125، 305، 351، على سبيل المثال لا الحصر.

3- المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان (ت 449 هـ)، شرح اللزوميات، تحقيق : سيدة حامد، منير المدني، زينب القوصى، وفاء الأعصر، مراجعة : حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992، 1/ 19، 50.

4ـ شرح اللزوميات، 2 / 223 .

5- يُنظر: المعري، أبو العلاء رسالة الغفران، وضع حواشيه : علي حسين فاغور، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 2001،ص: 56، 71، 85، 122.

لبعض أعضاء النطق قبل أن يعرض لمخارجها وصفاتها، وكتب كلّ ذلك بدقّة علميّة لم تُعهد في زمانه .[1] فقد كان ابن سينا إماما في الفكر والفلسفة، وفي تفسير القرآن الكريم أيضا؛ إذ أُثِر عنه أنه فسر سورة الإخلاص والمعوذتين، لكنه لم يفسرهما تفسيرا لغويا ؛ لأنه لم يكن مقصده، يقول بعد أن أنهى تفسير السُّوَر الثلاث:" **المقصد الأقصى من طلب العلوم بأسرها معرفة ذات الله تعالى وصفاته، وكيفيّة صدور أفعاله عنه .**"[2] ومع ذلك فإنّ دراسته للمصوتات لم تكن مفصّلة، بل كانت مختصرة.

يعد **ابن حزم** من الفلاسفة المسلمين الذين اهتموا باللغة وقضاياها ؛ خاصة في رسالتيه : مراتب العلوم، والتقريب لحدود المنطق، فقد ناقش نشأة اللغة أهي توقيف أم اصطلاح ؟ كما كانت له ملاحظات واضحة ودقيقة حول بنية اللغة، فلم تخل رسائله من إشارات حول ماهية الأصوات اللغوية التي هي أساس الكلمات، ومن ذكر لأعضاء النطق المسئولة عن إنتاجها، **فابن حزم** استفاد من معارفه اللغوية المختلفة لتقريب المفاهيم الدينية والفلسفية والمنطقية .[3]

لعلّ المصوّتات العربية أخذت حقها من البحث والدراسة في نهاية القرن السادس الهجري على يد **ابن رشد(ت595هـ)**، وبداية القرن السابع مع فخر الدين الرازي، و**محي الدين بن عربي** ،**فابن رشد** نهج طريق النحاة في عرض المادة الصوتية، فكان حديثه عنها في باب الإعراب، عندما علّل

1ـ ينظر : محمد صالح الضالع، علم الأصوات عند ابن سينا، دار المعرفة الجامعية، مثير الإسكندرية، دط، دت، ص : 13 .

2- يُنظر: محي الدين صبري الكردي، جامع البدائع، حقوق الطبع محفوظة للناشر، ط1، 1921، ص: 16، 32.

3 ـ ينظر : فتيحة باريك، الجوانب اللغوية في رسائل ابن حزم الأندلسي، مذكرة تقدمت بها الطالبة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، تلمسان ـ الجزائر، 2008 ـ 2009، ص : 95 ـ 96 .

سب اختصاص كل مصوت بمعنى معين، فاستوفى الحديث عن المصوّتات بكلّ أشكالها وأنواعها، وجعلها المدخل المؤسس للجزء الثالث، وهو القول في الإعراب .[1]

أما فخر الدين الرازي فقد درس الأصوات من مصدرها الأساس، وهو القرآن الكريم وقراءاته، فقد أولى المصوتات اهتماما وعناية كبيرين، ونبّه على أنّ الدارس والباحث في هذا المجال، لا بدّ أن يكون ملمّا بكثير من الجوانب والعلوم، أهمها : علم التشريح .[2]

بقي أن ننوّه بعَلَمٍ مهمّ من الفلاسفة المتصوفة، وهو **محيي الدين بن عربي**، هذا الأخير قدّم دراسة جيّدة ورائعة للأصوات العربية، ولاسيما للمصوّتات، وهذا ما نجده في كثير من مؤلفاته، إلا أنّه نهج نهجا مغايرا لأقرانه وأسلافه في الدّراسة، فقد زاوج فيها بين التنجيم وعلوم الصوفية عند اليهود، وآراء الفيثاغورسيين المحدثين في الإسكندرية، وهو يلجأ إلى الرسوم والتخطيطات والأشكال الهندسية لكي يشرح المعقّد من الآراء، وبذلك جعل للأصوات العربية خاصية أتى بها من عنده[3]، وسنوضح ذلك بمثال ربط فيه خلق آدم بشكل لفظه، يقول: "**وخلق آدم على صورة اسمه ؛ لأنّ اسمه محمد صلى الله عليه وسلم، فرأس آدم بتدويره على صورة الميم الأولى من اسمه، وإرسال يده على جنبه على صورة الحاء، وبطنه على صورة الميم الثانية، وقدميه في انتفاخهما على صورة الدال، فكمل خلق آدم على صورة محمد**

1- يُنظر : ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، تحقيق: منصور علي عبد السميع، تقديم : محمد إبراهيم عبادة، دار الفكر العربي، 2008، ص: 55.

2- التفسير الكبير، 1/ 24.

3- تاريخ الفكر الأندلسي، ص: 429.

صلى الله عليه وسلم ."[1] غير أنّ هذا لم يكـن منهجـه في كـل الأحـوال ؛ إذ كثيرا ما كان يتجرّد من هذه الفلسفة ومن هذا التصوّف، ويعالج الأصـوات علاج النحويّ، كما سيتبين معنا في متن الدّراسة .

ولأنّ أيّ علم لا يخلو مـن مصـطلحات علميـة مقيّـدة لـه سـنتحدّث عن مصـطلحات المصـوتات في المبحـث المـوالي عنـد الفلاسـفة المسـلمين ؛ محاولين بذلك تتبعها في الآثار اللغوية القديمة.

ثانيا: مصطلحات المصوتات :

يُطلق مصطلح الصائت أو المصوت في اللسانيات المعاصرة على الصوت المجهور؛ الذي يندفع الهواء معه في مجرى مستمر دون أن يكون ثمّة عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضا تامّا[2]، وقبل أن يستقر المصطلح على هذا المفهوم مرّ بعدّة أطوار، فالجهود التي بذلها النحاة واللغويون القدامى مهّدت لظهور كثير من الاصطلاحات الصوتية والنحوية بمعناها العلمي والفني، إلا أنها تعدّدت تبعا لتعدد المناهج المتّبعة في الدراسة ؛ ذلك أنّ علم الأصوات كان في بدايته منضويا ضمن عدة علوم .

ناوب الفلاسفة المسلمون – كغيرهم من اللغويين – في توظيـف عـدة مصطلحات للدلالة على المصوّتات ولم يلتزموا مصطلحا واحدا، ولعل ذلك راجع إلى اطلاعهم على ثقافات شتى ؛ حيث انتهلوا من المـوروث اللغـوي العربي، ومن الموروث اللغـوي اليونـاني، وسـنحاول فيمـا يـأتي أن نتتبـع ونعرض هذه المصطلحات كما وردت في استعمال الفلاسفة المسلمين.

1ـابن عربي، محي الدين، شجرة الكـون، تحقيـق : ريـاض العبـد الله، دار القلـم، بـيروت، لبنـان، ط2، 1985، ص: 64، 65.

2- يُنظر: محمود السعران، علم اللغة" مقدمة للقارئ العربي "، دار النهضة، بيروت ـ لبنان، دط، دت، ص: 584.

1 ــ مصطلحات المصوتات القصيرة :

أ ـ الحركة: يعرّفها الفلاسفة بأنّها: "**النقلة من مكان إلى مكان في زمان ثان، وضدّها السكون، وهو الوقوف في المكان الأول في الزمان الثاني** ."[1]

فالحركة في مفهومها العام :تحريك الجسم بعد ثباته وسكونه، يقول ابن سينا: "**كل جسم قابل للنقل من موضعه الطبيعي ففيه مبدأ الحركة** ."[2]

والحركة ضد السكون:"**الحركة بإطلاق تضاد السكون بإطلاق** ."[3]و"**من المعلوم الأول أن المتحرك ليس يتحرك على نفسه، وأن كل متحرك يحتاج إلى شيء ساكن عليه يتحرك** ."[4]

حاول الفلاسفة المسلمون إبراز دلالة الحركة باستحضار مقابلها الذي هو السكون، وإن كانت هذه الحركة غير الحركة التي نقصد إليها، ولكن مع ذلك، يمكن الربط بين دلالة الاثنتين، وذلك أنّ الحركة عبارة عن الصوت الذي يحسن اللفظ به بعد التلفظ بالحرف [5]. وعلى هذا الاعتبار، فإن الحركة تعمل على إزاحة الحرف عن سكونه، فالحرف بحاجة إليها حتى يتسنى ربطه بباقي الأصوات.

والظّاهر أنّ معظم الفلاسفة المسلمين وظفوا مصطلح الحركة للدلالة على المصوّتات القصيرة: الفتحة والكسرة، والضمة. من هؤلاء **أبو عبد الله الخوارزمي(ت387هـ)**، فقد وظّف هذا المصطلح في غير موضع، وذلك

1- رسائل إخوان الصفا ،1/ 192 ـ 193، ويُنظر : ابن سينا، عيون الحكمة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت ـ لبنان، ط2، 1980، ص: 30 .

2-عيون الحكمة، ص: 30.

3- ابن رشد، رسالة السماع الطبيعي، تحقيق : جيرار جهامي، تقديم وتعليق : رفيق العجم، دار الفكر اللبناني، بيروت ـ لبنان، ط1، 1994، ص: 87.

4-رسالة السماع الطبيعي،ص: 66.

5- التفسير الكبير، 1/ 56.

في معرض حديثه عن الحركات الإعرابية التي تلزم أواخر الكلم [1]، غير أنه كثيرا ما كان يستغني عن ذكر المصطلح ويورد المصوتات الثلاثة بأسمائها . [2]

ويرى **القاضي عبد الجبار** أنّ الحركة ميزة فارقة بين الصوت والحرف، يظهر ذلك في قوله: "**وإن كان أهل العربية ربما خصوا الحروف بأن يقولوا فيها: إنها تتحرك، وإن الحركات لَتتعاورها.**" [3] وعدة الحركات التي تتعاور الحروف ثلاث: رفع ونصب وجر [4]، كذلك هي ثلاث عند **أبي العلاء المعري** ،حيث وظّف مصطلح الحركة أثناء حديثه عن حركة الروي . [5]

وورد مصطلح الحركة أيضا عند **ابن حزم** أثناء حديثه عن فضل النحو: يقول: "**لما فشا جهل الناس باختلاف الحركات؛ التي باختلافها اختلفت المعاني في اللغة العربية، وضع العلماء كتب النحو، فرفعوا إشكالا عظيما .**" [6] والحركات التي تختلف بها المعاني ثلاث : رفع ونصب وخفض. [7]

نجد حضورا لمصطلح الحركة بمفهومها الاصطلاحي مع **ابن رشد**، وهي عنده ثلاث: ضمة وكسرة وفتحة [8]. وأحيانا يذكر هذه الثلاثة بأسمائها . [9]

1- يُنظر: الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت 387 هـ)، مفاتيح العلوم، مراجعة وتعليق: محمد كمال الدين الأدهمي، ط1، 1930، ص: 29.

2- نفسه، ص: 30.

3- عبد الجبار، القاضي أبو الحسن (ت 415 هـ)، المغني في أبواب التوحيد والعدل، قوّم نصه: إبراهيم الأبياري، إشراف: طه حسين، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة،دط، دت، 7/ 193.

4- نفسه، 7/ 205.

5- شرح اللزوميات، ص: 40.

6- التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، ص : 3.

7- نفسه، ص : 48.

8- الضروري في صناعة النحو، ص: 55.

9- نفسه، ص: 55 –56.

ومع مطلع القرن السابع الهجري وظّف **فخر الدين الرازي** مصطلح الحركة في مواضع كثيرة من التفسير الكبير، نذكر على سبيل المثال قوله: "**الحركات أبعاض المصوتات**"[1]؛ أي: أبعاض المصوتات الطويلة. وقوله في تعريف الحركة : "**الحركة صوت مخصوص يوجد عقب التلفظ بالحرف.**"[2] وكذلك قوله: "**الحركات إما صريحة أو مختلسة .**"[3] وعدة الحركات ثلاث: فتحة وكسرة وضمة. [4] إلى غير ذلك من المواضع التي ذكر فيها الحركات وما يتعلّق بها .

لم يكتف محيي الدين بن عربي بمصطلح الحركة دليلا على المصوتات القصيرة، بل زاوجها في الاستعمال مع مصطلح الحروف الصغار، يقول: "**اعلم أنّ المراد بالحروف الصغار الحركات الثلاثة، وهي: الضمة والفتحة والكسرة .**"[5] وتسمية المصوتات القصيرة بالحروف الصغار دليل على أنها لا تقلّ أهمية عن الصوامت .

ومن المصطلحات الدالة على هذه الأصوات عند الفلاسفة نذكر كذلك :

ب ـ المصوتة: اسم فاعل من الفعل الثلاثي المضعف العين: صوّت يصوّت تصويتا بمعنى : صات يصوت صوتا، وكله بمعنى نادى، والصائت: الصائح. [6]

1- التفسير الكبير، 1/ 41.

2- نفسه، 1/ 5.

3- نفسه، 1/ 55.

4-نفسه، 1/ 56.

5- الفتوحات المكية، 2/ 51، 13/ 313،و يُنظر: ابن عربي محيي الدين (ت 638 هـ)، الرسائل، وضع حواشيه: محمد عبد الكريم الثمري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 2008، ص: 89.

6ـ ابن منظور المصري(ت711هـ)، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، د ط، دت، مادة: [ص وت]، 2/ 57.

المصوتة مصطلح وظفه الفلاسفة للدلالة على شيئين اثنين : على المُصدر للصوت، وهذا ما نجده عند **ابن سينا** [1]، وعند **ابن باجة(ت533هـ)** في قوله: "**والأجسام منها مصوتة، ومنها غير مصوتة، فالمصوتة هي التي لها آلة توجد الصوت** ." [2] أي إنّ كل ما من شأنه أن يصدر صوتا سمي مصوتا، وهذا ما نصّ عليه القاضي عبد الجبار بقوله: "**وعلى هذه الطريقة وصفوا فاعل الصوت بأنه مصوت.**" [3]

تكرر هذا التوظيف عند **ابن رشد** مع تحديد أكثر في دلالته ؛ حيث قصره على الأجسام، يقول:"**التصويت هو صوت ما من متنفس، وهو الذي يوجد فيه نغم وإيقاع ولفظ، ولذلك سميت كثير من الآلات مصوتة على جهة النسبة بالحيوان، مثل المزمار وأشباهه ؛ إذ كان قد يوجد ما يحاكي هذه.**" [4]

وظف بعض الفلاسفة مصطلح الصايت كمقابل للصامت للدلالة على الناطق، وهو ما نجده في استعمال **الباقلاني**"**الصوت صفة الصايت** " [5] و"**الصوت حصل من الصايت المأمور.**" [6]

1- ينظر :ابن سينا، :رسالة النفس"الفن السادس من الطبيعيات من كتاب الشفاء"، المؤسسة الجامعية للدراسات الإعلامية، بيروت ـ لبنان، منشورات التراث العربي والإسلامي، باريس ـ فرنسا، د ط، 1988، ص: 89.

2- ابن باجة، أبو بكر محمد الأندلسي(ت 533هـ)، كتاب النفس، تحقيق: محمد صغير حسن المعصومي، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ص: 113، و تكرر توظيف هذا المصطلح بهذه الدلالة في مواضع أخرى من الكتاب، يُنظر ص: 112، 114.

3- المغني في أبواب التوحيد والعدل، 7/ 61 .

4- ابن رشد، تلخيص كتاب النفس، تحقيق : ألفرد . ل ،عبري، مراجعة: محسن مهدي، المكتبة العربية للتراث، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، د ط، 1994، ص: 82.

5ـ الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص : 86 .

6ـ نفسه، ص : 125 .

ولعلّ **أبا اسحق الكندي(ت260هـ)** من الفلاسفة الأوائل الذين وظفوا مصطلح المصوتة للدلالة على المصوتات القصيرة، وهو يسمي القصيرة بـ : المصوتات الصغيرة [1]، والطويلة بـ: المصوتة، يظهر ذلك من قوله:"**أعني بالمصوتة: الألف والياء والواو .**"[2] و يسميها كذلك بـ : المصوتة العظام. [3]

ووظّف **الفارابي** مصطلح المصوتة للدلالة على المصوتات الطويلة كما القصيرة، يقول:"**والحروف منها مصوت ومنها غير مصوت، والمصوتات منها قصيرة، ومنها طويلة، والمصوتات القصيرة هي التي تسميها العرب : الحركات .**" [4] ونجد توظيفا لهذا المصطلح عند**ابن سينا** أيضا في قوله :"**الألف المصوتة وأختها الفتحة، والواو المصوتة وأختها الضمة، والياء المصوتة وأختها الكسرة.**"[5]

إذا حاولنا الربط بين دلالة هذا المصطلح وبين طبيعة المصوتات العربية، فإننا نجد بينهما تناسبا شديدا، ذلك أنّ المصوتات كما سيتبين معنا تتميز بقوة إسماع كبيرة المقارنة بالصوامت ؛ نظرا لطبيعة مخارجها؛ حيث إنّ الهواء يتخذ طريقه في الفم دون أن تعترضه حوائل.

1- الكندي، يعقوب بن اسحق (ت 260 هـ)، رسالة في استخراج المعمى، ضمن كتاب : علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب، تحقيق : محمد مراياتي، ويحيى مير علم، ومحمد حسان الطيان، تقديم: شاكر القحّام، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، د ط، د ت، ص: 237.

2- نفسه، ص: 216.

3- رسالة في استخراج المعمى، ص: 237.

4- الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان، الموسيقى الكبير، تحقيق وشرح : غطاس عبد الملك خشبة، مراجعة : محمود أحمد الحنفي، دار الكتاب العربي، القاهرة، دط، دت، ص: 1072.

5- ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، مراجعة:طه عبد الرءوف سعيد، مكتبة الكليات الأزهرية حسين محمد أمباني، القاهرة ـ مصر، 1978، ص: 21 – 22.

وباعتبار المصوتات الطويلة حروفا عند الفلاسفة المسلمين، فكذلك المصوتات القصيرة حروف، وهذا ما نلحظه من قول**جابر بن حيان(ت199هـ)** [1]: "**والألف والواو، منها ما يقال لها الصغار، ومنها ما يُقال لها الكبار، الفتحة ألف صغيرة، والضمة واو صغيرة، والكسرة ياء صغيرة.**" [2]وسبقت الإشارة إلى أنّ**محيي الدين بن عربي** سماها كذلك.

إنّ توظيف **الرازي** لمصطلح المصوّتة كان قليلا مقارنة بتوظيفه لمصطلح الحركة، مع أنه أشار إلى المصوتات الطويلة بالمصوتة، وهي التي تسمى في النحو حروف المد واللين [3]، في حين أشار إلى القصيرة بالمصوتات المقصورة [4].و لعل مردّ هذا التفاوت في التوظيف للمصطلحين هو إكثار**فخر الدين الرازي**النقل عن النحاة والبلاغيين العرب ؛ لذلك نجده يقتبس المصطلحات كما هي، فهو عالج القرآن الكريم وقراءاته ،ومصطلح الحركة نشأ في أحضان لغة القرآن الكريم خدمة له.

2 ــ مصطلحات المصوتات الطويلة: بما أنّ الفلاسفة المسلمين اعتمدوا في دراستهم الموروث النحوي العربي فلا غرو أن نجد تشابها كبيرا في المصطلحات الموظّفة، مثال ذلك: مصطلح حرف المد واللين، ومصطلح حروف العلة. ونبدأ الحديث بالمصطلح الأول.

1ـ هو أبو موسى، شهوته أبو جابر الصوفي، قيل فيه أنّه أشهر الفلاسفة الطبيعيين عند العرب، له : متاب البيان، وكتاب السموم، الخواص الكبير، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، 1/ 439 .

2- يُنظر: جابر بن حيان (ت 199 هـ)، الرسائل، 30 كتابا ورسالة في الكيمياء والإكسير والفلك والطبيعة والهيئة والفلسفة والمنطق والسياسة، إعداد: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 2006، ص: 297.

3- التفسير الكبير، 1/ 41.

4- التفسير الكبير، 1/ 41.

أـ المد واللين: مصطلح مركب من مصطلحين: المد واللين، فمن الفلاسفة من فصل بينهما في الاستعمال، مثل ابن سينا وابن رشد؛ حيث نجدهما يوظفانه بصيغة جمع المؤنث "**مدّات**"، يقول **ابن سينا**: "**والمصوتات الممدودة التي يسميها مدّات .**"[1] وعن **ابن رشد**"**وثلاث هي مدّات حادثة عن إشباع هذه الحركات، فالمدة الحادثة عن الضمة سميت واوا، وكذلك الأمر في المدّة الحادثة عن الفتحة.**"[2] ولكنه عندما تحدث عن إعراب الأفعال المعتلة اللام سماها حروف المد واللين، يقول: "**وإن كان في آخره حرف مدّو لين فشكل الرفع فيها حرف المد واللين، نحو: زيد يغزو، ويرمي، ويخشى.**"[3] وفي موضع آخر: "**وأما ما في آخره حرف مدّ ولين من الحروف الثلاثة.**"[4]

وظّف فخر الدين الرازي أيضا مصطلح حروف المد واللين، ولكنه على غرار سابقيه، أشار إلى أنّه من اصطلاحات النحويين، يقول: "**الحروف إما مصوتة، وهي التي تسمى في النحو حروف المد واللين.**"[5] وكثيرا ما كان يربطها في الاستعمال بمصطلح الحركات، يظهر ذلك في قوله: "**الحركات أبعاض من حروف المد واللين .**"[6] وفي قوله أيضا : "**هذه الحركات إذا مددناها ظهرت حروف المد واللين .**"[7]

1- الشفاء : "الشعر"، ص: 65.

2- الضروري في صناعة النحو، ص: 56 – 57.

3- نفسه، ص: 126.

4- نفسه، ص: 127.

5- التفسير الكبير، 1/ 41.

6-التفسير الكبير، 1/ 55.

7- نفسه، 1/ 55.

أمّا **محيي الدين بن عربي** فوظف المصطلح مركبا ؛ أي: المد واللين، كما وظفه في شقه الثاني، فمن المواضع التي وظف فيها المصطلح مركبا، قوله بعد ذكر الألف والواو والياء: "**وهذه الحروف تسمى حروف المد واللين.**"[1]

وفي مقابل هذه المصطلحات أو الصفات اكتفى كل من **الحلاج (ت309هـ) وأبي العلاء المعري والشريف الجرجاني(ت816هـ)** بمصطلح اللين مصطلحا مقيّدا للألف، والياء المكسور ما قبلها، والواو المضموم ما قبلها .[2]

مما تقدم، يتضح لنا أنّ تسمية المصوتات الطويلة بالمد واللين يتناسب وطبيعتها الصوتية ؛ ذلك أنّ المدّ في اللغة: الجذب والمطل، ومدّه : مطله وطوّل له .[3] فالمد يحمل معنى الزيادة[4]، وكلّ ممدود فهو ممطول[5]، واللين ضد الخشونة[6]، ولان الشيء: سهل وانقاد[7]. والمصوتات الطويلة كما

1- ابن عربي، محيي الدين بن علي بن محمد بن أحمد الطائي الحاتمي (ت 638 هـ)، المبادي والغايات في معاني الحروف والآيات ويليه:العقد المنظوم في تحوية الحروف من الخواص والعلوم، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 2006، ص: 182.

2- يُنظر : الحلاج، الديوان ومعه أخبار الحلاج وكتاب الطواسين، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1998، ص: 167، ورسالة الملائكة ، ص : 106، ورسالة الصاهل والشاحج، ص : 463، وشرح اللزوميات، ص: 38، وينظر : الشريف الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الحنفي (ت816هـ)، التعريفات، وضع حواشيه : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط2، 2003، ص: 91.

3- لسان العرب، مادة : [م د د]، 11/ 744.

4- الفتوحات المكية، 11/ 211.

5- التفتازاني، سعد الدين (ت 771 هـ)، كتاب النعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ للزمخشري، مطبعة وادي النيل، القاهرة ـ مصر، ط1، 1986، ص: 69.

6- ينظر : الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، دراسة وتقديم: عبد الفتاح البركاوي، دار المنار، طبعة جديدة، دت، مادة: [ل ي ن]، ص: 279.

7- يُنظر: إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، المعجم الوسيط، دار الدعوة، د.ت، مادة:[ل ا ن]، ص: 850.

سيتبين معنا تتميز بامتداد الصوت معها، وحرية جريانه ؛ حيث لا يصادف أي عوائق أو حوائل أثناء خروجه، يقول **التفتازاني(ت771هـ)** [1]: "**ونقل عن المصنّف في تسميتها :حروف المدّواللين أنها تخرج في لين من غير كلفة على اللسان ؛ وذلك لاتساع مخرجها ؛ فإنّ المخرج إذا اتسع انتشر الصوت، وامتد ولان، وإذا ضاق انضغط فيه الصوت وصَلُبَ.**" [2]

إضافة إلى ذلك، ميّز **التفتازاني** بين المدّ واللين ؛ ذلك أنّ اللين مصطلح يخص في الحقيقة الواو والياء إذا سكنتا وانفتح ما قبلهما فقط، والمدّ يخصهما إضافة إلى الألف إذا كانت حركة ما قبلهما من جنسهما، يقول: "**حروف العلة إن كانت متحركة لا تسمى حروف المد واللين لانتفائها فيها، وهذا في الألف، وإن كانت ساكنة تسمى حروف اللين لما فيها من اللين لاتساع مخرجها؛ لأنها تخرج في لين من غير خشونة على اللسان، وحينئذ، إن كانت حركات ما قبلها من جنسها بأن يكون ما قبل الواو مضموما والألف مفتوحا والياء مكسورا تسمى حروف المد أيضا ؛لما فيها من اللين والامتداد، نحو: قال، ويقول، وباع، ويبيع، وإلا تسمى حروف اللين لا المدّ لانتقائه فيها، هذا في الواو والياء.**" [3]

يبدو من النص الذي تقدّم أنّ كلام **التفتازاني** أكثر وضوحا وتفصيلا من كلام سابقيه ؛ الذين مزجوا مصطلح المد بمصطلح اللّين، فكما بيّن **التفتازاني**، فإن اللين يخص صوتي الواو والياء دون الألف؛ لأنه في حالة ما

1ـ هو أبو سعد الدين مسعود بن عمرو، كان حجّة في المنطق وما وراء الطبيعة والكلام، له : تهذيب المنطق والكلام، شرح العقائد النسفية، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، 1/ 398 .

2- التفتازاني، مسعود بن عمر سعد الدين، شرح مختصر التصريف العِزّي في فن الصرف، شرح وتحقيق: عبد العال سالم مكرم، ط 8، 1997، ص: 106.

3- نفسه، ص: 106.

إذا تحرك ما قبلهما بحركة من غير جنسهما فإن الصوت لا يمتد معهما كما في حالة ما إذا كانت حركة ما قبلهما من جنسهما.

ولا بأس من الإشارة إلى بعض الألقاب التي خص بها **ابن عربي** المصوتات الطويلة، نحو نعتها بالألفات، وذلك في قوله :"**الألفات ثلاثة :** [1]

ـ ألف الاستواء، وهو المدّ الموجود بعد الفتح، مثل: طاها.

ـ الألف الميل للأيمن، وهو الواو المضموم ما قبلها، مثل: يومنون.

ـ الألف الميل للأيسر، وهو الياء المكسور ما قبلها، مثل: قيل، حيل، وهذه تسمى حروف المد واللين، وحروف العلة. "

جعل **ابن عربي** مصطلح المد واللين مرادفا لمصطلح العلة، ومن قراءتنا نلاحظ أنّه يفضل استعمال مصطلح العلة للدّلالة على المصوتات الطويلة، فنسبة وروده في مؤلفاته تفوق نسبة وروده في مؤلفات غيره من الفلاسفة ـ حسب اطلاعنا ـ حيث جعله مصطلحا مقيدا للألف، والواو المضموم ما قبلها، والياء المكسور ما قبلها . [2]ومن أمثلة المواضع التي ذكر فيها هذا المصطلح، قوله : "**ولما كانت هذه الواو لا تقبل الحركات أبدا ما دامت حرف علة .**" [3] وقوله أيضا: "**الواو والألف والياء هي حروف العلة.**" [4]

قدّم **ابن عربي** ملاحظات مفادها أنّ الواو والياء إذا لم تكن حركة ما قبلهما من جنسهما فلا يسميان حرفي علة ؛ لأنه كثيرا ما كان يقول: "**والإمامان من الحروف، هما : الواو والياء المعتلّتان؛ اللذان هما حرفا المدّ**

1- المبادي والغايات في معاني الحروف والآيات، ص:182.

2- الرسائل ، ص: 83، 89- 90- 91، والمبادي والغايات في معاني الحروف والآيات، ص : 182، والفتوحات المكية، 1/ 261، 1/ 279 ،1/ 336، 2/ 158، 3/ 134 ـ 135، 13/ 313 ـ 314.

3- الرسائل، ص: 89.

4- نفسه، ص: 111.

واللين، لا الصحيحتان ."[1] **ولهذا ذكر أهل عالم التركيب في وضع الخطوط في حروف العلة الياء المكسور ما قبلها ؛ إذ قد توجد الياء الصحيحة ولا كسر قبلها، وكذلك الواو المضموم ما قبلها، ولما ذكروا الألف لم يقولوا المفتوح ما قبلها ؛ إذ لا توجد إلا والفتح في الحرف الذي قبلها بخلاف الواو والياء، فالاعتلال للألف لازم أبدا .**"[2]

وقد وسّع **التفتازاني** دلالة هذا المصطلح؛إذ لم يقصره على الألف والواو المضموم ما قبلها، والياء المكسور ما قبلها، بل حتى إذا تحركت هذه الأخيرة، فإنها تسمى حروف علة، يفهم هذا من قوله: "**إنّ حروف العلة إن كانت متحركة لا تسمى حروف المدّ واللين لانتفائها فيها .**"[3] وأيضا من قوله: "**وأما الألف فيكون حرف مدّ أبدا، وهما تارة يكونان حرفي علة فقط، وتارة حرفي لين أيضا، وتارة حرفي مد، فحروف العلة أعمّ منهما، وحروف اللين أعمّ من حروف المدّ .**"[4]معنى ذلك أنّ العلّة مصطلح يخص الياء والواو فقط في حالة تحركّهما، أما إذا تحرّك ما قبلهما بحركة من جنسهما فإنهما يسميان حرفي مدّ، وفي حالة ما إذا كانا ساكنين وحركة ما قبلهما من غير جنسهما، فإنهما يسميان حرفي لين. **الشريف الجرجاني** فذكر أنّ العلة تخص الواو والياء والألف مطلقا [5] دون أن يوضح حالتها.

ذكر **ابن عربي** أن المصوتات الثلاثة سميت علة ؛ لأن المصوتات القصيرة هي علة وجودها؛ أي إنّها معلولة عنها، يقول: "**الحروف المولّدة عن**

1- الفتوحات المكية، 1/ 336.

2- نفسه، 2/ 138، 13/ 313.

3- شرح مختصر التصريف العِزّي، ص: 106.

4- نفسه، ص: 106.

5- التعريفات، ص: 219.

الحركات الثلاثة تسمى حروف العلة؛ أي: وُجدت معلولة عن هذه العلل." [1] وتعليل **التفتازاني** لهذه التسمية كان غير ما قدّمه **ابن عربي**؛ حيث نجده يقول: "**حروف العلة سميت بذلك ؛ لأن من شأنها أن ينقلب بعضها إلى بعض."** [2] إضافة إلى قوله: "**وحقيقة العلة تغيير الشيء عن حاله ."** [3] معنى هذا أنّ الألف والواو والياء سميت بالمعتلة ؛ لأنها لا تثبت على حال، وإنما تتغيّر وينقلب بعضها إلى بعض .

وإذا حاولنا الربط بين الدلالة العلمية الاصطلاحية للعلة وبين الدلالة اللغوية، فإنّنا نجدها تتقاطع بعضها مع بعض ؛ ذلك أنّ العلّة في اللغة : المرض، وعلّ يعِلُّ واعتَلّ؛ أي: مرض، فهو عليل، وحروف العلة والاعتلال: الألف والياء والواو، سميت بذلك للينها وموتها . [4] وهذا يتناسب وما قدّمه **التفتازاني** والنحويون القدامى من قبله . وفي المعجم الوسيط، العلة : المرض الشاغل، وعند الفلاسفة: كل ما يصدُر عنه أمر آخر بالاستقلال أو بواسطة انضمام غيره إليه، فهو علّة لذلك الأمر. [5] وهذا يتناسب وما قدمه ابن عربي.

يتجلى لنا مما تقدّم وجه المناسبة والمشابهة بين المدلول اللغوي للّفظة ومدلولها الاصطلاحي، فابن عربي استقى هذا المصطلح من ثقافته التي غلب عليها الطابع الفلسفي، أما **سعد الدين التفتازاني**، فاستقاها من ثقافته التي غلب عليها الطابع اللغوي والبلاغي.

1- الفتوحات المكية، 13/ 314.

2- شرح مختصر التصريف العِزّي، ص: 109.

3- نفسه، ص: 105.

4- لسان العرب، مادة : [ع ل ل]، 11/ 469 .

5- المعجم الوسيط ،مادّة : [ع ل ل]، ص: 623.

بعد أن عرضنا أصول التفكير الصوتي عند الفلاسفة المسلمين مدعّما بالمصطلحات العلمية التي وظّفوها للدلالة على المصوتات، سننتقل إلى عرض الدراسة الأصواتية وذلك الوظيفية عند الفلاسفة المسلمين.

ثالثا: الدراسة الأصواتية للمصوتات:

سنحاول في هذا المبحث أن ندرس المصوّتات العربية بمعزل عن التركيب؛ أي أصواتيا؛ لذلك سنستهله بالحديث عن تعداد الفلاسفة المسلمين للمصوّتات، منتقلين بعد ذلك إلى تحديد مخارجها كما وردت عندهم، وهذا سيدفعنا للحديث عن كمّية المصوّتات بحكم العلاقة المخرجية بين المصوتات القصيرة والطويلة كما سيتضح، إضافة إلى أنّنا خصّصنا جزءا من هذا المبحث للحديث عن موقعيّة المصوّت من الصامت، وللحديث كذلك عن الخفّة والثقل في المصوّتات من الناحية النّطقيّة.

1 ــ عدد المصوتات:

إنّ عدد المصوتات كما هو معلوم في الدرس اللساني الحديث ثلاثة : الفتحة والضمة والكسرة، إلا أن الفلاسفة المسلمين كانوا على وعي تامّ بأنّ هذه المصوتات تتفرع عنها مصوتات بينيّة تختلف تبعا لاختلاف اللهجات، وهذا ما أشار إليه **الفارابي** بقوله: " **والمصوّتات الطويلة منها أطراف، ومنها ممتزجة عن الأطراف، والأطراف ثلاثة: إما الطرف العالي وهو "الألف"، وإمّا الطرف المنخفض وهو "الياء"، وإما المتوسّط وهو "الواو"، والممزوجة، إمّا ممزوجة من "الألف والياء" وإمّا من "ياء وواو"، وإمّا من "ألف وواو". وكلّ واحدة من هذه الممتزجة إمّا مائلة إلى أحد الطرفين، أو متوسّطة غير مائلة، والمائلة إمّا إلى هذا وإمّا إلى ذاك . ولمّا كانت المصوّتات الممتزجة بالجملة ثلاثة، وأصناف كل واحدة منها ثلاثة ؛ صارت جملتها تسعة. وقد يمكن أن ينقسم**

كلّ واحدة من هذه ، غير أنّ مسموعات أقسامها تتقارب تقاربا لا يميّز السمع بين فصولها، ولذلك ينبغي أن يُقتصر منها على هذه التسعة، ويُجمَع إليها الأطراف الثلاثة فتصير أصناف المصوّتات الطويلة المنفصلة بفصول بيِّنة في السمع اثني عشر مصوّتا ." [1]

اقتصر **الفارابي** في حديثه عن المصوّتات الطويلة دون القصيرة، فالطويلة الصريحة ثلاثة،وهي الألف والواو والياء، وهي ما عبّر عنها بالأطراف.ويقصد بالممتزجة : المائلة إلى أحد أختيها. والممتزجة عدّتها ستة مصوّتات، سنحاول تبيّنها، فالممتزجة من الألف والياء إمّا أن تكون ألفا مائلة إلى ياء، أو ياء مائلة إلى الألف، والممتزجة من الياء والواو، إمّا أن تكون بين الياء والواو، أو تكون بين الواو والياء، أمّا الممتزجة من الألف والواو ؛ فتكون بين الألف وبين الواو، أو بين الواو والألف، ويتوسط كل مصوّتين ممتزجتين مصوّت واحد، وبالتالي تصبح جملتها اثني عشر مصوّتا. غير أنّ الاستعمال يثبت لنا ثلاثة مصوّتات فقط من هذه الممتزجة، وهي الألف الممالة نحو الياء، ومصوّت التفخيم الناتج عن جنوح الألف نحو الواو، والثالث هو مصوّت الإشراب؛ أي : إشراب الياء شيئا من الواو المدّية.

وقد فصّل **أبو العلاء المعري** الحديث عن الإمالة وأصنافها، وأوّل ما أشار إليه هو أنّ أصل الإمالة للأفعال والأسماء فرع داخل عليها [2]. كما ذكر أنّ الإمالة توجد في كلام العرب على سبعة أنحاء: [3]

1 ـ إمالة لياء موجود كإمالة: شَيْبَان، وعَيْمَان.

1- الموسيقى الكبير، ص: 1074 .

2- رسالة الملائكة، ص: 187، وهذه الأمثلة التي ذكرها المعرّي مأخوذة من كتاب سيبويه، الكتاب، 4/ 230 .

3- رسالة الملائكة، ص: 188 ـ 189 .

2 ـ إمالة لياء غير موجودة في اللفظ، وهي في البناء منقلبة، كإمالة باع، وسار؛ لأنه من البيع والسير.

3 ـ إمالة لكسرة موجودة ،كإمالتهم ألف عماد، وكافر.

4 ـ إمالة لكسرة غير موجودة، ولكّنها مقدّرة في أصل البناء ،كإمالتهم خاف؛ لأجل الكسرة التي في خِفْتُ.

5 ـ إمالة لإمالة، كقولك : رأيت عمادا، فأمالوا الألف التي بعد الدال ؛ إذا وقفوا ؛ لإمالتهم الألف التي بعد الميم.

6 ـ إمالة للتّشبيه، وهي إمالة ألف غزا، كأنهم شبّهوا ذوات الواو بذوات الياء.

7 ـ إمالة شاذّة، نحو قولهم: الحجاج، أمالوا الاسم من هذا النّحو.

نستنتج من الكلام الذي قدّمه **أبو العلاء المعري** أنّ أصل الإمالة للألف، وهي أن ينحو بها المتكلم نحو الياء أو الكسرة. وجعل **الخوارزمي** التفخيم مقابلا للإمالة، وهي تقع على الأصوات التي قبل الياءات نحو : عيسى وموسى . [1] أمّا **فخر الدين الرازي** فجعل **الإشباع** مقابلا للإمالة، وهو الأصل، والإمالة فرع مشهور كثير الاستعمال [2]. ويتّفق **الرّازي** مع **الخوارزمي** في أنّ الإمالة تغلب على الاسم المقصور . [3]

أشار أبو **العلاء المعري** إلى أنّ بعض الأدوات تدخلها الإمالة، رغم أنّ أصلها ألا تمال، ومن أمثلة ذلك: إمالة ياء النداء، يقول : "**و ليست حروف المعاني مما تجب فيه الإمالة، وإنّما حكى النحويون يا زيد ؛ لأن يا عندهم**

1- الخوارزمي، أبو عبد اله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت 387 هـ)، مفاتيح العلوم، مراجعة وتعليق: محمد كمال الدين الأدهمي، ط1، 1930، ص: 30.

2- التفسير الكبير، 21/ 161، 31/ 187.

3- مفاتيح العلوم، ص : 30، والتفسير الكبير، 22/ 3.

في هذا الموضع واقعة موقع الفعل، فكأنهم قالوا: أدعو زيدا، فأمالوا هذا الحرف كما أمالوا الفعل إذا كان واقعا موقعه، وقوّى الإمالة أنّ فيه ياء موجودة ."[1]

نفهم من كلام **أبي العلاء المعري** أنّ علة إمالة أداة النداء هو نزولها منزلة الفعل والإمالة أصلها للأفعال،إضافة إلى أنّ الأداة متركبة من ياء وهذا ما قوى الإمالة فيها.

ظاهرة الإمالة وإن تعددت مصطلحاتها فإنّ مضمونها واحد، يقول: " **الممال عند البصريين هو الألف، فيجعلونها ثلاثة أنواع : ألف تفخيم، وألف ترخيم، وهي ألف الإمالة** [2]**،وكذلك سماها سيبويه في كتابه، وألف بين بين** [3]**، وإنما سمى تلك ألف ترخيم ؛ لأن النطق بها أخف من النطق بالمفخمة ."**[4]، فالألف الممالة نحو الكسرة أخف من نظيرتها الممالة نحو الضم؛ ذلك أنّ مصوّت الضمة أثقل من مصوّت الكسرة، فالضمة مصوّت خلفي، والكسرة مصوّت أمامي، وبالتالي، فإنّ الشفتين مع ألف التفخيم تستديران قليلا، مع اتساع الفم نتيجة لحركة الفك الأسفل، ويرتفع مؤخر اللسان قليلا، فيصير الفم في مجموعه حجرة رنين صالحة لإنتاج الفتحة الصوتية . [5]

1-رسالة الملائكة، ص: 189.

2- نفسه، ص: 190 .

3-سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ)، الكتاب، تعليق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 199، 4/ 378.

4- رسالة الملائكة، ص: 190.

5- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2001، ص:53 .

أورد أبو العلاء المعري رأي الفراء في الصوت الممال، أهو الألف، أم الصوت الذي قبله، فالفراء يرى أن الممال هو ما قبل الألف ؛ حيث جعل النون هي المكسورة في قوله تعالى :(الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعون) [1]، **وقد استحسن** أبو العلاء المعري **هذا الرأي.** [2]**وهذه التفاتة مهمّة من** الفراء **في أنه قبل إمالة الألف لا بد من إمالة مصوّت الفتحة أوّلا؛ لأنه بامتدادها تتشكل الألف الممالة.**

لقد أكّد **أبو العلاء المعري** في غير موضع أنّ أصل الإمالة للألف، وإن كانت العرب قد أمالت أشياء إلى الكسرة وإلى الضمة [3]، ولعلّ الذي يقصده **المعري** بالإمالة إلى الضمة : التفخيم أو إشراب الكسرة شيئا من الضمة.

نصّ **فخر الدين الرازي** على أنّ الألف تمال نحو الياء لتدل على الياء إذا كان انقلابها عنها .مع أنّ من القرّاء من أمالوا ألفاظا منقلبة ألفاتها عن واو، مثل الإمالة في قوله تعالى: (وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى *) [4]والآيات التي بعدها، يقول: " **فإنّه لما ابْتُدِئت السورة بحرف الياء أتبعها بما هو من الواو؛ لأن الألف المنقلبة عن الواو، قد توافق المنقلبة عن الياء، ألا ترى أنّ تلوت وطحوت، ونحوهما، قد يجوز في أفعالها أن تنقلب إلى الياء، نحو: تلى، ودحى، فلمّا حصلت هذه الموافقة استجازوا إمالته كما استجازوا إمالة ما كان من الياء .**" [5]

---

1 ـ الآية : 156 من سورة البقرة .

2- رسالة الملائكة، ص: 190، 191 .

3- نفسه، ص: 196 .

4 ـ الآية : 01 ـ 02 من سورة الضحى .

5- التفسير الكبير، 31/ 187 – 188.

معنى هذا الكلام أنّ بعض القراء أمالوا الألفات وإن كانت منقلبة عن واو مراعاة للفواصل القرآنية، وطلبا للتناسب، إضافة إلى أنّ بعضها تنقلب أفعالها إلى ياء، وهذا يقوي الإمالة فيها.

و ذكر **الرازي** أنّ الإمالة ليست مطردة عند جميع العرب، بل من القبائل من التزمت التفخيم وتركت الإمالة [1]، أمّا علة القبائل التي أمالت فهي طلب الخفة . [2]

بعد هذا الكلام عن مصوّت الإمالة وتناول الفلاسفة له، نعود إلى آخر جزء من كلام **الفارابي** في قوله: "**غير أنّ مسموعات أقسامها تتقارب تقاربا لا يميز السمع بين فصولها**"، فقصده من هذا الكلام يوافق ما أقرّته الدراسات اللغوية الحديثة، من أنّ ما يمكن أن ينطق به الإنسان من المصوتات يجاوز الخمسين صوتا، وإن كان الموجود منها أقل من هذا العدد بكثير . [3]

كلّ ما قدّمناه من كلام، يخص المصوّتات الطويلة، أما المصوّتات القصيرة فسيكون الكلام عنها مع **فخر الدين الرازي**؛ الذي قسمها إلى قسمين، كما يتضح من قوله: "**الحركات إمّا صريحة أو مختلسة، والصريحة إما مفردة أو غير مفردة، فالمفردة ثلاثة، وهي : الفتحة، والكسرة، والضمة، وغير المفردة ما كان بين بين، وهي ستة ؛ لكل واحدة قسمان، فللفتحة ما بينها وبين الكسرة، أو ما بينها وبين الضمة، وللكسرة ما بينها وبين الضمة، أو ما بينهما وبين الفتحة، والضمة على هذا القياس، فالمجموع تسعة . وهي إما مشبعة أو غير مشبعة، فهي ثمانية عشر، والتاسعة عشر المختلسة، وهي**

1- نفسه، 31/ 188.

2- رسالة الملائكة، ص: 191.

3- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، ط4، 1971، ص: 36، وحسام سعيد النعيمي، أبحاث في أصوات العربية، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد ـ العراق، ط1، 1998، ص: 97.

ما تكون حركة، وإن لم يتميز في الحس لها مبدأ، وتسمى: الحركة المجهولة، بها قرأ أبو عمرو: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ ﴾ [1] **مختلسة الحركة من بارئكم وغير ظاهرة بها ."** [2]

قسّم **فخر الدين الرازي** المصوّتات إلى صريحة ؛ وهي المصوّتات الظاهرة التي يمكن تبيّنها، وإلى مختلسة؛ وهي التي لا يمكن تمييزها ؛ كما في قراءة **أبي عمرو بن العلاء** . [3]والمصوّتات الصريحة هي الأخرى تنقسم إلى مفردة وإلى غير مفردة، فالمفردة هي المصوتات القصيرة الثلاثة : الفتحة والكسرة والضمة،وسمّاها المفردة ؛ لأنها لا تمتزج مع مصوّت آخر، أمّا غير المفردة فهي المصوّتات البينيّة التي تكون بين بين، ومجموعها ستّة ؛ أي إنّه من كل مصوّت مفرد ينشأ مصوّتان بينيّان، فمن الفتحة ينشأ مصوّتان: الأول يكون بين الفتحة والكسرة ؛ وهو مصوّت الإمالة، والثاني بين الفتحة والضمة ؛ وهو مصوّت التفخيم، والكسرة كذلك، ينشأ عنها مصوّتان غير مفردين، واحد يكون بين الكسرة والضمة؛ وهو مصوّت الإشمام، وآخر يكون بين الكسرة والفتحة ؛ ولعلّه يقصد به تفخيم الكسرة. أمّا فيما يخص مصوّت الضمة، فشأنه في ذلك شأن الفتحة والكسرة؛ إذ هو الآخر ينشأ عنه مصوّتان بينيّان: أحدهما بين الضمة والفتحة، والآخر بين الضمة والكسرة، ولعلّ مقصوده من الأول : هو مصوّت التفخيم الذي أشار إليه بقوله: "بين

---

1 ـ الآية : 54 من سورة البقرة .

2- التفسير الكبير، 1/ 55.

3- قال بعضهم إنه كان يسكن الحركة، وأكّد فخر الدين الرازي أنه كان يختلسها، التفسير الكبير، 8/ 93 .

الفتحة وبين الضمة"، ومن الثاني :مصوّت الإشمام الذي أشار إليه في البداية بـ "بين الكسرة وبين الضمة".

مما تقدم، يتضح لنا أن المصوّتات غير المفردة في حقيقتها ثلاثة وليست ستة كما ذكر **الرازي**، فهي مصوّت التفخيم، ومصوّت الإشمام، إضافة إلى تفخيم مصوّت الكسرة بإشرابه شيئا من الفتحة في بعض المواضع، وهذه الأخيرة أشار إليها **الفارابي** بالأطراف الممتزجة كما تبيّن معنا.

وأكّد **فخر الدين الرازي** كلام **الفارابي** فيما يخص عدم انحصار المصوّتات في العدد المذكور، وبرهن لذلك بما ذكره **ابن جني** عن أستاذه **أبي علي الفارسي** من أنّه سمع فتحة غريبة لم يسمعها من قبل، يقول: **"قال ابن جني اسم المفتاح بالفارسية وهو كليد [1] لا يُعرف أنّ أوّله متحرك أو ساكن، قال: وحدّثني أبو عليقال : دخلت بلدة [2] فسمعت أهلها ينطقون بفتحة غريبة لم أسمعها قبل، فتعجّبت منها، وأقمت هناك أيّاما فتكلمت أيضا بها، فلما فارقت تلك البلدة نسيتها."** [3]

معنى هذا الكلام أن عدد المصوتات يفوق ما ذكره **الرازي**، وهي تختلف من لغة إلى أخرى.

ما نخلص إليه هو أنّ عدّة المصوّتات ثلاثة : فتحة وضمة وكسرة، أمّا ما ذكروه من أنواع، فهي لا تعدو أن تكون مجرد فروع لهذه الأصول الثلاثة، فهم بذلك نهجوا منهج النحاة واللغويين القدامى .

1- قال ابن جني:" **أما أنا فأسمعهم ـ أي الفرس ـ كثيرا إذا أرادوا المفتاح قالوا: كليد، فإن لم تبلغ الكاف أن تكون ساكنة، فإن حركتها جد مضعفة، حتى إنها ليخفى حالها عليّ ؛ فلا أدري أفتحة هي أم كسرة، وقد تأملت ذلك طويلا فلم أحلَ منه بطائل** .", الخصائص، ص: 105.

2- اسم البلدة هيتا على ما ذكره أبو علي الفارسي، الخصائص، ص: 105.

3- التفسير الكبير، 1/ 55، والخصائص، ص: 105.

2 ــ مخارج المصوتات :

قسّم الفلاسفة المسلمون الأصوات إلى ثلاثة أقسام، صامتة ومصوّتة، وإلى نصف مصوّتة (التي لها نصف صوت)، وهذا ما يظهره حديث **ابن سينا** عن المقطع . ونجد مثل هذا التقسيم عند الفلاسفة اليونان، يقول **أفلاطون(ت347ق.م)** : " **ألا ينبغي لنا أن نبدأ بنفس الطريقة بالحروف في البداية، نضيف الحروف الصائتة، ثمّ بعد ذلك الصامتة والساكنة في مجموعات، وفقا للتمييزات المتلقاة من المختصّين في الصوتيات .** "[1]

أشار **أفلاطون** إلى التقسيم الثلاثي للأصوات مع أنّه ليس من اختصاصه، وإنّما هو من اختصاص المشتغلين في الصوتيّات، ونجد مثل هذا التقسيم عند تلميذه **أرسطو(ت322ق.م)**، يقول : "**و أجزاء الحروف هي الصائتة، ونصف الصائتة، والصامتة.**"[2] و ما يهمّنا من هذه الأقسام الثلاثة هو المصوتات التي استثناها **ابن عربي** من جملة الأصوات بقوله : "**وليست الألف وحروف اللين من الحروف .** "[3] وسيظهر لنا البحث علّة هذا الاستثناء .

أ– مخرج المصوتات القصيرة :

اهتم الفلاسفة المسلمون بالحديث عن مخارج المصوتات القصيرة، خاصة **فخر الدين الرازي** الذي أولاها عناية كبيرة؛ حيث إنه اهتم بإبراز دور الشفتين، ووضعية اللسان أثناء إنتاجها[4]، وهذا ما سيتبيّن معنا في البحث، ونبدأ الحديث بمخرج الفتحة.

1ـ أفلاطون، المحاورات، ترجمة : زكي نجيب محمود، مكتبة الأسرة، القاهرة ،دط، 2005، ص :175 .

2ـ أرسطوطاليس، فن الشعر، نقله من السريانية إلى العربية : متى بن يونس القُنّائي، تحقيق : شكري محمد عيّاد، دار الكتاب العربي، القاهرة، دط، 1967، ص : 110 .

3ـ المبادي والغايات في معاني الحروف والآيات، ص : 171 .

4ـ ينظر : ختيرعيسى بوخاتم مولاي علي، الصوائت عند فخر الدين الرازي "دراسة تطبيقية في التفسير الكبير" جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس ـ الجزائر، 2008 ـ 2009، ص : 60 .

1 ـ**مصوّت الفتحة**: بداية لا بأس من الإشارة إلى أنّ الفلاسفة المسلمين كانوا مدركين تمام الإدراك أنّ الفرق بين المصوتات الطويلة والقصيرة لا يعدو أن يكون مجرد فرق في الكمية؛ لذلك ربطوا مخرج القصيرة بالطويلة، وهذا ما يظهر من قول **ابن سينا**:"**و أمّا الألف المصوتة وأختها الفتحة، وأظنّ أنّ مخرجها مع إطلاق الهواء سلسا غير مزاحم .**"[1]

نفهم من هذا الكلام أنّ مخرج الفتحة ومخرج الألف واحد، مع أنّ **ابن سينا** لم يحدّد مخرجهما، بل اكتفى بالإشارة إلى طبيعة مرور الصوت؛ الذي يكون في سهولة وانقياد غير مزاحم ؛ أي : دون أن يعترض طريقه عضو.

أشار **البطليوسي** إلى أنّ مخرج الفتحة من الحلق[2]، ولعلّه كان متأثرا في هذا التحديد بطبيعة الألف؛ الذي هو عبارة عن نفس يمتد إلى الحلق، واكتفى **ابن رشد** بالقول إنّ مخرج الفتحة يتوسط مخرج الضمة؛ التي هي قريبة من الحلق ومن مخرج الكسرة .[3]

وأبرز **فخر الدين الرازي** دور الشفتين في النطق بمصوّت الفتحة، يقول: "**ثم الفتحة يكفي فيها عمل ضعيف لتلك العضلة الصّلبة الواصلة إلى طرفي الشفة .**"[4] وأضاف : "**ومن أراد التلفظ بالفتحة فإنه لا بد له من فتح الفم بحيث تنتصب الشفة العليا عند ذلك الفتح .**"[5] أي إنّ الشفتين مع الفتحة تنفتحان وتتخذان وضع الاستواء؛ الذي هو الانتصاب و"**الاستواء في كلام العرب قد يكون بمعنى الانتصاب.**"[6]

1- رسالة أسباب حدوث الحروف، ص: 21.

2-الحلل في إصلاح الخلل الواقع من كتاب الجمل، ص: 334.

3- الضروري في صناعة النحو، ص: 55.

4- التفسير الكبير، 1/ 56.

5-التفسير الكبير، 1/ 56.

6- نفسه، 2/ 155.

والفتحة حركة استواء عند **محيي الدين بن عربي** [1]، ولم يشر إلى العضو الذي يتخذ شكل الاستواء مع الفتحة، أهو الشفتان أم اللسان؟

2- مصوّت الكسرة: يقول **ابن سينا** : "**والياء المصوتة وأختها الكسرة، فأظن أنّ مخرجها من إطلاق الهواء من أدنى تضييق للمخرج، وميل به إلى الأسفل** ."[2] مرّة أخرى لا يشير **ابن سينا** إلى مخرج مصوّت الكسرة ويكتفي بوصف طبيعة الممرّ الذي يسلكه الهواء أو الصوت أثناء خروجه، وهو ممر واسع لا يعترضه أي عضو، فقط تضييق طفيف لا يعيق تسرب الهواء ،كما أشار إلى ميل الصوت إلى أسفل؛ ولعله أحسّ أنّ مخرج الكسرة من مقدّم الفم إلا أن الهواء معها ينقطع في أسفل الحلق . ولعلّ هذا ما يفسر وصف النحاة واللغويين لها بالتسفل .

أشار **البطليوسي** إلى أن مخرج الكسرة من وسط الفم [3]، ذلك أن الكسرة من الياء والياء من وسط الفم، ولكنّه لم يذكر وضعية اللسان ولا الشفتين أثناء نطقها. أما **الرازي**، فعنى بإبراز دور الشفتين في نطق الكسرة، يقول: "**وأما الكسرة فإنه يكفي في تحصيلها العضلة الواحدة الجارية** ."[4] **ومن أراد التلفظ بالكسرة، فإنه لا بد له من فتح الفم فتحا قويا، والفتح القوي لا يحصل إلا بانجرار اللحى الأسفل وانخفاضه، فلا جزم يسمى ذلك جرّا وخفضا وكسرا ؛ لأن انجرار القوي يوجب الكسر** ."[5]فمع الكسرة تعمل عضلة واحدة، ولعله يقصد بها الشفة السفلى مع انفتاح الشفتين فتحا قويا ، وهذا لا يتأتّى إلا بانسحاب اللحى إلى أسفل.

1- المبادي والغايات في معاني الحروف والآيات، ص: 86.

2- رسالة أسباب حدوث الحروف، ص: 22.

3- الحلل في إصلاح الخلل الواقع من كتاب الجمل، ص: 334.

4- التفسير الكبير، 1/ 56.

5- نفسه، 1/ 56.

3 – مصوّت الضمة:ربط **ابن سينا** مخرجها بمصوّت الضمة الطويل، يقول: " **والواو المصوتة وأختها الضمة، فأظن أنّ مخرجها مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل سلسل به إلى فوق .**"[1] أي إنّ الهواء معها يخرج بميل الهواء إلى أعلى، نتيجة ارتفاع مؤخّر اللسان ناحية الحنك الأعلى .

والكلام الذي قدمه **ابن رشد** عن مصوّت الضمة يتفق إلى حدّ كبير مع الدرس الصوتي الحديث، يقول: **والضمة يوجد مخرجها أبدا في الحرف الواحد بعينه متقدّما على مخرج الفتحة والكسرة فيه، أعني أنها أقرب إلى الحلق في المخرج، ولما كان مخرج الضمة هو أرفع من مخرج الفتحة والكسرة .** [2]
لعل **ابن رشد** يقصد بقوله إنّ الضمة أقرب إلى الحلق : أنها من أقصى الحنك؛ ذلك أنّ اللسان يرتفع ناحية أقصى الحنك الأعلى تاركا فراغا واسعا؛ بحيث لا يحدث أي احتكاك .

وذكر **البطليوسي** أنّ مخرجها من الشفة [3]. وكما هو واضح، فإنّه نسب مخرج الضمة إلى الشفة، ذلك أنّ العضو الذي يبرز ويظهر في إنتاجها هو الشفتان، وبما أن أقصى اللسان والحنك لا يبرزان فقد أغفل ذكرهما .

ذكر **الرازي** دور الشفتين في إنتاج مصوّت الضمة، وذلك في قوله : " **أثقل الحركات الضمة؛ لأنها لا تتم إلا بضم الشفتين ؛ ولا يتم ذلك إلا بعمل العضلتين الصلبتين الواصلتين إلى طرفي الشفة .**"[4] و في قوله: " **مَن أراد أن يتلفظ بالضمة، فإنه لا بد له من ضم شفتيه أوّلا، ثم رفعهما ثانيا .**"[5]
ففي إنتاج الضمة تتقلص الشفتان وتنضمّان مع ارتفاع إلى أعلى.

1- رسالة أسباب حدوث الحروف، ص: 21.
2- الضروري في صناعة النحو، ص: 55.
3- الحلل في إصلاح الخلل الواقع من كتاب الجمل، ص: 334.
4- التفسير الكبير، 1/ 56.
5- نفسه، 1/ 56.

يمكن القول ـ مما تقدم ـ إنّ الفلاسفة المسلمين ركّزوا في وصفهم لمخارج المصوتات القصيرة على الأعضاء الأكثر بروزا، وهذا ما لاحظناه بخاصة مع فخر الدين الرازي .

ب– مخرج المصوتات الطويلة :

إنّ أهم ما يميّز المصوّتات الطويلة هو اتساع مخارجها ،إضافة إلى أنها تخرج من غير كلفة على اللسان . ولعل هذا الكلام هو أهمّ ما قدمه الفلاسفة في وصف مخارج هذه الأخيرة،و مع ذلك فهذا
لا يعدم وجود إشارات عن مخارجها،مثلما سيتبيّن معنا .

1– الفتحة الطويلة :سبق وذكرنا إشارة **ابن سينا** إلى أنّ الهواء أو الصوت مع الفتحة الطويلة لا يجد أدنى تضييق يَمنع تسرُّبه، أي إنّه صوت يتسم باتساع مخرجه، وهذه الخاصية في المخرج تمنحها قوة إسماع، يقول **إخوان الصفا** : **"و كل جسمين من جوهر واحد، مقدارهما واحد، نُقرا نقرة واحدة معا، فإن صوتيهما يكونان متساويين، فإن كان أحدهما أجوف كان صوته أعظم ؛ لأنه يصدم هواء كثيرا داخلا وخارجا ."** [1]

و الطويلة (الألف) أقصى الأصوات مخرجا عند **الباقلاني** [2]؛ أي إنّها من أقصى الحلق مع الهمزة، ولكنه استثناها من جملة الأصوات الحلقية حينما عدّدها [3]؛ لذلك يحتمل أن يكون قصده من الألف الهمزة .

كذلك الرازي جعل الألف والهمزة من أقصى الحلق [1]. ويقول**ابن عربي** واصفا لها : [2]

1– رسائل إخوان الصفا، 1/ 190.

2– ينظر : الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق : أحمد صقر، دار المعارف، مصر ـ القاهرة، ط3، ص: 46.

3ـ نفسه، ص : 44 .

أَلِف الذّاتِ تَنَزَّهْتِ فَهَـــــلْ لَكِ فِي الأَكْوانِ عَيْنُ وَمَحَــل ؟

قالَ: لا غَيْرُ الْتِفـــــــاتي فَأَنا حَرْفُ تَأْبيــد تَضَمَّنْتُ الأَزَلْ .

فَأَنا العَبْدُ الضَّعيـــــف المُجْتَبى وَ أَنا مَنْ عَزَّ سُلْطاني وجَــلْ .

يوضح **محيي الدين بن عربي** من هذه الأبيات أنّ الألف ضعيفة لا تختصّ بمخرج معين، وهذا ما جعله يستثنيها من جملة الأصوات، يقول: **"الألف ليست من الحروف، ولكن قد سمّته العامة حرفا على سبيل التجوّز في العبارة ."**[3] ؛ لأن الألف صورة ما لا انحصار لطرفيه [4]، ومع ذلك، نجده يقول: **"الألف يسري نفَسُه من أقصى المخارج ؛ الذي هو مبعث النفس إلى آخر المنافس، ويمتد في الهواء الخارج وأنت ساكت."**[5]أي إنّ الألف هواء في الفم، وبما أنّه لا يُعتمد في إخراجه على عضو معيّن ؛ فهي ليست من الأصوات .

2- مخرج الكسرة الطويلة :عبّر **الفارابي** عن الياء بالطرف المنخفض، يظهر ذلك من قوله : **"و أما الطرف المنخفض ،وهو الياء ."**[6] ولعلّه يقصد بالانخفاض انخفاض الحنك الأسفل . وقال **ابن سينا** إنّ الهواء أثناء إخراج الياء المدّية يلقى تضييقا طفيفا بالمقارنة مع الألف، إلا أن هذا التضييق لا يمنع

1- التفسير الكبير، 2/ 10.

2- الفتوحات المكية، 1/ 295.

3- الفتوحات المكية، 1/ 295، والمبادي والغايات في معاني الحروف والآيات، ص : 171، والرسائل، ص: 85.

4- المبادي والغايات في معاني الحروف والآيات، ص: 130.

5- الفتوحات المكية، 1/ 335 – 336، والرسائل، ص: 44 .

6- الموسيقى الكبير، ص: 1073.

تسرب الهواء معه، مع ميل سلسل إلى أسفل [1] وبصفة الاستفال أيضا وصفها **ابن عربي** . [2] و بذلك يكون كلامه قريبا من الكلام الذي قدّمه **ابن سينا**.

وذكر **التفتازاني** أنّ مخرج الكسرة الطويلة (الياء) متوسط بين مخرجي الهمزة والواو [3]. ذكر هذا الكلام وهو يقصد بالهمزة الألف والواو المدّية . معنى هذا أنّ الياء تلي الألف في المخرج باعتماد الترتيب الصوتي من الحلق إلى الشفة.

3- مخرج الضمة الطويلة :أشار إليها **الفارابي** بالمتوسط، يقول: "**وإما المتوسط، وهو الواو.**" [4] ومن الدارسين من يرى أن **الفارابي** يقصد بالمتوسط: حجم الفراغ الفموي داخل الفم ؛ بحيث يكون أقل شساعة ممّا هو عليه مع الألف . [5]

ويرى **ابن سينا** أنّ الهواء مع الواو يلقى بعض التضييق، ولكنه لا يُعيق تسرب الهواء، بحيث يميل في سلاسة إلى أعلى . [6] ولعلّه يقصد بميل الصوت إلى أعلى كبر حجرة الرنين بين اللسان والحنك الأعلى ؛ ذلك أنّه ينتج عن استواء اللسان في قاع الفم سعة الفراغ بينه وبين الحنك الأعلى مما يؤدّي إلى كبر حجرة الرنين، مع أنه لم يشر إلى حركة اللسان .

نسب **ابن عربي** مخرج الواو إلى الشفة، وهو آخر المخارج . [7] إضافة إلى وصفها بالرفعة والعلوّ. [1] ولعلّه يقصد بالرفعة والعلوّ ارتفاع وعلو مؤخّر

1- رسالة أسباب حدوث الحروف، ص: 22.

2- الرسائل، ص: 112.

3- شرح مختصر التصريف العزي، ص: 37.

4- الموسيقى الكبير، ص: 1073.

5- ينظر: أمينة طيبي، الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس ـ الجزائر، 2004- 2005، ص : 164.

6- رسالة أسباب حدوث الحروف، ص: 21.

7- الرسائل، ص: 85، 117.

اللسان ناحية الحنك الأعلى، لأنه كان قد ذكر أنّ طبيعة الأصوات هي طبيعة مخارجها .[2] و إلى المخرج نفسه نسبها **سعد الدين التفتازاني** بقولـه : "**الـواو منتهى مخرجي الهمزة والياء ؛ لكونها شفوية.**"[3]

والملاحظ أنّ **التفتازاني** ركّز في وصفه لمخرج الضمة الطويلة على دور الشفتين، وهذا ما لاحظناه في وصفهم للمصوتات القصيرة.

بعد أن عرضنا مخـارج المصـوتات القصـيرة والطويلـة عنـد الفلاسـفة المسلمين نودّ أن نقابل وصف **الفارابي** لها بما ذكره **الداني** أثناء تعليله لاتخـاذ المصوّتات لهذه المواضع، ولذلك سنذكر النصين ثم نحاول الربط بينهما .

قال **الفارابي** :"**والأطراف ثلاثة، إمّا الطرف العالي وهو "الألف"، وإمّا الطرف المنخفض وهو "الياء" ،و إمّا المتوسّط وهو "الواو"** .[4]

وقال **أبو عمرو الداني** : "**فموضع الفتحة من الحرف أعلاه ؛ لأن الفتح مستعل، وموضع الكسرة من أسفله؛ لأن الكسر مستفل، وموضـع الضـمة من وسطه أو أمامه ؛ لأن الفتحة كما حصلت في أعلاه والكسرة في أسفله ؛ لأجل استعلاء الفتح، وتسفّل الكسر، بقي وسطه ؛ فصار موضعا للضّمة.**"[5]

يقصد **الفارابي** بالأطراف الحدود الظاهرة البيّنة، وهي ثلاثة، الحدّ الأول هو: الألف، وهو العالي أو المستعلي كما وصفه **الداني**، والثاني هو الياء، وهو المنخفض أو المستفل، أمّا الثالث، فهـو المتوسّـط، وهكـذا وصـفه كلاهمـا . وطبعا لا يمكـن أن يكـون مقصـدهما مـن هـذه الأوصـاف صـفة التفخـيم

1- نفسه، ص: 112.

2 ـ المبادي والغايات في معاني الحروف والآيات، ص : 178 .

3- مختصر التصريف العِزّي، ص: 57.

4ـ الموسيقى الكبير، ص : 1073 .

5ـ المحكم في نقط المصحف، تحقيق: عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، سـوريا، 1960، ص 42.

والترقيق ؛ لأنّ العلو أو الاستعلاء والإنخفاض أو الاستفال هو من صفة العضو، وليس من صفة الصّوت، وبالتالي يمكن تفسير العلوّ بارتفاع واستعلاء الحنك الأعلى نتيجة استواء وانتصاب اللسان في قاع الفم، مع أنهما لم يشيرا إلى حركته، أما الانخفاض فهو انخفاض الحنك الأسفل نتيجة ارتفاع اللسان ناحية مقدّم الفم . والتوسّط يعني اتخاذ الحنكين وضعا وسطا في الارتفاع ؛ لأنّ حركة اللسان تكون ناحية أقصى الحنك .

3 ــ كمية المصوتات:

أدرك النحاة والفلاسفة المسلمون العلاقة بين المصوتات القصيرة والطويلة، يقول **جابر ابن حيان**: "**الفتحة ألف صغيرة، والألف نفسها ألف كبيرة، والضمة واو صغيرة ،و الواو نفسها واو كبيرة، والكسرة ياء صغيرة، والياء نفسها ياء كبيرة .**"[1] يقصد **جابر بن حيان** بالكبيرة : المصوتات الطويلة، وبصغارها : المصوتات القصيرة، وهذه التفاتة مهمّة منه توافق ما انتهى إليه الدرس الصوتي الحديث .

تحدّث **الخوارزمي** أيضا عن العلاقة بين مختلف المصوّتات بما في ذلك مصوّت الإشمام ومصوّت الرَّوم، يقول: " **الرّفع عند أصحاب المنطق من اليونانيين واو ناقصة، وكذلك الضم وأخواته المذكورة، والكسر وأخواته عندهم ياء ناقصة، والفتح وأخواته عندهم ألف ناقصة، وإن شئت قلت : الواو الممدودة اللينة ضمّة مشبعة، والياء الممدودة اللينة كسرة مشبعة ، و الألف الممدودة فتحة مشبعة، وعلى هذا القياس الروم والإشمام ؛ نسبتهما إلى هذه الحركات كنسبة الحركات إلى حروف المدّ واللّين، أعني الألف والواو والياء .**"[2]

1- الرسائل، ص: 297.

2- مفاتيح العلوم، ص: 30 – 31.

كان **الخوارزمي** مدركا أنّ المصوّتات الطويلة تقع في أضعاف المصوّتات القصيرة، وكذلك القصيرة بالنسبة للإشمام وللرّوم.

والإشمام كما عرّفه **البطليوسي**: "**أن تشير إلى حركة الحرف لتخرجها، ولا يمكن ذلك إلا في الضّمة.**"[1]، وعرّفه **الجرجاني** بقوله: "**تهيئة الشفتين للتلفظ بالضم، ولكن لا يُتلفظ به تنبيها على ضم ما قبلها، أو على ضمة الحرف الموقوف عليه، ولا يشعر به الأعمى .**"[2]

معنى هذا أنّ الإشمام هو الإشارة إلى مصوّت الضمّ المراد التلفظ به من غير تصويت . وهو يختص بمصوّت الضمة فقط؛ "**لأنّ مخرجها من الشفتين، فيمكن الناطق أن يضم شفتيه ؛ فيرى المخاطب ذلك، وأمّا الكسرة والفتحة فإن مخرجهما لا يراه المخاطب ؛ لأن مخرج الكسرة من وسط الفم ، و مخرج الفتحة من الحلق .**"[3]

علّل **البطليوسي** اختصاص الإشمام بالضمة دون بقية المصوّتات ؛ كون المستمع يمكنه رؤية وتبيّن العضو المسئول عن النطق بها، فيعرف أنّ مراد المتكلم من هذا الإيماء هو مصوّت الضمة . وفي مقابل ذلك لا يمكن إشمام مصوّت الفتحة ولا الكسرة ؛ كون العضو المسئول عن النطق بكل واحد منهما غير بارز أو ظاهر للسّامع. ويمكن اعتبار قوله إنّ مخرج الفتحة من الحلق صحيحا ؛ لأنّه لا يحدث انحباس للصوت معها، فالهواء مذ يندفع من التجويف الحلقي يستمر دونما انقطاع .

ويكون الرّوم في المضموم والمجرور والمنصوب غير المنوّن على خلاف ؛ لأنه إضعاف الحركة لا سلبها بالجملة، ويمكن للأعمى أن يسمعه .[4] و معنى

1- الحلل في إصلاح الخلل الواقع من كتاب الجمل، ص: 334.

2- التعريفات، ص: 31.

3- الحلل في إصلاح الخلل الواقع من كتاب الجمل، ص: 334.

4-نفسه، ص: 334.

هذا أنّ الرّوم هو إضعاف المصوّت ، وهذا الإضعاف يكون بالانتقاص من مدّته الزّمنيّة .

ويرى **ابن رشد** أن المصّوّتات الطويلة متولدة عن القصيرة، بحيث متى زدنا في كمّيتها بأن مددناها حدثت المصوّتات الطويلة، يقول: " **فالمدّة الحادثة عن الضمة سميت واوا، وجُعل شكلها شكل الواو في الخط ؛ لأنها واو منطوق بها، وكذلك الأمر في المدّة الحادثة عن الفتحة، جُعل شكلها في الخط شكل الألف، وليست الألف المنطوق بها التي هي حرف بالحقيقة، والمدة الحادثة عن الكسرة جُعل شكلها ياء ؛ ولكونها مدّات سموها : حروف مدّ ولين .** "[1] و هذا المدّ والزيادة جعلهما **السكاكي (ت626هـ)** دليلا على أن المصوتات الطويلة من جنس القصيرة، يقول: "**الحركات أبعاض حروف المد واللين، بدليل أنّ حروف المدّ قابلة للزيادة والنقصان في باب الامتداد .** "[2]

لم يختلف كلام **الرازي** عن سابقيه، بل نجده يردّد الفكرة ذاتها، من ذلك قوله :"**الحركات أبعاض المصوتات، والدليل عليه أن هذه المصوتات قابلة للزيادة والنقصان، ولا طرف في جانب النقصان إلا هذه الحركات، ولأن هذه الحركات إذا مدّت حدثت المصوّتات، وذلك يدل على قولنا .** "[3]

أشار **ابن عربي** إلى التفاوت في كمية المصوّتات بـ : الصغر والكبر، يقول: " **اعلم أنّ المراد بالحروف الصغار: الحركات الثلاثة، وهي : الضمة والفتحة والكسرة، ولهذه الحروف حالان : حال إشباع، وحال غير إشباع .** "[4]

1- الضروري في صناعة النحو، ص: 56.

2- السكاكي، أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي (ت626هـ)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ،دط، دت، ص : 61 .

3- التفسير الكبير، 1/ 41.

4- الفتوحات المكية، 13/ 313.

وذكر في موضع سابق : "**الحروف الصغار بإشباعها تكون الحروف الثلاثة ؛ التي هي حروف العلة، وهي حروف المد واللين .**"[1]

إنّ تسميته المصوّتات القصيرة بالحروف دليل على أنها لا تقل أهمية عن الصوامت، أو المصوّتات الطويلة؛ التي هي بمثابة الحروف، والتي حدثت في الأصل من إشباع هذه القصيرة .

وفيما يخص قضية الأصل والفرع في المصوّتات العربية، فإننا نجد **ابن عربي** يذكر كلاما مفاده أن المصوّتات القصيرة هي الأصل والطويلة فرع لها، يظهر هذا من قوله: "**فلنبيّن أوّلا ما المراد بالحروف الصّغار، وما مراتب أولادها، وهي حروف العلل .**"[2] **فابن عربي** شبّه المصوّتات الطويلة بأبناء المصوتات القصيرة، وهذا دليل على أنها نشأت منها، وأنها هي الأصل .

من النصوص التي تقدمت نلاحظ أنّ الفلاسفة المسلمين وظفوا ألفاظا عدّة للتعبير عن الفارق في كمية المصوّتات، من ذلك : الصغار في مقابل الكبار، وبالزيادة مقابل النقصان، وبالإشباع مقابلا لغير الإشباع، إضافة إلى أبعاض وأولاد، ومع ذلك، فهم لم يشيروا إلى المقدار الذي تتفاوت به هذه المصوّتات، إلاّ بعض إشارات **محيي الدين بن عربي** إلى أنّ المصوّتات الطويلة تكون أكثر مدّا إذا وليها صوت الهمزة، نحو: آمن، وكداء، أو وليها مشدد، مثل: الطامّة، والصّاخّة، والدابة .[3]

وعلّل **إبراهيم أنيس** إطالة المصوّتات في مثل هذه الحالات بالحرص على إبقاء طولها؛ لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة وبالإدغام؛ لأن المصوّت يستلزم أن يكون مجرى الهواء معه حرّا، في حين أنّ النطق بالهمزة يستلزم انطباق

1- نفسه، 13/ 310.

2- نفسه، 13/ 310.

3- الفتوحات المكية، 11/ 211 – 212.

فتحة المزمار انطباقا محكما، فإطالة المصوّت مع الهمزة يعطي الناطق فرصة للاستعداد للنطق بالهمزة التي تكلّف جهدا عضويا مقارنة بالمصوّت . [1]

أما بالنسبة للمدغم، فإن المصوّت الطويل يقصر إذا وليه صوتان ساكنان، فحرصا على إبقاء ما فيه من الطول يعمد المتكلم إلى المبالغة في طوله . [2]

وبما أن **ابن تيمية** أظهر عناية بالقرآن الكريم وقراءاته، فقد أشار إلى أنّ مقادير المدَّات غير منضبطة بين القراء دون أن يضبطها . [3]

ما نخلص إليه هو أنّ الفلاسفة المسلمين أدركوا أنّ الفرق بين المصوّتات ليس إلا فرقا في الكمية، والمصطلحات التي وظّفوها تؤكّد ذلك، كما أنّهم لم يحدّدوا هذا الفارق ؛ لأنه لم يكن واحدا ولا مضبوطا كما ذكر **ابن تيمية** بل كان محكوما للمشافهة والسماع .

4 ــ موقعية المصوّت من الصامت :

إنّ موقع المصوّت بالنسبة للصامت مسألة بسط القول فيها **فخر الدين الرازي**، وأشار إليها **أبو العلاء المعري** إشارة عابرة تبناها عن النحاة، يظهر هذا من قوله: "**الحركة عند النحويين بعد الحرف** ." [4] دون أن يناقش ذلك .

أما **فخر الدين الرازي** فقال بأسبقية الصامت في السلسلة الكلامية، وقدّم لذلك الحجج والبراهين، ويتضح موقفه هذا في قوله: "**الصامت سابق**

1- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 159.

2-نفسه، ص : 160.

3- مجموع الفتاوى، 13/ 412.

4- شرح اللزوميات، ص: 36.

على المصوّت المقصور ؛ الذي سُمي بالحركة."[1] و في قوله أيضا إنّ الحركة توجد عُقيب الصامت بصوت مخصوص .[2]

وحجّته فيما ذهب إليه هي أن التكلم بهذه المصوّتات موقوف على التكلم بالصامت، فلو كانت هذه المصوّتات سابقة على هذه الصوامت لزم الدّوْر، وهذا محال .[3] بمعنى أنه يمكننا نطق الصامت ساكنا دونما مصوّت، أما إذا أردنا النطق بالمصوّت مفردا، فلا يمكننا ذلك ؛ لأن الصامت كالمحل للحركة. والحرف إما متحرك أو ساكن .[4] والمراد من حركة الصامت: صوت مخصوص يوجد عقيب التلفظ بالصوت، والسكون عبارة عن وجود الصوت من غير أن يعقبه ذلك الصوت المخصوص ؛ المسمى بالحركة .[5] بمعنى أن الصامت يكون في البداية ساكنا، فإن تبع بصويت الذي هو المصوّت أصبح متحركا، وإن لم يتبع استقر على حاله.

الكلام الذي قدّمه **الرازي** ينفي في الوقت نفسه أن يكون المصوّت حادثا مع الصوت في آن واحد، وهذا ما أكّده بقوله :"**ولا نريد به حلول الحركة والسكون فيه ؛ لأنهما من صفات الأجسام، بل المراد أنه يوجد عقيب الصامت .**"[6] إضافة إلى أن الحركة والسكون من صفات الأجسام والحرف ليس بجسم[7]، وإنّما عرض، وبهذا فإن **الرازي** يؤكد ما قاله **ابن رشد** من كون المتحركات مضافة إلى الأجسام، يقول:"**من المعلومات الأوَل**

1- التفسير الكبير، 1/ 41.

2ـ نفسه، 1/ 41، 1/ 55 .

3- نفسه، 1/ 41، 1/ 55.

4- وعلى هذا الأساس ميزوا بين الحرف والصوت، يقول القاضي عبد الجبار :"**الحروف تتحرك وتسكن دون الأصوات، فيجب كونها غيرا لها**"، المغني في أبواب التوحيد والعدل، 7/ 193.

5- التفسيرالكبير، 1/ 55.

6- نفسه، 1/ 40.

7- التفسير الكبير، 1/ 55.

أن المتحرك ليس يتحرك على نفسه، وأنّ كل متحرك يحتاج إلى شيء ساكن عليه يتحرك ."[1] و هذا يؤكّد أيضا قول **ابن قيّم الجوزية (ت751هـ)** : "**قولهم حرف متحرّك وتحرّكت الواو، ونحو ذلك تساهل منهم، فإنّ الحركة عبارة عن انتقال الجسم من حيّز إلى حيّز، والحرف جزء من المصوَّت، ومحال أن تقوم الحركة بالحرف ؛ لأنّه عرض، والحركة لا تقوم بالعرض، وإنّما المتحرّك في الحقيقة هو العضو من الشفتين أو اللسان أو الحنك الذي يخرج منه الحرف .**"[2] فالأقوال التي تقدّمت تؤكد أنّ المصوّت لا يكون مع الصامت، وإنما يكون تابعا له.

قدّم **الرازي** حجة أخرى، وهي أنّ الأصوات الصلبة [3] كـ : الباء، والتاء، والدال، وأمثالها إنما تحدث في آخر زمان حبس النّفَس وأول إرساله، وذلك آن فاصل ما بين الزّمانين غير منقسم، والمصوّت صوت يحدث عند إرسال النفَس، ومعلوم أن ذلك الآن متقدم على ذلك الزمان فالصامت متقدم على المصوّت .[4]

إذا أمعنّا النظر في الكلام الذي ساقه **الرازي** دليلا على تبعية المصوّت للصامت، نجد أنه قصر حديثه على الأصوات الشديدة ؛ التي هي : التاء، والباء، والدال، والصوتان الأخيران هما من أصوات القلقلة [5] التي لا يوقف عليها إلا بصويت، ولعل هذا الصويت هو الذي قصده **الرازي** بقوله الصوت المخصوص الذي يعقب الصامت، وبالتالي لا يمكن تعميم هذه

1- رسالة السماع الطبيعي، ص: 66.

2ـ ابن قيّم الجوزية، بدائع الفوائد، تحقيق : سيد عمران، عامر صلاح، دار الحديث، القاهرة، 2002، 1/ 42 .

3ـ يقصد بالصلبة : الأصوات الشديدة .

4- التفسير الكبير، 1/ 55.

5- مفتاح العلوم للسكاكي، ص: 4، ولا خلاف في ذلك بين النحاة والفلاسفة.

الحجة على جميع أصوات اللغة بما في ذلك الأصوات الرخوة ؛ التي يجري معها الصوت مستمرا دونما انقطاع، وبالتالي لا يمكننا تحديد هذا الصّويت الذي يسمى الحركة.

واصل **الرازي** تقديم حججه، مقتصرا في إيرادها على الأصوات الشديدة، أو الصلبة كما يسميها، يقول: "**الحروف الصلبة لا تقبل التمديد والحركة قابلة للتمديد، فالحرف والحركة لا يوجدان معا ؛ لكن الحركة لا تتقدم على الحرف ؛ فبقي أن يكون الحرف متقدّما على الحركة .**"[1]

معنى ذلك أنّ الأصوات الصلبة أو الشديدة ينحصر معها الصوت وينقطع، فإن مُدّت دلّ ذلك على أنها متبوعة بمصوّت قصير، وهذه الحجة قريبة إلى حدّ ما من الحجة التي ساقها **ابن جني** ؛ إلا أن كلامه فيها كان أكثر وضوحا وتفصيلا ؛ ذلك أن **الرازي** ناقش ودلّل على مذهبه في أن المصوّت بعد الصامت، ولم يناقش بقية المذاهب بل اكتفى بإيرادها فقط .

5 ــ المصوّتات خفة وثقلا :

تتميز المصوّتات بالصعوبة من حيث النطق إذا ما قورنت بالصوامت، ذلك أنّ الأولى تتميز بقوة إسماع كبيرة، مما يجعل أي انحراف في نطقها بيّنا في السمع، بعيدا عن النطق الصحيح ؛ ولذلك تشكّل المصوتات صعوبة لمن أراد أن يتعلم نطق اللغة الثانية .[2]

تنبّه **محيي الدين بن عربي** إلى مشقة المصوتات، وعبّر عنه بقوله: "**ولما كان المعلول موصوفا بالمرض، كان ذا جهد ومشقّة لما يقاسيه من ألم العلّة القائمة به ؛ إذ لا يوجد عن العلة إلا معلول ؛ فلهذا جعلناه ـ الكلام على**

1- التفسير الكبير، 1/ 55 .

2- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 29 – 30.

الحروف الصغار وحروف العلة ـ في باب المجاهدة ؛ لأن المجاهدة مشقة وتعب ، و بها سُمّي الجهاد جهادا ."[1]

ويرى الفلاسفة المسلمون أنّ بعض المصوتات أخفّ من بعض، ولذلك يكثر دورانها في الكلام أكثر من غيرها، مثلا أنهم جعلوا الواو أقوى المصوتات وأثقلها، تليها الكسرة، والفتحة هي أخف أختيها .[2]

لقد رتب **فخر الدين الرازي** المصوتات ترتيبا عضويا فيزيولوجيا محتكما فيه إلى الأداء، يقول: **"أثقل الحركات الضمة، لأنها لا تتم إلا بضم الشفتين ؛ ولا يتم ذلك إلا بعمل العضلتين الصلبتين الواصلتين إلى طرفي الشفة، وأمّا الكسرة ؛ فإنه يكفي في تحصيلها العضلة الواحدة الجارية، ثم الفتحة يكفي فيها عمل ضعيف لتلك العضلة ."**[3]

فالشفتان مع الضمة تنضمان وتستديران ؛ فتعمل في نطقها عضلتان متصلتان بطرفي الشفة، بينما مع الكسرة والفتحة تنفتح الشفتان بعمل عضلة واحدة، ولعل مردّ الثقل في الضمة أيضا كونها مصوّتا خلفيا من أقصى الحنك. وذكر **الرازي** في موضع آخر: **"الحركات أيضا ثلاثة : أقواها الضمة، وأضعفها الفتحة، وأوسطها الكسرة، فألحقوا كل نوع بشبيهه، فجعلوا الرفع الذي هو أقوى الحركات للفاعل الذي هو أقوى الأقسام، والفتح الذي هو أضعف الحركات للمفعول الذي هو أضعف الأقسام، والجرّ الذي هو المتوسط للمضاف إليه الذي هو المتوسط من الأقسام ."**[4]

علّل **فخر الدين الرازي** في هذا النص اختصاص كل مصوّت بنوع معين من الأسماء ؛ إذ خصّوا الضمة بالفاعل ؛ لأنه هو الذي يؤثر في غيره،

1- الفتوحات المكية، 13/ 317.

2- شرح مختصر التصريف العزي، ص: 50، 104 .

3- التفسير الكبير، 1/ 56.

4- التفسير الكبير، 1/ 61.

وهو الذي يقوم بالفعل، والفتحة التي هي أضعف المصوّتات بالمفعول الذي يقع عليه الفعل، والكسرة خُصّت بالمضاف الذي هو متوسط بين النوعين ؛ لتوسّطهما في الخفة بين الضمة والكسرة .

كذلك ذكر **فخر الدين الرازي** عادة العرب في الانتقال من مصوّت إلى آخر، وذلك في معرض تعليله لبعض القراءات القرآنية، من ذلك : استثقال العرب الانتقال من ضمة إلى ياء . [1] ومن كسرة إلى فتحة طويلة، يقول: " **الكسرة حركة فيها بعض الثقل، والياء أختها ؛ فإذا اجتمعا عظم الثقل، ثم يحصل الانتقال منه إلى النطق بالألف في قولك : "الله"، وهو في غاية الخفة ؛ فيصير اللسان منتقلا من أثقل الحركات إلى أخف الحركات، والانتقال من الضد إلى الضد دفعة واحدة صعب على اللسان، أما إذا جعلنا الميم مفتوحة [2] انتقل اللسان من فتحة الميم إلى الألف في قولنا : "الله" ؛ فكان النطق به سهلا .**" [3]

أي إنّ الانتقال من فتحة قصيرة إلى فتحة طويلة أخف من الانتقال من كسرة قصيرة إلى فتحة طويلة، ومثل هذا الاستثقال جعل العرب تنفر من بعض الأبنية، وهذا الذي أشار إليه **ابن عربي** في قوله:" **وفِعُل لم يوجد له اسم على وزنه في اللسان، وعلّله أهل هذا الشأن بأنهم استثقلوا الخروج من الكسر إلى الضم، ومبنى كلامهم على التخفيف، وهذا التعليل عندنا ليس شيء .**" [4]

نفهم من كلام **ابن عربي** أنّ الخفة والثقل ليسا السبب في إهمال مثل أبنية فِعُل، وإنما السبب في ذلك شيء آخر لم يذكره .فهذا البناء من الأبنية

1- نفسه، 5/ 115.

2- يقصد الميم من الم.

3- التفسير الكبير، 7/ 150.

4- الفتوحات المكية، 10/ 512.

الشاذة، يقول: " **فِعُل بكسر الفاء وضم عينه، وهي لغة شاذة لم يوجد على وزن فُعِل سوى دُئِل، وهو اسم دويبة تعرفها العرب .**"[1]

ربط **ابن عربي** فِعُل بفُعِل، وكلاهما من الأبنية الشاذة ؛ التي أهملتها العرب، فكما استثقلت الانتقال من الكسر إلى الضم، فكذلك استثقلت الانتقال من الضم إلى الكسر، وهذا لتباعد مخرجيهما ؛ ذلك أن الضمّة مصوّت خلفي والكسرة مصوّت أمامي .

نستنتج من هذا المبحث أنّ الفلاسفة المسلمين درسوا الخصائص الصوتية أو الأصواتية للمصوتات بأن وصفوا مخارجها بعد أن عدّدوها، كما لم تفتهم الإشارة إلى علاقة المصوتات القصيرة بالطويلة مخرجا وكمّا، وهي مباحث تطرّق إليها النحاة واللغويون القدامى . وفي المبحث الموالي سنحاول أن نلامس بعض جوانب الدراسة الوظيفية التي أوردها الفلاسفة المسلمون.

رابعا : الدراسة الوظيفية للمصوتات :

سنحاول في هذا المبحث دراسة الجانب الوظيفي للمصوتات، وطبعا لن نستغرق كل الظواهر التماثلية، بل سنركّز الحديث على التّشاكل والتماثل بين المصوّتات نفسها، معزين ذلك إلى القبائل التي عرفت واشتهرت به، ولذلك سنستهلّ الحديث بـ :

1 ــ التناوب بين المصوتات :

تباينت اللهجات العربية القديمة في نطق كثير من الألفاظ، وذلك إما لتغيير في بعض أصواتها للقرابة المخرجية، أو لتغيير في مصوتاتها، فبعض منها مال إلى الفتح، وبعض آخر مال إلى الكسر أو الضم، ولكل حجته

1- نفسه، 10/ 512.

في ذلك، ففي بعض الأحيان كان ينجم عن هذا التباين في النطق تباين في الدلالة، وفي أحايين أخرى لا يؤدي إلى أيّ تغيير .

ومن الأمثلة التي ساقها الفلاسفة المسلمون دليلا على هذا التباين:

أ ـ التناوب بين الفتحة والكسرة: من أمثلة ذلك :

ـالفلكة والفِلكة [1]، قال **البطليوسي:** "**الفتح والكسر جائزان في هذه الألفاظ كلها، وحكى يونس في نوادره أن الفلكة بالكسر لغة أهل الحجاز** ."[2]

ـالشِّقرّاق : قال **البطليوسي** إنّ الكسر في شين الشقراق أقيس ؛ لأن فعّالا بكسر الفاء موجود في أبنية الأسماء، نحو: طِرمّاح، وسِنِمّار، وفَعُلال بفتح الفاء معدوم فيه، وأنه قرأه بكسر الشين في الغريب المصنف، وهو ماحكاه **الخليل** . [3]و عليه، فالشقراق بكسر الشين أكثر استعمالا منها بالفتح انطلاقا من وزن اللفظة .

ـالضِّفدع: أصلها بكسر الدال، والفتح لهجة فيها، هذا ما حكاه **أبو حاتم،** ومنهم من يقول ضُفدع بضم الضاد وفتح الدال، وهو نادر . [4] ومن ذلك أيضا :

ـمفرِق [5]: الفتح والكسر جائزان في جميعها . [6]

1ـ هي قطعة من الأرض تستدير وترتفع على ما حولها، لسان العرب، مادة : [ف ل ك]، 10/ 478 .

2- الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب، 2/ 200 ، وينظر : ابن قتيبة الدينوري، أدب الكتاتب، اعتنى به: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، دط، 2004، ص : 256 .

3- الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب، 2/ 201، وأدب الكاتب، ص : 256 .

4- الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب، 2/ 204، وأدب الكاتب، ص : 257 .

5ـ المرفَق والمفرِق : وسط الرأس، وهو الذي يفرق في الشعر، وكذلك مفرق الطريق، لسان العرب، مادة: [ف ر ق]، 10/ 301 .

6-الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب، 2/ 204.

إن التبـاين في نطـق الألفـاظ السـالفة الـذكر لم يـؤدّ إلى أيّ تبـاين أو تغـيير في دلالتها ؛ حيث إنّه لم يتعدّ كثرة أو قلة الاستعمال .

ومن الألفاظ التي أصلها الفتح والكسر لهجة فيها:

ـ الوسق : الحمل، فيها لغتان : فتح الواو وكسرها . [1]

ـاليسار، الرّصاص، الوداع، الدجاج، فصّ الخـاتم، وهـذه كلـها حُكـي فيهـا الفتح والكسر، وذكر

ابن قتيبة(ت276هـ)أنّ الكسر فيها لهجة ضعيفة . [2]

ـ الدّرهَم: بفتح الهاء، وهـو أفصـح اللـهجات، وقيـل عنـد بعضـهم بكسـر الهاء. [3]

و ذكر **البطليوسي** بعد إيراده هذه الألفـاظ قولـه : "**الفـتح والكسـر لغتـان، والفتح فيهما أشهر من الكسر** ." [4]

أورد فخر الدين الرازي **جملة من الألفاظ التي اُختلف في قراءة مصوّتاتها، وذلك في معرض تفسيره القرآن الكريم، مثال ذلك : اختلافهم في قراءة قوله تعالى : (لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ) [5]، فقد قرأ** أبو عمرو والكسائي **بكسر النون، والباقون بفتحهما، وهما لهجتان .** [6]

ومن أمثلـة ذلك أيضا، قـراءة قــوله تعالى : **(وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ)** [7]، فقد قرأ نافع وابن عامر **وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر** عن **عاصم** بفتح الحاء في كل القرآن، وهي لهجة الحجاز، وقرأ **حمزة،**

1ـ رسالة الملائكة، ص : 200 .

2- الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب، 2/ 199، وأدب الكاتب، ص : 256 .

3- نفسه، 2/ 198، وأدب الكاتب، ص : 255 .

4- نفسه، 2/ 202.

5 ـ جزء من الآية : 53 من سورة الزمر .

6- التفسير الكبير، 21/ 5.

7 ـ جزء من الآية : 196 من سورة البقرة .

والكسائي، **وحفص** عن **عاصم** بالكسر في آل عمران [1]، قال **الكسائي**: "**وهما لغتان بمعنى واحد، كرطل ورطل** ."[2]. فسواء قرئت الآية الكريمة بالفتح أو بالكسر، فإن دلالتها واحدة ؛ لأنّه مجرّد تباين في اللهجات، فقد ذكر **الرازي** في آل عمران أن الكسر لهجة نجد . [3]

قريب من هذا قراءة السّلم في قوله تعالى : **(وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا)** [4]وقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً)** [5] ، فقد قرأ **ابن كثير**، و**نافع** و**الكسائي** بفتح السين، وقرأ **عاصم** في رواية **أبي بكر بن عياش** بكسر السين في كل القرآن . [6] وذكر **الرازي** أن السلم بالفتح والكسر لهجتان مثل رِطل ورَطل، وجِسر وجَسر [7]. غير أن هذا الاختلاف في اللغات أو اللهجات قد يتولد عنه اختلاف في الدلالة، فمنهم من جعل السلم بكسر السين: الإسلام . [8]

- الوَلاية والوِلاية : وذلك في قوله تعالى : **(مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ)** [9] قرأ **حمزة** بكسر الواو من ولايتهم، والباقون بالفتح . [1] وذكر **الرازي** نقلا عن

1- التفسير الكبير، 8/ 141.

2- نفسه، 5/ 131.

3- التفسير الكبير، 8/ 141.

4 ـ جزء من الآية : 61 من سورة الأنفال .

5 ـ جزء من الآية : 108 من سورة البقرة .

6- الأصبهاني، أبو بكر أحمد بن الحسن بن مهران (- 381 هـ)، المبسوط في القراءات العشر، تحقيق : جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، 2004، ص : 130، وابن شريح، أبو عبد الله محمد (-476هـ)، الكافي في القراءات السبع، تحقيق وتعليق : جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا-القاهرة، دط، دت .، ص : 105، التفسير الكبير، 5/ 185.

7- التفسير الكبير، 5/ 185.

8- ابن الأنباري، أبو بكر، المذكر والمؤنث، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، ص: 486.

9 ـ جزء من الآية : 72 من سورة الأنفال .

الزجاج أن التغيير في المصوتات ينجم عنه تغيير في معنى اللفظتين، وذلك أنّ الولاية بالفتح تعني النصرة والنسب، وبالكسر تعني الإمارة . [2]

وذكر **البطليوسي** أنّ" **الفتح والكسر لغتان، والفتح فيهما أشهر من الكسر** ." [3]

بينما اكتفى **التفتازاني** بالقول إنّهما لهجتان، دون أن يعزوهما إلى قبيلة معيّنة، يظهر ذلك في قوله : "**الولاية بالفتح والكسر لغتان مثل الرَّضاعة والرِّضاع.**" [4].

ما نخلص إليه من هذا التناوب بين مصوّتي الفتح والكسر، هو أنه لا يعدو أن يكون مجرد اختلاف وتباين في لهجات القبائل .

ب ـ التناوب بين الفتحة والضمة : يبقى التفسير الكبير زاخرا بمثل هذه الأمثلة ؛ لأنه تناول القرآن الكريم وقراءاته، والقراءات القرآنية في حدّ ذاتها ناتجة عن اختلاف وتباين لهجات القبائل، وبالتالي فهي تحفظ وتنقل لنا النطق كما كان آنذاك .

ومما أورده **فخر الدين الرازي** من شواهد قرآنية على هذا التناوب نسبته الضم إلى قريش والفتح لتميم، وذلك في تعليله للقراءة الواردة في قوله تعالى: (كمثل جنة بربوة أصابها وابل) [5] قال: **قرأ عاصم، وابن عامر بربوة بفتح الراء ،و هو لغة تميم، والباقون بضم الراء، وهو أشهر اللغات ولغة قريش .** [6]

1- التفسير الكبير، 15/ 172.

2- نفسه، 15/ 172.

3- الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب، 2/ 202.

4- النعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ للزمخشري، ص: 55.

5 ـ جزء من الآية : 265 من سورة البقرة .

6- التفسير الكبير، 7/ 56.

ومما أورده **التفتازاني** : سرر نحو: ذليل وذلل، فذكر أن بعضهم يخفّف،فيردّ الثانية من الضمتين في مثل هذا الجمع إلى الفتح لخفته . [1]

أمثلة هذا التناوب كثيرة، منها ما نجم عنه تغيّر في المعنى، ومنه ما كان مجرد خلاف في اللهجات، و نحن اكتفينا بالنوع الثاني فقط، وأجّلنا الحديث عن النوع الأول إلى موضعه، وذلك عند الحديث عن دلالة المصوّتات.

ت- **التناوب بين الكسر والضم:** ومما أورده الراوي في هذا الباب، قراءة قول الله تعالى: (وَرِضْوَانٌ مِنَ الله) [2] **قرأ عاصم بضم الراء، والباقون بكسرها، أما الضم فهو لهجة قيس وتميم .** [3]

ومثال ذلك أيضا قراءة قوله تعالى: **(فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه)** [4]، قرأ الحسن وعاء بضم الواو، وهي لهجة . [5]

و ممّا أورده في هذا الباب أيضا، قراءة قوله تعالى: **(وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها)** [6]، قرأ **حمزة**، و**الكسائي**، و**أبو بكر** عن **عاصم**، و**قالون** عن **نافع** : البيوت بكسر الباء ؛ لأنهم استثقلوا الخروج من ضمة باء إلى ياء، والباقون بالضم على الأصل . [7]

واضح أن علّة هذا التعاقب في المصوتات كما ذكر **الرازي** هو درء الثقل وطلب التجانس والتماثل بين أصوات الكلمة الواحدة، فحسب ما ذكر، فإنّ الناطق يجد ثقلا في الانتقال من الضمة إلى الياء، ودرءا لهذا الثقل

1ـ كتاب النعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ للزمخشري، ص: 14.

2 ـ جزء من الآية : 15 من سورة آل عمران .

3- التفسير الكبير، 7/ 194.

4 ـ جزء من الآية : 76 من سورة يوسف .

5- التفسير الكبير، 18/ 149.

6 ـ جزء من الآية : 189 من سورة البقرة .

7- التفسير الكبير، 5/ 115.

عملوا على تقريب الضمة من الياء ؛ بإبدالها مصوّتا من جنسها ؛ وهو الكسرة، ولكن، يبدو أن الواقع غير ما قدّمه **الرازي** تماما، فمن الممكن جدّا أن تكون اللفظة بالكسر لهجة ضعيفة ؛ ذلك أن المصوتات المشكّلة للفظة "بيوت" بالضم، هي : ضمّتان، واحدة قصيرة والأخرى طويلة، تليها فتحة، وفي هذه الحالة، تكون للّسان حركتان : الأولى خلفيّة ؛ لتأدية مصوّت الضمّة، ويحافظ اللسان على وضعه لتأدية مصوّت الضمة الطويل ؛ والحركة الثانية أماميّة ؛ لتأدية مصوّت الفتحة، فاللسان في هذه اللفظة يحافظ على اتجاه واحد هو من الخلف إلى الأمام . أمّا المصوتات المشكّلة للفظة في الحالة الثانية ؛ أي : بيوت بالكسر ؛ فهي ثلاثة : كسرة، تليها ضمة طويلة ثمّ فتحة، فاللسان في هذه الحالة يتقلّب في وضعيّات ثلاث، كلّ وضعيّة معاكسة للّتي تعقبها ؛ فبداية تكون حركته أمامية مع الكسرة، ثمّ يتراجع في وضعه الثاني إلى أقصى الحنك لإنتاج مصوّت الضمّة الطويل، وبعد ذلك يضطر للانتقال إلى الأمام ؛ لتأدية مصوّت الفتحة، ولاشكّ أنّ في ذلك مأونة على اللسان، ومشقّة على الناطق؛ لذلك من المرجّح أن تكون بيوت بالكسر أوسع استعمالا منها بالضم مع أنه الأصل .

ث ـ التناوب بين المصوتات الثلاثة: أورد **البطليوسي** جملة من الألفاظ التي تعاقبت فيها المصوتات الثلاثة، مثال ذلك:

ـ هي الإِصْبَعُ، وفيها تسع لهجات، يقول: "**الأنملة كثرت اللغات فيها وفي الإصبع ؛ حتى صار الناطق بها كيف يشاء لا يكاد يخطئ، وفي كل واحدة منهما تسع لغات : أنملة وأصبع بفتح الأول والثالث، وأنملة وأصبع بضم الأول والثالث، وإنملة وإصبع بكسر الأول والثالث، وأُنملة وأُصبع بضم الأول وفتح الثالث، وأنملة وأصبع بضم الأول وكسر الثالث، وإنملة وإصبع بكسر الأول وفتح الثالث، وإنملة وإصبع بكسر الأول وضم الثالث،**

وأنملة وأصبع بفتح الأول وكسر الثالث، وفي الإصبع لغة عاشرة ليست في الأنملة، وهي : أصبوع بالواو وضم الهمزة على وزن أسلوب، وأفصح اللغات أنملة بفتح الهمزة والميم، وإصبع بكسر الهمزة وفتح الباء ."[1] و كان **ابن السكيت** قد أورد هذه اللفظة في باب : "ما هو مكسور الأول مما فتحَته العامّة أو ضمّته." قال فيه :هي الإِصْبَعُ، وهي اللغة الفصيحة كما حكاها الأصمعي، وقد يقال فيها أيضا: إِصبع بالكسر، وأُصبع بضم الهمزة، وأُصبُع بضم الهمزة والباء [2].

نلاحظ أنّ **ابن السكيت** و**البطليوسي** يتفقان في أن الإصبع بكسر الهمزة وفتح الباء هي الأفصح.وفي النص الذي قدّمه **البطليوسي** كثرت اللهجات في الأصبع، فتعاقبت المصوتات الثلاثة :

الفتحة والكسرة والضمة على الهمزة والباء، دون أن تغيّر من دلالتها.

وإذا تتبعنا لفظة الإصبع في معاجم اللغة، وجدناها لا تتعدى ثلاث لهجات، وهي : الإِصْبَعُ والإِصبع والأُصبُع، وقد رويت عن النبي صلى الله عليه وسلّم بكسر الهمزة وفتح الباء، وذلك أنه دميت إصبعه في حفر الخندق، فقال : [3]

هَلْ أَنْتِ إلاّ إِصْبَعٌ دَميت وفي سَبيلِ الله ما لَقيت .

1- الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب، 2/ 209.

2- نفسه، ص: 174.

3- البيت في لسان العرب، مادة : [ص ب ع] ،8/ 192، و في التفسير الكبير بفتح الهمزة، 31/ 208، والحديث أخرجه البخاري (2592) ومسلم (1987) في الصحيحين من طريق آخر، برواية مؤدّاها : «هل أنت إلا إصبع دميتِ، وفي سبيل الله ما لقيتِ . »ينظر: البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الصحيح، تحقيق : مصطفى بيب البغا، دار ابن كثير، بيروت ـ لبنان، دط، 1987، 3/ 26، وينظر: مسلم، بن صحاح أبو الحسن النيسابوري، الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، دط، دت، 3/ 271 .

ومثال ذلك أيضا ما أورده **فخر الدين الرازي** في قراءة قوله تعالى : **(ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل)** [1]، قرأ **عاصم وابن عامر** :(**بِرَبْوَةٍ**) بفتح الراء، وهو لهجة تميم، والباقون بضم الراء، وهو أشهر اللهجات ولهجة قريش، وفيه سبع لهجات **(ربوة)** بتعاقب المصوّتات الثلاثة على الراء، ورباوة بالألف بتعاقب المصوّتات الثلاثة على الراء . [2]
وبعد ذلك فاضل **الرازي** بين القراءات، ورجّح القراءة بضم الراء . [3]
ـ قال الله تعالى : **(وعلى أبصارهم غِشاوة)** [4] قرئ بالكسر والنصب، وغشاوة بالضم والرفع، وغشاوة بالفتح والنصب، وغشاوة بالكسر والرفع، وغشاوة بالفتح والرفع والنصب، والغشاوة هي الغطاء [5]، تعاقبت المصوّتات الثلاثة على اللفظة دون أن يؤدي ذلك إلى تغيير في دلالتها.

والتغيرات التركيبية المتعلقة بالمصوتات التي عالجها **البطليوسي** أثناء شرحه لأدب الكاتب لابن قتيبة والجمل للزجاجي كثيرة ومتنوّعة، وتنوّعت كذلك عند فخر الدين الرازي [6] بتنوّع اللهجات العربية ؛ ذلك أنّه عالج القرآن الكريم وقراءاته .

2ـ كراهية توالي المصوتات:

أشار الفلاسفة المسلمون إلى أنّ العرب استثقلت توالي المتحرّكات في كلامها، وهذا ما أشار إليه النحاة من قبل ؛ لأنّ **الغناء مركب من الألحان،**

---

1 ـ جزء من الآية : 265 من سورة البقرة .
2- التفسير الكبير، 7/ 56.
3- نفسه، 7/ 56.
4 ـ جزء من الآية : 07 من سورة البقرة .
5- التفسير الكبير، 2/ 57.
6ـ الصوائت عند فخر الدين الرازي " دراسة نظرية وتطبيقية في التفسير الكبير "، ص : 181 وما بعدها .

واللّحن مركب من النّغمات، والنغمات مركبة من النقرات والإيقاعات، وأصلها كلّها حركات وسكون، كما أنّ الأشعار مركبة من المصاريع، والمصاريع مركبة من المفاعيل، والمفاعيل مركبة من الأسباب والأوتاد والفواصل، وأصلها كلّها حروف متحركات وسواكن، وكذلك الأقاويل، كلّها مركبة من الكلمات، والكلمات من الأسماء والأفعال والأدوات، وكلها مركبة من الحروف المتحركات والسّواكن ؛ إذ كانت قوانين الموسيقى مماثلة لقوانين العروض ."[1]

مضمون هذا النص واضح وجليّ، فهو يبرز لنا بوضوح علاقة الموسيقا بالعروض، وهذا ما أشرنا إليه في مدخل الدّراسة، فقد تنبه إلى هذه العلاقة النّحاة واللغويون العرب كما الفلاسفة المسلمون، وإن كان هؤلاء اهتموا واشتغلوا بالموسيقا أكثر من غيرهم كما هو الشأن بالنسبة إلى **الفارابي وابن سينا**.

إنّ الحس الموسيقي الذي تمتّع به الفلاسفة المسلمون جعلهم يميزون بين الأوزان الخفيفة التي تستلذّها الأسماع وتطرب لها، وبين المستثقلة التي يمجّها السمع. وهذا جعلهم يحدّدون أفضل الأوزان والنغمات، وهي التي تكون من حركات متواترة بينها سكنات متتالية .[2] فهذه السكنات تمنح الناطقين راحة، وبالتالي قدرة على التهيؤ للنطق بحركات جديدة، وفي الوقت نفسه،

1- رسائل إخوان الصفا، 1/ 192، 196.

2- نفسه، ص : 1/ 192 ،نجد صدى لفكرة التناسب والتلاؤم في النغمات عند أرسطوطاليس ؛ الذي ربط التوافق والتناسب بين النغمات والسمع بطبيعة الصوت، يقول : "**إذا كان التوافق ضربا من النغم، وكان النغم والسمع من جهة شيئا واحدا، وليسا شيئا واحدا من جهة أخرى، وكان التوافق هو التناسب، فمن الضروري أن يكون السمع كذلك ضربا من التناسب، ولهذا السبب كان كل إفراط أو تفريط، كالصوت الحاد والغليظ مما يفسد حاسة السمع** ."أرسطو طاليس، كتاب النفس، نقله إلى العربية : أحمد فؤاد الأهواني، راجعه عن اليونانية : جورج شحاته قنواني، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1949،ص: 98 – 99.

فإن هذه السكنات أو الاستراحات تمكّن المستمع من التمييز بين مختلف الحركات والاستمتاع بها ؛ لذلك، فالاعتدال في نسبة المصوّتات كان مطلبا مهما تحقيقه ؛ حتى لا يكون هناك خروج عن الوزن .

ومما استثقلته العرب اجتماع أربعة متحركات في الشعر، مثال ذلك قول **ابن ميّادة (ت149هـ)** [1]: [2]

لَهُ الفِعالُ ولَهُ الوَلَدُ الأَكْبَرُ فَالأَكْبَرُ فَالأَكْبَر .

قال **أبو العلاء المعرّي** معلّقا على هذا البيت: "**فلام الفعال والواو بعدها، اللام والهاء كلهن متحركات، أفلا ترى كيف ثقل بهنّ الوزن** ."[3] لذلك لم يجئ توالي هذه العدّة من المتحرّكات في الشعر إلا عند زحاف . [4] غير أنّ هذا الشرط غير مطلوب في النثر ؛ ذلك أن الناطق يمكن له أن يجمع بين متحركات كثيرة، فيقدر أن يقول: ضرب وفعل وصنع إلى أن ينقضي النّفَس. [5] فالنثر لا يقام على الوزن كالشعر؛ لذلك أمكن الناطق أن يوالي المصوّتات في كلامه حسب قدرته على ضبط النفس. ومع ذلك، كثيرا ما حملوا بعض الكلمات نحو : "**علبط**" و"**جندل**" على علابط وجنادل ؛ لبعدها عن الاعتدال، وهو توالي أربعة متحركات ؛ فهربوا عن أصالة هيئتها وقالوا أنها محذوفة الألف . [6] وفي الحقيقة، وجود الألف أو عدمه لا يغيّر من طبيعة الصوت وإنّما من كمّيته فقط ؛ لذلك فعدد المصوتات المتوالية يبقى أربعة .

1ـ هو الرماح بن أبرد، بقي حتى أدرك بني العباس ،نمطه نمط الأعراب الفصحاء، له ديوان شعر، معجم الشعراء العباسيين، ص: 547.

2- رسالة الصاهل والشاجح، ص: 471.

3- نفسه، ص: 471.

4- رسالة الصاهل والشاحج، ص : 472، ورسالة الملائكة، ص : 206 .

5- نفسه، ص: 472.

6 - نفسه، ص: 472، ورسالة الملائكة، ص :206، ومفاتيح العلوم، ص: 15.

ذكر **أبو العلاء المعرّي** أنّ أكثر ما اجتمع في كتاب الله عز وجل من الأصوات المتحركة ثمانية، وذلك في موضعين من سورة يوسف : أحدهما في قوله تعالى:(**إني رأيت أحد عشر كوكبا**) [1]؛ فبين واو كوكب وياء رأيت ثمانية أصوات كلّهن متحرك . [2]أمّا الموضع الثاني من القرآن الكريم الذي توالت فيه المتحركات ؛ فهو قوله تعالى : (**حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي**) [3] على قراءة [4] من حرّك الياء في "**لي**" و"**أبي**" [5]. فبين همزة "**يأذن**" وهمزة "**أو**" ثمانية متحركات.

والاعتدال في مصوتات اللفظة شرط من شروط الفصاحة، يقول **الرازي**: " **فإذا توالت خمس حركات كان ذلك في غاية الخروج عن الوزن، ولذلك كان الشّعر لا يحتملها، وأمّا أربع حركات فإنها في غاية الثّقل أيضا . بل المعتدل، توالي حركتين يعقبهما سكون، وإن كان ولا بُدّ، فتوالي حركات ثلاث .** " [6]

هذه هي القاعدة التي سنّها الفلاسفة ومن قبلهم النحاة كما تبين معنا، غير أن الواقع يثبت غير هذه الحقيقة، وذلك لأمور سنتبيّنها من قول **إخوان الصفا** : " **إنّ العروض هو ميزان الشعر، يعرف به المستوي والمنزحف** [7]**،**

---

1 ـ جزء من الآية : 04 من سورة يوسف .

2- رسالة الصاهل والشاحج، ص: 472، غير أن الفراء ذكر أن من القراء من يُسكّن العين من عشر في مثل هذا النوع، وذلك أنهم استثقلوا كثرة المصوتات ، معاني القرآن، 1/ 348.

3 ـ جزء من الآية 80 من سورة يوسف .

4- وهي قراءة نافع، وأبي عمرو وأبي جعفر بفتح الياءين، أما ابن كثير ففتح الياء الأولى وأرسل الياء الثانية، المبسوط في القراءات العشر، ص: 147، والكافي في القراءات العشر، ص: 115.

5- رسالة الصاهل والشاحج، ص: 472.

6- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص: 58.

7- الزحاف في الشعر هو سقوط حرف ما بين حرفين فيزحف أحدهما إلى الآخر، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهر الهروي (ت 370 هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق : أحمد عبد الرحمن مخيمر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 2004، 3/ 395.

وهي ثمانية مقاطع في الأشعار العربية، وهي هذه : فَعُولُنْ ،مفاعيل، متفاعلن، مستفعلن، فاع لاتن، فاعلن، مفعولات، مفاعلتن، وهذه الثمانية مركّبة من ثلاثة أصول، وهي : السبب، والوتد، والفاصلة، فالسبب حرفان [1]: واحد متحرك وآخر ساكن أو متحرك، مثل قولك : هل، لم، وما شاكلها، والوتد [2] ثلاثة أحرف : اثنان متحركان وواحد ساكن، مثل قولك : نعم، وبلى، وأجل، وما شاكلها، والفاصلة [3] أربعة أحرف : ثلاثة متحركة وواحد ساكن، مثل قولك : غلبتْ، فعلتْ، وما شاكلها، وأصل هذه الثلاثة حرف ساكن وحرف متحرك، فهذه قوانين العروض وأصوله ." [4]

سنحاول مناقشة هذا النص، مستهلّين ذلك بمحاولة إحصاء نسبة السواكن والمتحركات في كل تفعيلة:

التفعيلة	الحركات والسكنات عند الفلاسفة	الحركات والسكنات عند المحدثين
فعولن	ح ح س ح س	م م̄ م س
مفاعيل	ح ح س ح س ح	م م̄ م̄ م

1- الرسائل، 1/ 197.

2- قال ابن جني: "**فالسبب على ضربين : خفيف وثقيل، فالخفيف حرف متحرك بعده ساكن، نحو : هل وبل ووقد . الثقيل حرفان متحركان معا نحو: مع، لك .**" ابن جني، أبو الفتح عثمان، كتاب العروض، تحقيق: أحمد فوزي الهيب، دار القلم، الكويت، ط2 منقحة، 1989، ص: 60.

3- قال ابن جني: "**والوتد على ضربين : مجموع ومفروق، فالمجموع حرفان متحركان بعدها حرف ساكن، نحو: أجل، نعم، لقد، والمفروق حرفان متحركان بينهما حرف ساكن، نحو : أين، كيف، ليس .**" كتاب العروض، ص: 60.

4- قال ابن جني : الفاصلة على ضربين : صغيرة وكبيرة، فالصغيرة ثلاثة أحرف متحركة بعدها حرف ساكن، نحو: ضربت ،دخلت، خرجت، فإذا، والكبيرة أربعة أحرف متحرّكة بعدها حرف ساكن، نحو: ضَرَبَتَا، دَخَلَتَا، خَرَجَتَا ،كتاب العروض، ص: 60- 61.

مُتفاعِلُن	ح حح س ح ح س	م مم̄ م م س
مستفعلن	ح س ح س ح ح س	م س م س م م س
فاعِلاتُن	ح س ح ح س ح س	م م̄ مم̄ م س
فاعلن	ح س ح ح س	م م̄ م م س
مفعولاتُ	ح س ح س ح س ح	م س م م̄ م̄ م̄
مفاعلاتن	ح ح س ح حح س	م م م̄ م م م س

نلاحظ أن نسبة المصوّتات في مختلف التفعيلات لا تتجاوز ثلاثة مصوّتات متتالية عند القدامى، في حين نجدها حسب تقسيم المحدثين تصل إلى خمسة مصوتات كأقصى حد، مع أنّ التفعيلات واحدة والأوزان مقبولة، وعلة هذا التباين هو عدّ المصوتات الطويلة أصواتا ساكنة عروضيّا ؛ وهي عند المحدثين مصوت مشبع ؛ فرغم هذا التباين فهي في النطق واحدة سواء عدّت ساكنة أو متحركة، ومردّ ذلك أن المصوّتات الطويلة لها صلة وثيقة بالقافية من ناحية النغم والإيقاع الموسيقي، بسبب امتداد الصوت بها، وطولها من الناحية الزمنية، وهذا يمنح الناطق وقتا للتهيؤ للنطق بحركات جديدة دونما مشقة.

مما تقدم يمكن القول إنّ أعدل وزن هو أن يتوالى مصوّتان أو ثلاثة يعقبهما سكون،أو مصوتان أو ثلاثة تفصل بينهما مصوّتات طويلة.

أورد الفلاسفة المسلمون جملة من الألفاظ التي تباينت العرب في روايتها، فمنها ما كان ساكنا والعرب حرّكته، ومنها ما كان متحرّكا والعرب أسكنته، وفيما يلي بعض الألفاظ التي ساقها الفلاسفة في هذا الباب، من ذلك:

ـ**القَرْعُ والقَرَعُ** : ذكر **البطليوسي** أنّ القرع بالتسكين هو المشهور، ويُقال: "**أحر من القرع**" [1] بفتح الراء وتسكينها . [2]

ـ**الصَّبْرُ، والصَّبِرُ**: قيلت بالتسكين والتحريك، إلا أنّ تسكين الباء منكَر، وهذا ما قاله **ابن قتيبة** وأخذ به **البطليوسي**، أمّا لماذا هو منكر ؛ فلأنّ ما كان على فَعِل مكسور العين أو مضمومها، فإن التخفيف فيه جائز، ومن الذين يخففون من يلقي مصوّت الصوت المخفّف على ما قبله، ومنهم من يتركه على حاله ، [3] مثال ذلك قول الشاعر : [4]

تَعَذَّبْتُ عَنْها كارِهاً فَتَرَكْتُها وَكَانَ فِراقُها أَمَرَّ مِنَ الصَّبرِ .

يروى بفتح الصاد وبكسرها. ويبدو من الشاهد الذي أورده **البطليوسي** أنّ إلقاء مصوّت الصوت المخفّف على ما قبله يكون في حالة الوقف فقط .

حفْرٌ وحفَرٌ [5]: ذكر **البطليوسي** أنه جاء باللهجتين جميعا ؛ أي :بالإسكان والتحريك، إلا أنّ التحريك أضعفهما . [6]

1- القَرَعُ بثر يخرج بصغار الإبل فتقرّع، والتقريع أن تُجرّ على التراب الحار، ينظر : العسكري، أبو هلال، جمهرة الأمثال، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ط2، دت، 1/ 398، وذكر الأزهري أنّ العوام يقولونها بالتسكين، تهذيب اللغة، 1/ 219.

2ـالاقتضاب في شرح أدب الكتاب، 2/ 191.

3- نفسه، 2/ 192.

4- نفسه، وبلا نسبة في تاج العروس، مادّة : [ص ب ر]، وروايته :

تعزبت عنها كارها فتركتها وكان فراقيها أمرّ من الصبر

الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان، دط، دت، 4/ 145، ونسبه الأصفهاني

24/ 77 ليحي بن طالب، وروايته :

تصبّرت عنها كارها وهجرتها وهجرانها عنجي أمرّ من الصّبر،

و للبيت رواية أخرى، ينظر : إميل بديع يعقوب، المعجم المفضل في شواهد اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1996، 3/ 446 .

5ـ التراب المُخرج من الشيء المحفور، لسان العرب، مادّة : [ح ف ر]، 4/ 204 .

6- الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب، 2/ 187 ـ 188.

ـ **نَخْبَة ونُخَبة** [1]: المعروف نخْبة بإسكان الخاء، وأما النخَبة بفتح الخاء فهي نادرة ؛ لأن فعَلة بتحريك العين صفات الفاعل . [2]

في الشاهد الأخير رجّح **البطليوسي** بين اللهجتين انطلاقا من وزن اللفظتين . فالاختلاف في التحريك والإسكان هو من باب اختلاف اللهجات فقط، مع أنّه لم ينسبها إلى قبيلة معينة، وإنما اكتفى بالقول إنّها لهجة ضعيفة.

ومما جاء في الشعر، قول الشاعر : [3]

اضْرِبَ عَنْكَ الهُمُومَ طارِقَها ضَرْبَكَ بالسَّوْطِ قَوْسَ الفَرَسِ .

ذكر **أبو العلاء المعري** أنّ الشاعر حرك الباء من اضرب للضرورة، وأورد خلاف البصريين والكوفيين في هذه المسألة، فالبصريون يرون أنه أراد النون الخفيفة فحذفها وبقيت الحركة [4]، أمّا **الفراء**، فذهب إلى أنه لما تتابعت أربعة مصوتات كل واحدة منها بعدها ساكن، حَسُن في نفس الشاعر أن يحرّك بعض السواكن، وهذا الرأي في نظر **أبي العلاء** هو الأحسن ؛ لأن أعدل الكلام عند العرب متحركان بعدهما ساكن،أو ساكن بين متحركين. [5] و قد يكون التحريك لهجة هذيل ؛ لأنهم يقولون في نجد: نُجُد. [6]

1ـ النخبة : الجماعة، تهذيب اللغة، مادة : [ن خ ب]، 5/ 544 .

2- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، 2/ 188 .

3- رسالة الصاهل والشاحج، ص: 461، وفي الخصائص : بالسيف قونس بدل بالسوط فرس، ص : 128، وكذلك في لسان العرب، مادّة : [ق ن س]، قال ابن بري البيت لطرفة، ويقال إنه مصنوع عليه، 6/ 183، والمعجم المفضل في شواهد اللغة العربية، 6/ 107 .

4ـ وهذا رأي ابن جنّي، الخصائص، ص : 128 .

5- نفسه، ص: 461.

6ـ ينظر :البطليوسي، أبو محمد عبد الله، شرح أبيات الجمل، دار علاء الدين، دمشق ـ سوريا، 2000، ص: 275.

ومما حرّك للضرورة، قول **امرئ القيس** : [1]

فَاليَوْمَ أَشْربْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبِ إِثْمًا مِنَ اللهِ ولاَ وَاغِـــلِ .

كان الأصل أن يقول : أشربُ، بضم الباء ؛ لأنه فعل مضارع، لكـن الشـاعر أسكن حركة الإعراب للضرورة الشعرية ؛ حتى يستقيم له الوزن. ومن أمثلة ما أسكن استخفافا قول الراجز:

وَرْدَ عَلَيْهِ طالِبُ الحاجاتِ .

ومثل هذا الإسكان ؛أي : إسكان الفتحة قليل . [2]

ومن الأمثلة التي أسكنت فيها الكسرة، قول بعض شعراء اليمن : [3]

ألا يا لَيْتَها لُدْغَتْ وأُدْعَى كيمَ ذى أَرِقى .

أراد بـلُدْغت: لُدِغَتْ؛ فسكّن على لغة ربيعة، كقول **الأخطل** : [4]

دَبْرَتْ صفحتاه وكاهِلُهُ .

ومن شأن ربيعـة أن تسـكن الأسمـاء والأفعـال إذا كانـت مضـمومة أو مكسورة العين، ما لم يكن المتحرك بضم أو كسـر في الطـرف، فيقولـون : "**كَرْم**" ؛ أي: كَرُم، و"**عَلْمَ**" ؛ أي : عَلِمَ، وقياس لغتهم أن يقولوا: كبْدٌ وكتْـفٌ في الكبِد والكتِف. [5]

1- رسالة الصاهل والشاحج، ص : 460، وورد صدر البيت في التفسير الكـبير، 17/ 178، والشـاهد سبق تخريجه. وذكر ابن قتيبة أنّ الشاعر أسكن لاجتماع المتحرّكات، يُنظر: ابن قتيبة، الشـعر والشـعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص: 98.

2- رسالة الصاهل والشاحج، ص: 439.

3- نفسه، ص : 486.

4- نفسه، ص : 486 .

5ـ رسالة الصاهل والشاحج، ص : 487 .

نلاحظ أنّ هذه الألفاظ جميعا وردت مفتوحة الفاء، ومضمومة أو مكسورة العين، فكرهوا الانتقال من مصوّت الفتحة الذي هو أخف المصوّتات إلى الكسرة أو الضمة ؛ التي يضطر معها اللسان إلى الانتقال من الأمام إلى الخلف ؛ فعمدوا بالتالي إلى إسكان العين درءا لهذا الثقل.

ومن الإسكان أيضا، ما زعمه **أبو حاتم السجستاني** من أنّ العرب لا تقول إلا النّمْر بن تولب بسكون الميم، تخفيفا للكسرة [1] و من ذلك أيضا قول **القطاميّ (ت130هـ)**: [2]

إذا نَشْبَتْ مَخالبُهُ وعَـلْقَـتْلَهُ الأَنْيابُ تُرْكَ لَهُ المَـــرَارُ .

يُريد: نشِبت، وعلِقت، وتُرِك .

وقال آخر : [3]

فَإِنَّ النَّبِيذَ الصِّرْدَ إِنْ شُرْبَ وَحْدَهُ عَلى غَيْرِ شَيْءٍ أَحْرَقَ الكَبْدَ جوعُها .

ومثال ذلك أيضا، قول رجل من أهل السّراة، وهو **يعلى بن الأحول**(ت90هـ) [4]: [5]

فَبِتُّ لَدى البَيْتِ العَتيقِ أُخلِّيهُ ومِطْوايَ مُشْتاقانِ لَهْ أَرقانِ .

فقد أسكن الشاعر هاء الضمير من له، وهي لغة لأزد السراة، رغم أنه لم يصرح بذلك، فهذا واضح من قوله: رجل من أهل السّراة.

1- شرح أبيات الجمل، ص: 254.

2ـ اسمه عمير بن شبيم بن عمر أحمد بني بكر بن حبيب بن عمر بن غنم بن ثغلب، من شعراء الطبقة الثانية، ينظر: الجمحي، ابن سلام (ت231هـ)، طبقات الشعراء مع مقدّمة تحليلية للكتاب ودراسة نقديّة منذ الجاهلية إلى عصر ابن سلام، إعداد: اللجنة الجامعية للتراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت ـ لبنان، دط، دت، ص: 121.

3- رسالة الصاهل والشاحج، ص: 440.

4ـ هو يعلى بن مسلم بن أبي قيس اليشكري الأزدي، الأحول، شاعر أموي،الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط7، 1986، 8/ 204 .

5- رسالة الصاهل والشاحج، ص: 480، والبيت سيق تخريجه .

أورد **البطليوسي** جملة من الألفاظ التي أُسكنت استخفافا، من ذلك :

النّبقُ [1]، **النَّمِرُ**، **الكَذِبُ**، **الحلِفُ**، وقال إنّ هذه الألفاظ لا يمنع من أن تسكن أوساطها تخفيفا ؛ فأما نقل المصوّت عن العين منها إلى الفاء فغير مسموح إلا في الحلف والكذب خاصة . [2]

أما إذا انتقلنا إلى القُرآن الكريم وقراءاته، فإننا نجد أمثلة كثيرة لهذه الظاهرة، مثال ذلك ما أورده **الرازي** في قراءة قوله تعالى : **(كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا)** . [3]

قال **الرازي** في تفسير الآية : النَّهَر والنَّهْر [4] لغتان [5]، فاللفظتان لا تختلفان إلا في حركة الأولى وسكون الثانية.

ومن ذلك أيضا قراءة قوله تعالى: **(سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ)** [6]، قرأ **ابن كثير(أَبِي لَهْبٍ)** بإسكان الهاء، وقرأ الباقون بالفتح، وهما لهجتان [7]، وقد أورد **الرازي** خلاف القراء في هذه المسألة وذلك في قوله: **"ما الوجه في قراءة عبد الله بن كثير المكي حيث كان يقرأ :(أبي لَهْبٍ)ساكنة الهاء ؟ الجواب : قال أبو علي يشبه أن يكون لَهَب ولَهْب لغتين كالشّمَع والشّمْع، والنّهَر والنهْر، وأجمعوا في قوله : (سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ)على فتح الهاء،**

1ـ هو ثمر السدر، لسان العرب، مادة : [ن ب ق]، 10/ 350 .

2- الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب، 2/ 190 .

3 ـ الآية : 33 من سورة الكهف .

4- النهْر مجرى الماء، والنهَر محركة: السعة، ونهْر نهرٍ واسع، القاموس المحيط، إعداد : محمد عبد الرحمن المرعشلي، مادة ،دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط1، 1997، مادة : [ن هـ ر]، ص : 1/ 677 .

5- التفسير الكبير، 2/ 691.

6 ـ الآية : 03 من سورة المسد .

7- التفسير الكبير، 32/ 170،

وكذلك قوله: (ولا يُغني من اللّهب) [1] و ذلك يدلّ على أنّ الفتح أوجه من الإسكان، وقال غيره: إنّما اتفقوا على الفتح في الثانية مراعاة لوفاق الفواصل." [2]

والملاحظ أنّه كثيرا ما كان بقع الاضطراب فيما إذا كان القارئ يسكن أو يختلس **كأبي عمرو بن العلاء**، فمنهم من قال أنّه كان يختلس ولم يكن يسكن. [3] وقد روى **الرازي** عنه القراءتين: الاختلاس والإسكان، وذلك في قوله تعالى: **(وأرِنا مناسكَنا)** [4]، قرأ **ابن كثير**، و**أبوعمرو** في بعض الروايات **(وأَرِنا)** بإسكان الراء في كل القرآن، ووافقهما **عاصم**، و**ابن عامر** في حرف واحد، في حم السجدة **(وأرنا الذَينِ أضلاَّنا)** [5]، وقرأ **أبو عمرو** في بعض الروايات الظاهرة عنه باختلاس كسرة الراء من غير إشباع في كل القرآن، والباقون بالكسرة مشبعة، وأصله "**أرئنا**" بالهمزة المكسورة، نقلت كسرة الهمزة إلى الراء، وحُذفت الهمزة، وهو الاختيار ؛ لأن أكثر القراء عليه، ولأنه سقطت الهمزة ؛ فلا ينبغي أن تسكن الراء ؛ لئلا يجحف بالكلمة وتذهب الدلالة على الهمزة، وأمّا من سكّن فعلى حذف الهمزة ومصوّتها، وعلى التشبيه بما سُكِّن، كقولهم :"**فخْذ**" و"**كبْد**"، وأمّا الاختلاس فلطلب الخفة وبقاء الدلالة على حذف الهمزة . [6]

نفهم من هذا الكلام أنّ الذي سكّن الراء من أرنا حذف الهمزة ومصوّتها، أما الذي حرّك ؛ فحذف الهمزة وألقى مصوّتها على الراء .

---

1 ـ جزء من الآية : 31 من سورة المرسلات .

2- التفسير الكبير، 32/ 170.

3- عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي "أبو عمرو العلاء"، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت، ص: 320، 325.

4 ـ جزء من الآية : 128 من سورة البقرة .

5 ـ جزء من الآية : 29 من سورة فصلت .

6- التفسير الكبير، 4/ 65.

ذكر **فخر الدين الرازي** أنّ الكلمة إذا كان عينها صوتا من الأصوات الحلقية ؛ فإنه يحرّك بالفتحة، مثل : **نهْر ونهَر**، **وصخْر وصخَر**، **وشعْر وشعَر**، كقول الشاعر : [1]

كَأَنّما خُلِقَتْ كَفّاهُ مِنْ حَجَـر فَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ والنَّدى عَمَل .

يَرى اليَتيمَ في بَرّ وفي بَحـر مَخافَةَ أنْ يَرى في كَفِّه بَـلَل .

يمكن تفسير تحريك الأصوات الحلقيّة بالفتحة إلى وضع اللسان ؛ حيث يكون مستويا في قاع الفم مع كلا الصوتين ؛ ذلك أنّ اللسان لا يعمل مع الأصوات الحلقية كالهاء والحاء والعين، بل
يستوي في قاع الفم، وهو الوضع نفسه الذي يتخذه مع الفتحة .

وفي المبحث الموالي سنعرض نوعا آخر من أنواع التماثل الصوتي الذي تلجأ إليه العربية للتخلّص من التقاء الساكنين .

3ـ مصوّت التخلص من التقاء الساكنين :

أنكرت العرب اجتماع ساكنين في كلامها إلا في حالة الوقف، وذلك على غرار لغات العجم؛ التي تجمع في كلامها صوتين ساكنين وثلاثة، يقول **البيروني**: "**العرب لم تجمع بين ساكنين، وأمكن ذلك في سائر اللغات، وهي التي سماها عروضيُّو الفارسية متحركات خفيفة الحركة، فإنّ ما جاوز الثلاثة منها يصعب على القائل، بل يمتنع التلفظ بها .**" [2]

نفهم من هذا الكلام، أنّ ما نعتقده في لغة العجم من اجتماع ساكنين أو ثلاثة هو في رأي عروضيّي الفرس أصوات محرّكة بمصوّت خفيف ؛ أي بمصوّتات تقلّ كمّية عن المصوّت القصير .

1ـ نفسه، 6/ 162 .

2- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة أو مرذولة، ص: 107.

وأبو العلاء المعري أنّ العربية تجيز الجمع بين الساكنين في آخر الأبيات، يقول: " **واليونانية تجمع أشعارُها بين الساكنين في غير آخر البيت، وكذلك غيرها من الأمم ماخلا العرب فإنّ كلامها تهذَّب، ونظامها خلص على أنّ شيئا من ذلك قد جاء عنهم، فأمّا في أواخر الأبيات، فالعرب وغيرهم لا ينفرون من جمع بين ساكنين .**"[1]

وإذا اجتمع في حشو الكلمة ساكنان لم يمكن أن تنظم في حشو البيت العربي إلا فيما شذّ، وقد ذكر **أبو العلاء المعري** أنّ هذا موجود في موضع واحد، وهو في قول الشاعر: [2]

فَرُمْنا القِصاصَ وكانَ التَّقاصُّ فَرْضاً وحَتْماً عَلى المُسْلِمينا .

و قال معلّقا على البيت : "**و ليس ذلك بمعروف، ولكّنه شاذّ مرفوض، وما شذّ من كل الأسماء فإنّه لا ينكسر به القياس، وإذا كان الساكنان جمع بينهما في آخر الكلمة وقف وسكوت ؛ فإنه يستعمل ذلك في أواخر أوزان معروفة .**"[3]

نلاحظ من الشاهد الذي ساقه **أبو العلاء المعري** أنّ الساكنين تمثلا في الألف (الفتحة الطويلة) باعتبارها ساكنة عندهم، وفي الصاد الأولى، ومثل هذا الجمع عندهم شاذّ ومنكر لا يسوغ القياس عليه وإن أمكن النطق به ؛ لأنه يكسر الوزن.

1- رسالة الصاهل والشاحج، ص: 200.

2ـ البيت بلا نسبة في الكامل للمبرد، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 1993.، 1/ 75، وروايته فيها: **فَذاكَ القِصاصُ وَكانَ التَّقاصُّ فَرْضاً وحَتْماً عَلى المُسْلِمينا**

و بلا نسبة في لسان العرب، مادّة : [ق ص ص]، 7/ 76، وروايته :

فَرُمْنا القِصاصَ وكانَ التَّقاصُّ حَكَماً وعَدْلاً عَلى المُسْلِمينا .

وبالرواية نفسها ورد في تاج العروس، مادة : [ق ص ص]، 4/ 423 ـ 424 .

3- رسالة الصاهل والشاحج، ص: 102.

والتقاء الساكنين عند التشديد مقبول في غير الشعر، ومثّل **أبو العلاء** لذلك بقراءة **ابن عامر** قارئ أهل الشام ؛ حيث قرأ قوله تعالى: **(اللَّاتَ وَالْعُزّى)** [1] بتشديد التاء [2]، وقد نبّه على أنه لا يستشهد على اللات في الشعر لأنه يلتقي فيه ساكنان . [3]

ومن أمثلة اجتماع الساكنين في آخر البيت قول **عمرو بن شأس (ت20هـ)** [4]: [5]

وكأسٍ كمُسْتَدمي العزال مزحتُها لأبيض عصّاءِ العواذِل مِفْضَالْ .
كآدم لم يُؤثـــر بِعِرْنيـنِهِ الشَّبا وَ لا الحَبْلُ تَخْشاه القَرُومُ إذْ صالْ .

جمع الشاعر بين ساكنين في آخر البيتين ،وهما الألف واللام، مع أن الألف في الواقع ليست ساكنة، وهذا الجمع جائز في حالة الوقف . أما في الحالات الأخرى، فتعمد العرب إلى التخلّص من أحد الساكنين بمصوّت يكون في أغلب الأحيان كسرة .

أما لماذا الكسرة دون أختيها، فهذا ما علّله **التفتازاني** بقوله:" **الساكن إذا حُرّك ؛ حرّك بالكسر، لما بين الكسر والسكون من التآخي، ولأن الجزم قد جُعِل عِوضا عن الجرّ عند تعذُّر الجر ؛ أعني في الأفعال، فكذلك جعل الكسر عوضا عن الجزم عند تعذّر السكون .**" [6]

---

1 ـ جزء من الآية : 19 من سورة النجم .

2ـ ذ كر الرازي أن اللات قرئت بتشديد التاء، وهي من لتّ دون أن ينسبها إلى قارئ معين، واللات مأخوذة من رجل كان يلت بالسمن الطعام، ويطعم الناس ؛ فعُبد واتخذ على صورته وثن ؛ وسموه باللات، التفسير الكبير، 2/ 275 .

3ـ رسالة الصاهل والشاحج، ص: 307.

4- هو عمرو بن شأس بن أبي بليّ الأسدي، كثير الشعر في الجاهلية، وهو أكثر طبقته شعرا، طبقات الشعراء، ص: 44- 46.

5- رسالة الصاهل والشاحج، ص: 162 .

6- شرح مختصر التصريف العزّي، ص: 102.

وذكر في موضع آخر أنّ الكسر هو الأصل في حركة الساكن، وهو الأعرب والأفصح. [1] ومع ذلك، فبعض الأصوات تؤثر مصوتات معيّنة، كالميم التي تؤثر مصوّت الضمة ؛ لأنها شفويّة كالواو ؛ فيناسبها الضم . [2]

ومن القراءات القرآنية التي تُخلّص فيها من التقاء الساكنين بمصوّت الكسرة، قراءة حمزة قول الله تعالى : (**وما أنتم بمصرخي**) [3] بكسر الياء ، و ذكر **أبو العلاء المعري** أنّ أصحاب العربية مجمعون على كراهة هذه القراءة – أي بالكسر– وذهب الذين نقلوا هذه القراءة إلى أنّ **أبا عمرو** أجاز الكسر لالتقاء الساكنين . [4]

ومن أمثلة ذلك أيضا، قراءة قوله تعالى : **(فَمَن اضطُرَّ)** [5] فقد قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، والكسائي : (**فَمَن اضطُرَّ**) بضم النون، والباقون بالكسر، فالضم للإتباع، والكسر على أصل الحركة لالتقاء الساكنين . [6]

وليس التخلص من التقاء الساكنين مقصورا على اجتلاب مصوّت معيّن، وإنما قد يكون بحذف أحد الساكنين، يكون عادة الأوّل منهما، مثال ذلك : حذف الواو من كن، أصلها : كون، فلمّا التقى سكون الواو،

1ـ نفسه، ص: 103 .

2ـ نفسه، ص: 50، وهذا رأي إبراهيم أنيس من المحدثين،إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط4، 1987، ص: 140 .

3 ـ جزء من الآية : 22 من سورة إبراهيم .

4- رسالة الغفران، ص: 212، وذكر الرازي في تفسيره أن هذه القراءة لحمزة، وهي كذلك قراءة الأعشى ويحيى بن وثاب، وإنما قرئت بالكسر عن وهم القراء وظنهم أنّ الباء في قول الله تعالى : **(بمصرّخي)** خافضة، وهذا خطأ ؛ لأن الياء من المتكلم خارجة من ذلك، التفسير الكبير، 19/ 94.

5 ـ جزء من الآية : 173 من سورة البقرة .

6- التفسير الكبير، 5/ 10.

وسكون النون، حذفت الواو لالتقاء الساكنين .[1] و هذا على اعتبار اللغويين القدامى مصوت الضمة الطويل صوتا ساكنا، ومثال هذا الحذف ما أنشده **ابن عربي**:

وَ الواوُ لَوْلا سُكونُ النّونِ أَظْهَرَها في العَيْنِ قائِمَةً تَمْشي عَلى قَدَرِ.

أي لولا سكون النون الذي نتج عنه التقاء ساكنين لبقيت الواو ظاهرة في اللفظ.

خلاصة القول إنّ العربية لا تجيز التقاء الساكنين في كلامها إلا في حالة الوقف وفي بعض الحالات الشاذة التي لا يقاس عليها ؛ ولذلك تعمد العربية إلى التخلّص من هذه الحالات باجتلاب مصوّت يناسب الصامت، وغالبا ما يكون هذا المصوّت كسرة .

4 ـ إبدال المصوّت من الصامت:

يجد الناطق ثقلا ومشقّة في نطق صوتين متماثلين متجاورين، فيعمد درءا لهذا الثقل إلى حذف أحد المتماثلين أو إبداله بمصوّت طويل، أو ما شابهه من أصوات اللين، أو الأصوات المائعة . وقد عبروا عن هذا الإبدال بـ :"كراهية التضعيف"[2]، وبـ"ثقل اجتماع المثلين"[3]، ومن الأمثلة التي أوردها الفلاسفة شاهدا على مثل هذا الإبدال، إبدالهم الفتحة الطويلة من أحد المضاعفين في الألفاظ التالية:

1- الفتوحات المكية، 12/ 276، 13/ 118، والرسائل، ص: 89 .

2- الحلل في إصلاح الخلل الواقع من كتاب الجمل، ص: 390.

3- شرح مختصر التصريف العزي في فن الصرف، ص: 93.

تقضّى ⟵ تقضض.[1]

تلعّى ⟵ تلعع[2]

يصدى ⟵ يصدد[3]

دساها ⟵ دسسها[4]،وذلك في مثل قـول الله تعالى: :**(وقد خاب مَن دسّاها)** [5]

نستشف من هذه الألفاظ أنّ العرب عملـت علـى تجـاوز هـذا الثقـل بإبدال أحـد الصـوتين بمصـوّت فـتح طويـل، هـو الألـف ؛ لتميـزه بالخفـة والاسترسال في النطق.

ومن الألفاظ التي أُبدل فيها أحد المثلين بمصوّت كسر طويل ،قولهم:

دينار ⟵ دنّار.[6]

1- ينظر : ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب، كتاب الإبدال، تحقيق : حسين محمد محمد شرف، مراجعة: علي النجدي ناصف، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطـالع الأميريـة، دط، 1978، ص: 133 – 134، وشرح مختصر التصريف العزي في فن الصرف، ص: 94، وقد أورد قول **العجاج** :

تقضّى البازي إذا البازي كسر.

و في الديوان : تَقَضِّيَ بدل : تقضّى، وصـدره : **دانى جَنَاحَيْهِ مِنَ الطّورِ فَمَـرْ،** الـديوان، ص : 52، لمـا اجتمعت ثلاث ضادات قلبت إحداهن ألفا، وذكر الرازي أن منهم من يسقط الضاد الأخـيرة، التفسـير الكبير، 7/ 36.

2- الإبدال، ص : 135، والحلل في إصلاح الخلل الواقع من كتـاب الجمـل، ص: 390، وتلعـى حتـى اللعاع، وهو الكلأ الخفيف رُعي أو لم يُرع، القاموس المحيط، مادة : [ل ع ع]، 2/ 1019.

3- الإبدال، ص : 135، والحلل في إصلاح الخلل الواقع من كتاب الجمل، ص: 390 .

4-الإبدال، ص : 134، قال البطليوسي: "**وأصلها : دسّسها، فقلبت السين ياء كراهية التضعيف، ثـم انقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها**."الحلل في إصلاح الخلل الواقع منكتات الجمل، ص : 390 .

5 ـ الآية : 10 من سورة النور .

6-النعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ للزمخشري، ص: 11.

وعلّل **التفتازاني** هذا الإبدال بقوله : " فأبدل من أحد حرفي تضعيفه ياء ؛ لئلا يلتبس بالمصادر التي هي على فعّال مشددة العين نحو قوله تعالى : (**وكذبوا بآياتنا كذّابا**) [1]،و مثال هذا الإبدال :

قيراط ⟵ **قرّاط**[2]

يأتمي ⟵ **يأتــمّ**[3]، كقول كثيّر :[4]

تَزُورُ اِمْرِءاً أَمَّا الإِلَهُ فَيتّقي وأَمَّا بِفِعْلِ الصَّالِحِينَ فَيَأْتَمِي .

ومسوغ هذا الإبدال هو خفة الكسرة الطويلة ؛ فهي تلي الألف في الخفة واليسر في النطق.

وعلّل **التفتازاني** إبدال المضاعف بمصوّت طويل بقوله: " **فلمّا لحق الإبدال والحذف حرف التضعيف كما يلحقان حروف العلة أُلحق المضاعف بالمعتلات وجُعل من غير السالم مثلها .** "[5]

نفهم من كلام التفتازاني أن إبدال أحد المثلين بمصوّت طويل أو حرف علة كما سماه كان لاشتراكهما في الحذف والتغيير . وذكر **ابن تيمية** أنّ **العرب تعاقب بين حرف العلة، والحرف المضاعف .** "[6]

ومثل هذا الإبدال لم يكن عامّا عند جميع قبائل العرب، بل اقتصر على البعض دون بعض آخر، فقد ذكر **الرازي** نقلا عن **الفراء** أنّ التضعيف

---

1 ـ الآية : 28 من سورة النبأ .

2- النعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ للزمخشري، ص: 11.

3-الإبدال، ص: 135، وكتاب الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، ص: 390.

4-سر صناعة الإعراب، 2/ 386، والزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو (- 538هـ)، المفصل في صنعة الإعراب، تقديم: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999، ص : 480، والديوان،شرح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان، 1971 .ص : 306 .

5- شرح مختصر التصريف العِزي في فن الصرف، ص: 96.

6- ابن تيمية، تفسير سورة الإخلاص، راجعه: عبد العالي عبد الحميد حامد، الدار السلفية، بومباي ـ الهند، ط1، 1986، ص: 56.

لهجة أهل الحجاز، وبني أسد، والتخفيف لهجة تميم وقيس وذلك في قوله : **"الإملال والإملاء لغتان، قال الفراء : أَمْلَلْتُ عليه الكتاب لغة أهل الحجاز وبني أسد، وأَمْلَيْتُ لغة تميم وقيس، ونزل القرآن باللغتين ."** [1] وذلك في قوله تعالى :

(وليُمْلِلِ الذي عليه الحقُّ) [2] وقوله تعالى : (فهي تُملى عليهِ بكرة وأصيلا) [3] .

لم تقتصر الشواهد التي ساقها الفلاسفة في هذا الباب على إبدال المصوّت الطويل من أحد صوتي التضعيف، بل تعداه إلى الإبدال بأشباه المصوّتات كالياء، إلاَّ أننا استغنينا عن ذكره، وقصرنا الحديث على الإبدال بالمصوّت .

5 ـ المدّ والقصر في المصوتات:

إنّ الفرق بين المصوتات الطويلة والقصيرة هو فرق في الكمّية فقط، فعن إشباع المصوتات القصيرة تحدث الطويلة، يقول **ابن عربي** : **" اعلم أنّ المراد بالحروف الصّغار : الحركات الثلاثة، وهي: الضمة، والفتحة والكسرة، ولهذه الحروف حالان : حال إشباع، وحال غير إشباع، فإن اتصف واحد منها بالإشباع كان علّة لوجود معلول يناسبه، فإن أشبعت الضمة كان عنها الواو المعلولة، وإن كانت الحركة فتحة كان عنها الألف، وإن كانت كسرة كان عنها الياء المعلولة ."** [4] و قال في موضع آخر : **" الحروف الصغار بإشباعها تكون الحروف الثلاثة ؛ التي هي حروف العلة، وهي حروف المدّ واللين . "** [5]

1- التفسير الكبير، 7/ 110.

2- جزء من الآية : 282 من سورة البقرة .

3- جزء من الآية : 05 من سورة الفرقان .

4 ـ الفتوحات المكية، 13/ 313 .

5 ـ نفسه، 13/ 310، وينظر : ص : 1/ 278، 2/ 185، 2/ 301، 3/ 135، 13/ 117 ـ 120 ـ 121

فكل مصوّت ينشأ عن إشباعه مصوّت طويل يناسبه،فالفتحة تناسبها الألف، والضمة تناسبها الواو المعتلة ؛ والكسرة تناسبها الياء المعتلة، والعلة شرط في الصوتين الأخيرين ؛ لأنهما قد يكونان في مقام الصحة .

قد تتعرّض المصوّتات حال التركيب إلى تغيير في كمّيّتها، وهذا ما عبّر عنه الفلاسفة المسلمون بالزّيادة والحذف، وهو لا يختلف عن تعبير النحاة عنه، يقول **أبو العلاء المعرّي** : "**و قد وجدنا العرب زادوا الألفات، والياءات، والواوات .** "[1] ومن أمثلة هذه الزيادة في الشعر، زيادة الياء للزوم الكسرة، كقول **الثغلبي** : [2]

وسَواعيدَ يُخْتَلَيْنَ اخْتِلاءً كَالمَغالي يَطِرْنَ كُلَّ مَطيرِ .

و قول **زهير (ت13ق.م)** : [3]

عليهن فرسان كرام لباسهم سوابيغ زغف لا تخرقها نُبُل .

أشبع الشاعر في الشاهد الأول كسرة صوت العين في سواعد، وهو ما عبّر عنه المعري بزيادة الياء، وفي الشاهد الثاني أشبع كسرة الباء من سوابغ، وهذا الإشباع أو الزيادة ليس لضرورة ؛لأنّه لو حذف الياء لم يضرّ بالبيت . [4]

1ـ رسالة الملائكة، ص : 206 .

2 ـ نفسه، ص : 207، ورسالة الصاهل والشاحج، ص : 478، نسبه المحقّق للأخطل، لكن لم أجده في ديوانه .

3 ـرسالة الملائكة، ص : 207، ورواية في الديوان :

عَلَيْها أُسودٌ ضارِياتٌ لَبوسُهُم سَوابِغُ بيضٌ لا تُخَرِّقُها النَّبْلُ.

زهير بن أبي سلم، الديوان، اعتنى به وشرحه : حمدوطمّاس، دار المعرفى، بيروت ـ لبنان، ط2، 2005، ص : 49 .

4ـ رسالة الملائكة، ص : 209 .

ومثال إشباع الكسرة أيضا، قول **الهذلي** : [1]

و للقِسِيِّ أزاميلُ وغَمْغَمَـة حِسٌّ الشَّمالِ تَسوقُ الماءَ والبَرَدا .

و مما أورده الفلاسفة شاهدا على إشباع الضمة، قول الشاعر : [2]

الله يَعْلَمُ أنّـا في تَحَمُّلِـنا يَوْمَ الرَّحيلِ إلى أحْبابِنا صـورُ .

وَ أنّني أيْنَما يَثْني الهَوى عُنُقي مِنْ حَيْثُما يَمَّموا أذْنو فَأنْظـور .

و يمكن أن يكون إشباع الضمة لغة لطيء . [3]

وأشبعت الفتحة في بعض المواضع لإقامة الوزن، مثل قول الراجز : [4]

لَوْ أنَّ عِنْدي مائتي دِرْهـام

لابْتَعْتُ دارا في بَني حَـرام

و عِشْتُ عَيْشَ المَلِكِ الهُمـام

وَ سِرْتُ في الأَرْضِ بِلا خاتام .

---

1 ـ نفسه، ص : 209، ورسالة الصاهل والشاحج، ص : 478، والبيت لعبد منـاف بـن ربـع الهـذلي، وروايته : الجنوب بدل : الشمال، لسان العرب، مادة : [ح س س]، 6/ 50، ويُروى صدره : وللقسـيّ أهازيج وأزملة، المعجم المفضل في شواهد اللغة العربية، 2/ 184 .

2 ـ رسالة الصاهل والشاحج، ص : 477 ـ 478، والبيـت الأول بـلا نسـبة في لسـان العـرب، مـادّة : [ص ور]، وروايته :

الله يعْلَمُ أنّا في تَلَفُّتِنـا يَوْمَ الفراق إلى أحبابنا **صورُ .**

المعجم المفضل في شواهد اللغة العربية، 3/ 336 . والبيت الثاني لابن هرمة، وروايته :

وأنّي حَيْثُما يَثْنى الهَوى بَصَري مِنْ حَيْثُما سَلَكوا أدْنو فَأنْظور .

المعجم المفضل في شواهد اللغة العربية، 3/ 339 .

3ـ رسالة الصاهل والشاحج، ص : 478 .

4ـ رسالة الصاهل والشاحج، ص : 476، ورسالة الملائكة، ص : 211 .

و مثال ذلك أيضا، قول الشاعر: [1]

و لَنِعَمَ مَأوى المُسْتَضيفِ إذا دّعا والخَيْلُ خارجَةٌ مِنَ القِسْطـال .

أراد الشاعر: القسطل، فأشبع فتحة الطاء، فصارت ألفا .

عبّر الفلاسفة المسلمون عن تقصير المصوّت بالحذف ؛ لاعتباره صوتا ساكنا عندهم، ومما أورده **الرازي** في هذا الباب، قراءة قوله تعالى : **(يوم يأتِ لا تكلم نفس إلا بإذنه)** [2] يَأْتِ بحذف الياء، وهي قراءة **أبي عمرو**، و**عاصم**، و**حمزة**، والباقون بإثبات الياء، ويمكن أن يكون هذا الحذف لهجة هذيل ؛ وهذا ما نقله عن **الزمخشري** . [3]

إنّ المدّ والقصر في المصوتات ظاهرة صوتية عبّر عنها الفلاسفة المسلمون بالزيادة والحذف، وهي ظاهرة مرتبطة باختلاف اللهجات العربيّة، وبالضرورات الشعرية في بعض المواضع . وفي المبحث الموالي، سندرس جانب استخدام المصوتات كدلائل على معان ووظائف نحويّة .

خامسا : المصوّتات وأثرها في الدلالة :

سنحاول في هذا المبحث أن نبيّن اهتمام وعناية الفلاسفة المسلمين بالمصوتات والتي تجلّت في كثير من المسائل النحوية والصرفية كما سيتّضح.

1 ـ المصوّت علامة إعرابية :

تناول الفلاسفة المسلمون الإعراب فعرّفوه وبيّنوا أحواله على نحو لا يختلف عما هو عليه في الدراسة النحوية القديمة، ومن الفلاسفة المسلمين

1ـ الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب، 2/ 230، والمعجم المفضل في شواهد اللغة العربية، 6/ 403، والبيت لأوس بن حجر، ينظر: الديوان، تحقيق وشرح : محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ط2، 1999، ص : 109 .

2 ـ جزء من الآية : 105 من سورة هود .

3ـ التفسير الكبير، 18/ 48 .

الذين توفرت لديهم دراسة جادة لظاهرة الإعراب أبو عبد الله **الخوارزمي** في كتابه "مفاتيح العلوم"؛ حيث عقد بابا للنحو خصّص عدة فصول منه للحديث عن الإعراب وعلاماته، إضافة إلى **ابن رشد** في كتابه: "الضروري في صناعة النحو" و**فخر الدين الرازي** في "التفسير الكبير".

عرّف **ابن رشد** الإعراب بأنّه شكل آخر الكلمة بأشكال مختلفة لاختلاف أحوال المعنى المدلول عليه بذلك الاسم [1]، وتعريف **الشريف الجرجاني** له قريب من كلام **ابن رشد**، فهو اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل لفظا أو تقديرا . [2] أي أن دلالة الكلمة تختلف وتتغير تبعا لاختلاف شكل آخرها.

أما فخر الدين **الرازي**، فقبل أن يقدّم المعنى الاصطلاحي للفظة إعراب قام بشرح دلالتها الاجتماعية، فهو يرى أنّ لهذه اللفظة وجهين: أحدهما أن يكون مأخوذا من قولهم : "أعرب عن نفسه" إذا بيّن ما في ضميره، فإن الإعراب إيضاح المعنى، والآخر: أن يكون أعرب منقولا من قولهم : "عربت معدة الرجل" إذا فسدت، فكان المراد من الإعراب إزالة الفساد ورفع الإبهام، مثل: أعجمت الكتاب بمعنى أزلت عجمته . [3]

معنى هذا الكلام أن إعراب الكلمة يُبيّن دلالتها، ويزيل الغموض عنها، وهذا ما أكّده بقوله: "**فتلك الأحوال المختلفة اللفظية الدالة على الأحوال المختلفة المعنوية هي الإعراب .**" [4] يكاد يجمع التعريف اللغوي والاصطلاحي للإعراب على أن معناه الإبانة والوضوح .

1- الضروري في صناعة النحو، ص: 53.

2- التعريفات، ص: 35.

3- التفسير الكبير، 1/ 54.

4- التفسير الكبير، 1/ 54.

يرى **فخر الدين الرازي** أنّ الإعراب اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل بحركة أو حرف [1]، ومع ذلك فإن الإعراب ليس تلك الحركات التي تتعاقب على آخر الكلمة، بل هو عبارة عن استحقاق هذه الكلمات لهذه الحركات بسبب العوامل المحسوسة . [2] و هذا قال به بعض الباحثين، منهم: **مصطفى جمال الدين** في قوله : "**ولكن الإعراب ليس هو المعنى النحوي، ولا الدال على المعنى النحويّ، بل هو علامة أنّ الكلمة تحمل معنى نحويّا خاصّا، فالفاعلية، والمفعولية مثلا معنى من هذه المعاني النحوية، دلّ عليه إسناد الفعل بدالّ هو : إمّا تركيب الجملة كاملة، أو صيغة الفعل، وعلامة ذلك : الضمة أو الفتحة، بدليل أنّ هذه العلامة تفقد علاميّتها أحيانا ـ كما في المبنيات ـ مع بقاء المعنى النّحويّ** ." [3]

أما عن موقع الإعراب في الكلمة، فهو عند العرب في أطراف الكلم. [4] و قد حاول **فخر الدين الرازي** الكشف عن علة اختصاص الإعراب بالصوت الأخير من الكلمة، فذكر أنه كان كذلك لعلتين اثنتين:

ــ الأولى : أنّ الأحوال العارضة للذات لا توجد إلا بعد وجود الذات، واللفظ لا يوجد إلا بعد وجود الصوت الأخير منه، فوجب أن تكون الأحوال المختلفة لا تحصل إلا بعد تمام الكلمة ." [5]

1- نفسه، 1/ 57.

2- نفسه، 1/ 55.

3 ـ مصطفى جمال الدين، البحث اللغوي عند الأصوليين، دار الهجرة، إيران، فم، ط2، 1405هـ، ص : 299 .

4- الضروري في صناعة النحو، ص: 53.

5- التفسير الكبير، 1/ 54 – 55.

يقصد **الرازي** بهذا الكلام أن الحركات الإعرابية هي أحوال عارضة وطارئة على الألفاظ التي هي بمحل الأجسام لها. كما أنّ الألفاظ لا تتحقق إلا بعد تمام أصواتها ، وعليه وجب أن تكون الحركات بعد تمام الألفاظ.

ـ الثانية : اختلاف حال الصوت الأول والثاني من الكلمة للدلالة على اختلاف أوزانها، فلم يبق لقبول الأحوال الإعرابية إلا الصوت الأخير من الكلمة . [1]

لا يمكن أن يختص الإعراب بفاء الكلمة أو عينها لتأديتهما وظيفة أخرى غير هذه الأخيرة، وهي الوظيفة الصرفية ؛ ذلك أن الكلمة العربية تتغير من صيغة إلى صيغة أخرى تبعا لتغير مصوتاتها، مثال ذلك : فَعَلَ، إذا غيرنا مصوّت الفتحة إلى ضمة، وغيّرنا فتحه العين إلى كسرة ؛ فإنها تستحيل إلى صيغة : فُعِلَ ؛ أي إلى صيغة المبني للمجهول.

وجعل **القاضي عبد الجبّار** الحركات الإعرابية ثلاثا :رفع، ونصب، وجرّ [2]. دون أن يردف هذا الكلام بكلام يوضح مقصوده من هذه الثلاثة .كذلك هي ثلاث عند **الغزالي(ت505هـ)**، ويسميها الإعرابات الثلاثة [3]، ولعلّ كلام **ابن رشد** كان أكثر وضوحا وشمولا ؛ فقد قال محدّدا علامات الإعراب: "**إنّ هذه العلامات في لسان العرب في الأسماء هي ست : ثلاث منطوق بها، وهي: الضمة، والفتحة، والكسرة، وثلاث هي مدّات حادثة عن إشباع لهذه الحركات .**" [4]

1- التفسير الكبير، 1/ 54 – 55.

2- المغني في أبواب التوحيد والعدل، 7/ 205 ـ 7/ 164، وذكر ابن حزم الخفض بدلا من الجر، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، ص: 48.

3ـ ينظر : الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ)، المنخول من تعليقات الأصول، تحقيق : محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ط2، 1980، ص : 80 .

4- الضروري في صناعة النحو، ص : 56.

أي إنّ الإعراب يتم بالمصوّتات القصيرة كما الطويلة ؛ التي هي نتاج إشباع المصوتات القصيرة.

العلامات الإعرابية نوعان : علامات إعراب، وعلامات بناء، يقول **أبو عبد الله الخوارزمي: "الحركات التي تلزم أواخر الكلام للإعراب ثلاث : رفع ونصب وخفض، وقد تسمى أيضا ضمّا وفتحا وكسرا، وقد يسمّى الخفض أيضا جرّا، وقد فرّق البصريون بين هذه الأسماء ؛ فجعلوا الرفع لما دخل على الأسماء المتمكنة التي يلزمها الإعراب بالحركات الثلاث، مثل قولك : زيد، وعمرو، وعبد الله، وجعلوا الضم لما بني مضموما، مثل : نحن وقط، وحيث، وجعلوا النصب للأسماء المتمكنة التي يلزمها الإعراب بالحركات الثلاث، وجعلوا الفتح لما بني مفتوحا، نحو: أين، وكيف، وشتّان، وجعلوا الخفض للأسماء المتمكنة التي يلزمها الإعراب بالحركات الثلاث، وجعلوا الكسر لما بني مكسورا ،نحو : هؤلاء، وأمس، وجير ."** [1]

إنّ نظرة متأنّية في هذا النص تهدينا لأمرين اثنين:

ـ الأول : العلامات الإعرابية في أصلها ثلاث وإن اختلفت ألقابها إلى ست.

ـ الثاني : الحركات التي تكون للإعراب تسمى : رفعا ونصبا وجرا أو خفضا، والتي للبناء : ضم وفتح وكسر. والمبني هو الذي تبقى أواخره على شكل واحد، أمّا المعرب فما تشكّل بأشكال متبدّلة. [2]

اختلفت طريقة **ابن عربي** في عرضه لعلامات الإعراب وألقابها، فأوردها منظومة في أبيات شعرية على النحو الآتي : [3]

1- مفاتيح العلوم، ص: 29.

2- الضروري في صناعة النحو، ص : 126.

3 ـ الفتوحات المكية، 2/ 51.

حَرَكاتُ الحُروفِ سِتٌّ ومِـــنْـــها أَظْـــهَرَ اللهُ مِثْلَها الكَلِمـــات .
هِيَ رَفْعٌ وثُمَّ نَصْبٌ وَخَـــفْـــضٌ حَرَكـــاتٌ لِلْأَحْرُفِ المُعْرَبات .
وَ هِيَ فَتْحٌ وثُمَّ ضَمٌّ وَكَسْـــــرٌ حَرَكاتٌ لِلْأَحْـــرُفِ الثّابتات .
وَ أُصـــولُ الكَلامِ حَذْفٌ فَمَـــوْتٌ أَوْ سُكونٌ يَكونُ عَنْ حَرَكات .

ذكر **فخر الدين الرازي** أنّ بعضهم يجعل ألقاب البناء التي هي: الفتح والضم والكسر والوقف ألقابا للإعراب أيضا[1] ويبدو أنّ هذا الرأي لم يستقطب اهتمامه، يظهر ذلك من قوله: "**منهم من زعم**"[2]؛ أي إنّه لا يعدو أن يكون مجرّد زعم .

و ربط كل من **ابن رشد والرازي** ألقاب الإعراب بمخارج المصوّتات، كما علّلا اختصاص الرفع بالضمة، والنصب بالفتحة، والجر بالكسرة، يقول **ابن رشد**: " **فجعلوا المتقدم من الأشكال للمتقدم من المعاني في النفس ،و لمّا كان مخرج الضمة هو أرفع من مخرج الفتحة والكسرة؛ سمّوا المعنى الذي تدل عليه الضمة، والضمة نفسها رفعا، وسمّوا الذي هو مقابل لهذه خفضا، وسمّوا المتوسط نصبا، تشبيها بهذه الحروف في مخارجها، أعني في مخرج الحرف الواحد .**"[3]

وربط **ابن قيم الجوزية** ألقاب البناء والإعراب بوضعية الشفتين أثناء النطق بالمصوتات، يقول : "**الضمة عبارة عن تحريك الشفتين بالضم عند النطق ؛ فيحدث مع ذلك صويت خفيّ مقارن للحرف، إن امتدّ كان واوا، وإن قصر كان ضمة، وكذلك الفتحة عبارة عن فتح الشفتين عند النطق**

1ـ التفسير الكبير، 1/ 56.

2- نفسه، 1/ 56.

3- الضروري في صناعة النحو، ص: 55.

بالحرف ؛ وحدوث الصوت الخفي الذي يسمى فتحة أو نصبة، وإن مـدّت كانت ألفا، وإن قصرت فهي فتحة، وكذلك القول في الكسرة . والسكون، وهو عبارة عن خلوّ العضو من الحركات عند النطق بالحرف ؛ فـلا يحـدث بعد الحرف صوت ؛ فينجزم عند ذلك؛ أي ينقطع ؛ فلذلك سمـي جزمـا ؛ اعتبارا بانجزام المصوت، وهو انقطاعه، وسكونا اعتبـارا بالعضـو السـاكن، فقولهم : فتح وضم وكسر هو من صفة العضو ."[1]

حاول **ابن قيم الجوزية** بهذا النص أن يبيّن لنا أنّ ألقاب الإعراب على اختلافها مشتقة من أوضاع الأعضاء المسئولة عن إنتاج المصـوتات القصـيرة والطويلة ؛ التي هي امتداد لها، والسكون سمي كذلك ؛ لأنّ هـذه الأعضـاء تنقطع عن الحركة وتسكن .

وأضاف قائلا عن الحركات الإعرابية: "**وإذا سمّيت ذلك رفعا ونصبا وجزما وجرا، فهي من صفة الصوت ؛ لأنه يرتفع عند ضم الشفتين، وينتصب عند فتحهما، وينخفض عند كسرهما، وينجزم عند سكونهما ؛ ولهذا عبَّروا عنه بالرفع والنصب والجر .**"[2]

لا يختلف هذا النص في مضمونه عن النص السابق ؛ **فابن القيّم** ربط ألقاب الإعراب بكيفيّة الصوت ؛ الذي يرتبط هو الآخر بوضع الشفتين، فيرتفع إذا ارتفعتا، وينخفض إذا انخفضتا، ويستوي إذا انتصبتا. والأغلب أنّ الذي يتحكم في صفة الصوت هو اللسان ؛ لأن تأثيره أسبق في الصوت من الشفتين .

وربط **فخر الدين الرازي** بين اختصاص الفاعل بالضمة، والمفعول به بالفتحة، والمضاف إليه بالكسرة، وبين الخفّة والثقل في المصوّتات في قوله: "

1- بدائع الفوائد، 1/ 42 .

2 ـ نفسه، 1/ 42 .

الفاعل واحد، والمفعول أشياء كثيرة ؛ لأن الفعل قد يتعدى إلى مفعول واحد، وإلى مفعولين، وإلى ثلاثة، ثم يتعدى أيضا إلى المفعول له، وإلى الظرفين، وإلى المصدر والحال، فلما كثرت المفاعيل أُختير لها أخف الحركات وهو النصب، ولمّا قلّ الفاعل اختير له أثقل الحركات، وهو الرفع ." [1]

فالعرب لما لاحظت كثرة المفعولات في كلامها، خصّتها بمصوت الفتحة الذي هو أخف الصوائت درءاللثقل والمشقة، وطلبا للسهولة واليسر.

وقد يتمّ الإعراب بالمصوّتات الطويلة بدلا من القصيرة في كثير من الحالات، مثال ذلك الأسماء الستة والمثنى، ونبدأ بالأسماء الستة ؛ التي تكون الفتحة الطويلة فيها علامة للنصب، نحو : رأيت أباك، والكسرة الطويلة علامة الخفض في مثل: مررت بأبيه، أمّا الضمة الطويلة فتكون علامة للرفع في هذه الأسماء، نحو : جاءني أبوك . [2]

وفي حالة التثنية، فإن الفتحة الطويلة تكون علامة للرفع، نحو: "قام الزيدان"، وتكون الكسرة الطويلة علامة مشتركة للنصب والخفض، نحو: "مررت بالزيدين"، و"عددت من العشرين إلى الخمسين" . [3] وسمّى **ابن رشد** الإعراب بالمصوتات الطويلة : الإعراب بالمدّات . [4]في حين جعله **فخر الدين الرازي** النوع الثاني من أقسام الإعراب، وسماه : الإعراب بالحرف [5]، وذلك باعتبار المصوتات الطويلة حروفا ساكنة.

1- التفسير الكبير، 1/ 61.

2- الضروري في صناعة النحو، ص: 56 – 57، والتفسير الكبير، 1/ 57، ورسائل ابن عربي، ص: 112.

3- الضروري في صناعة النحو، ص: 56 – 57، والتفسير الكبير، 1/ 57.

4- نفسه، ص: 56.

5- التفسير الكبير، ص: 56.

لم يفت الفلاسفة المسلمين الإشارة إلى اختلاف اللهجات في إعراب المثنى، فمن القبائل من التزمت الألف في التثنية في حالة الرفع والنصب والجر، كما في قراءة [1] قوله تعالى : (**إِنَّ هَـٰذَانِ لَسَـٰحِرَانِ**). [2] والقراءة التي أوردها الباقلاني هي لهجة بالحارث بن كعب . [3]

و مما جاء من هذه اللهجة في الشعر قول الشاعر : [4]

تَزَوَّدَ مِنّا بَيْنَ أُذناهُ ضَرْبَةً دَعَتْه إلى هابي التُّرابِ عَقيم .

علّل **فخر الدين الرازي** جعل الإعراب في الأسماء الستة المضافة، وفي المثنى بالمصوتات الطويلة، أو الحروف كما يُسميها دون غيرها بقوله: "**وأمّا الصور التي جاء إعرابها بالحروف ؛ فذلك للتنبيه على أنّ هذه الحروف من جنس تلك الحركات .**" [5] بمعنى أعربت الأسماء الستة المضافة، والمثنى بالمصوّتات الطويلة دون غيرها للتدليل على أنّ أصل الإعراب هو المصوتات

1- قرأ ابن كثير: (هذانّ) بالرفع وتشديد النون، وقرأ حفص : **(إنْ هذان)** بالرفع وتخفيف النون، وقرأ أبو عمرو (إنّ) مشددة، **(هذين)** نصبا. وقرأ الباقون:**(إنْ)** بالتشديد، و**(هذان)** بالرفع وتخفيف النون، المبسوط في القراءات العشر،ص: 178، والكافي في القراءات السبع، ص: 138، وينظر : الجاشعي، أبو الحسن علي بن فضال (ت479هـ)، النّكت في القرآن الكريم، تحقيق : عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 2007، ص: 318، والتفسير الكبير، 22/ 75.

2 ـ جزء من الآية : 63 من سورة طه .

3- نكت الانتصار لنقل القرآن الكريم، ص: 30، وذهب البعض إلى أنها لغة لكنانة، معاني القراءات، ص : 310، ونسبها قطرب إلى بلحارث بن كعب، ومراد، وخثعم، وبعض بني عذرة، في حين نسبها ابن جني إلى بعض بني ربيعة، التفسير الكبير، 22/ 76.

4- نكت الانتصار لنقل القرآن الكريم، ص : 30، وينظر: تأويل مشكل القرآن، تحقيق : أحمد صقر، نكتبة دار التراث، القاهرة، طبعة جديدة منقحة، 2006، ص : 104، والنّكت في القرآن الكريم، ص : 322، والتفسير الكبير، 22/ 76، وجاءت روايته بأذنيْه بدل: أذناه، المعجم المفضّل في شواهد اللغة العربية، 7/ 251 .

5- التفسير الكبير، 1/ 58.

القصيرة.غير أن التعليل الذي قدمه **ابن قيّم الجوزية** كان أقرب إلى الدرس الصوتي الحديث، فهو يرى أن الإعراب بقي على أصله ؛ أي: بالضمة والفتحة والكسرة، وهو رأي تبناه عن **السهيلي**، يقول: "**فمكنوا الحركات التي هي علامات الإعراب في الإفراد، فصارت حروف مدّ ولين في الإضافة، وصد تقدّم أنّ الحركات بعض الحرف، فالضمة التي في قولك أخ هي بعينها علامة الرفع في أخوك، إلا أنّ المصوت بها يمدّ ليتمموا اللفظ كما تمموا المعنى .**"[1]

وفي حالة الجزم، فإن هذه المصوتات الطويلة تحذف[2] كما تحذف المصوتات القصيرة، وفي حالة ما إذا كانت الكلمة معتلة الآخر، فإن حرف إعرابها يكون إمّا ألفا، أو ياء، أو واوا، فإن كان ألفا فالإعراب فيه مقدر لا يختلف آخره باختلاف العوامل[3] ؛ أي إنّ الحركة الإعرابية مقدرة منع من ظهورها صوت الألف؛ لأنه صوت لا يقبل التحريك، مع أنّ هذا التحليل لا يتناسب والطبيعة الصوتية للألف .

مما تقدم، يمكن القول إنّ أصل الإعراب ثلاثة مصوتات: الضمة والكسرة والفتحة، وقد يكون بحذف هذه الأخيرة ؛ أي: بالسكون. وبعد أن عرضنا الدلالة النحوية للمصوّتات ننتقل إلى عرض الدلالة الصرفيّة .

2ـ أهمية المصوت في بنية الكلمة:

المصوّت صوت لا يقل في واقع الأمر أهمية عن الصامت، فلهذه الأخيرة دور مهمّ على كل المستويات اللغويّة، وهذا ما أشار إليه الفلاسفة

1- بدائع الفوائد، 1/ 42، وينظر: السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 581هـ)، نتائج الفكر في النحو، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1992 .، ص : 78 .

2- الضروري في صناعة النحو، ص: 127، ورسائل ابن عربي، ص: 112.

3- ترشيح العلل في شرح أبيات الجمل، ص: 21.

المسلمون في كثير من المواضع، يقول **أبو العلاء المعرّي**: "**الحركة قوة الحرف وحياته .**"[1] وقريب من هذا الكلام قول **ابن عربي**: "**الحركات في الحروف هو ما منه الحياة في الأشياء .**"[2] فالمصوّت يحرّك الصامت ويخرجه من سكونه وثباته، فتُعرف هيئته ؛ لأنّه "**مجهول ما لم يحرّك، فإن حُرِّك مُيِّز بالحركة التي تتعلق به من رفع ونصب وخفض .**"[3]، ولولا المصوتات لما أمكن تأليف الكلام، يقول **ابن عربي**: "**إنَّ كل حرف يصطحب مع جميع الحروف كلّها، من جهة رفعه، ونصبه، وخفضه، وسكونه، وذاته، وحروف العلة الثلاث .**"[4] فالمصوّتات بمثابة الأدوات التي ترتبط بها الكلمات، وتتصل أجزاؤها بعضها ببعض، بل قد تحلّ محلّ الكلمات، وهذا ما ذكره **ابن خلدون(ت808هـ)** : "**الحركات من غير تكلّف ألفاظ أخرى .**"[5]

للمصوّتات خاصية تميزها عن باقي الأصوات، وهي النغم، وهذا ما أشار إليه **ابن رشد** عندما تحدّث عن أنواع المقاطع، يقول: "**والنغم إنما يحدث إما من المقاطع الممدودة، أو مع الحروف التي تمتد مع النغم وتتبعها، كالميم والنون .**"[6] فالطبيعة المخرجية للمصوتات منحتها هذه الميزة ؛ ذلك أنها أصوات تتّسم بحريّة وبخلوّ مجرى الهواء من أي عوائق أوحوائل ؛ فيجري الهواء مستمرا دون انقطاع، وهذا يمنحها صفة الاستمرارية والغنائية، كذلك الميم والنون، هما من الأصوات المتوسطة أو المائعة التي يغير معها الهواء مجراه، وذلك بأن يتسرب من التجويف الأنفي بدل التّجويف الفموي.

1- رسالة الصاهل والشاحج، ص: 440.

2- المبادئ والغايات في معاني الحروف والآيات، ص: 48.

3- الفتوحات المكية، 1/ 277.

4- نفسه، 1/ 330.

5 ـ ابن خلدون، عبد الرحمن (ت808هـ)، المقدّمة، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، 2004، ص : 566 .

6- ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق وتقديم: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت ـ لبنان، ص: 286.

لاحظ الفلاسفة أنّ المصوّتات أعمّ تصرّفا في كلام العرب من باقي الأصوات ،وهذا ما أشار إليه الكندي في رسالة التعمية [1]، يقول:" **فكذلك الحروف المصوّتة ؛ التي هي موضوع كل نوع من الكتب، هي أكثر في كل لسان من التي ليست بالمصوتة .**"[2] و قال في موضع آخر: " **إنّ المصوتة أكثر الحروف بالطبع في كل لسان، إذ هي موضوع، وعنصر الحروف موجودة مع باقيها من الحروف .**"[3] فكثرة دوران المصوّتات ميزة تخص معظم اللغات، وليس اللغة العربية وحدها.

تتفاوت المصوّتات في نسبة دورانها، فبعض منها أكثر دورانا من البعض الآخر، يقول **الكندي** " **وقد تعرض في الألسن أن تكون بعض المصوتة فيها أكثر من باقي المصوتة .**"[4] وهذا بطبيعة الحال متعلق بالخفة في بعض المصوتات دون بعضها الآخر، وكمثال على ذلك يذكر الكندي أنّ الفتحة الطويلة أكثر استعمالا في اللسان العربي من الأصوات الأخرى .[5]

المصوتات في اللغة العربية قسمان: قسم يدخل في بنية الكلمة، وقسم يدخل على الكلمة ويتبدل تبعا للوظيفة اللغوية، والفلاسفة المسلمون عالجوا المصوتات بقسميها، فالقسم الثاني –نعني الإعراب – نستدل به على الوظيفة النحوية، وقد أشار **المهدي بن تومرت (ت 524 هـ)** [6]إلى هذا القسم، وقال إنّ الدلالات تختلف باختلاف ستة أشياء، من هذه الستة، الاختلاف بالبناء،

1- المعمّى هو تضمين اسم الحبيب أو شيء آخر في بيت شعر إما بتصحيف ،أو قلب، أو حساب، أو غير ذلك، التعريفات، ص: 219.

2- رسالة استخراج المعمى، ص: 215.

3- نفسه، ص: 236.

4- نفسه، ص: 215.

5- رسالة استخراج المعمى، ص: 235.

6ـ هو محمد بن تومرت الملقّب بـ : المهدي بأمر الله، ويقال له : مهدي الموحدين، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ص : 1/ 32، 35 .

وهو القسم الأول والاختلاف بالإعراب، وهو القسم الثاني. وأما الاختلاف بالإعراب، "**كقولنا : ما أحسن زيدا في التعجب، وما أحسن زيد ؟ في الاستفهام، وما أحسن زيدٌ في نفي الإحسان عنه .**"[1]

فحركات الإعراب ليست شيئا زائدا أو ثانويا، بل تؤدي وظيفة أساسية في اللغة ؛ إذ بها يتّضح المعنى ويظهر، وعن طريقها تعرف الصلة النحوية بين الكلمات، إضافة إلى أنّ الإعراب يعين على معرفة من قام بالفعل، ومن وقع عيه الفعل، وهذا ما أشار إليه **ابن رشد** باختلاف الإعراب عند اختلاف أحوال القول [2]. وهو ما يتضح من قول **الرازي**: "**وحركات اللفظ دالة على أحوال المعنى .**"[3]

أما اختلاف البناء، فهو اختلاف كلمتين نطقا واتفاقهما خطا، يقول **ابن تومرت**: "**وأمّا الاختلاف بالبناء فكقولنا : الحُبُّ، والحَبُّ، والحِبُّ .**"[4] إضافة إلى ذلك فالمصوّتات تعيّن لنا صيغة الكلمة، وتميز بين الاسم والفعل، نحو : فرَح وفرح، وخير دليل على عناية الفلاسفة المسلمين بهذا الجانب، هو كتب المثلثات كما تبين معنا عند النحاة، **فلابن السيد البطليوسي** مؤلَّف من هذا النوع أورد فيه جملة من الكلمات؛ وهي ثلاثة في كل مثال ، يتفق رسمها ويختلف نطقها تبعا لاختلاف المصوّتات، وسنكتفي بذكر بعض النماذج كدليل على عناية الفلاسفة المسلمين بدلالة المصوتات وأهميتها في بنية الكلمة، مثال ذلك:

1- يُنظر :ابن تومرت، أعزّ ما يطلب، تقديم وتحقيق : عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص: 58.

2- تلخيص الخطابة ، ص : 276 ، والمقدّمة، ص : 566 .

3- التفسير الكبير، 2/ 4.

4- أعزّ ما يطلب، ص: 58.

ـالدَّبْرُ، والدِّبْر، والدُّبر: قال البطليوسي:" **الدَّبر بالفتح جماعة النّحل** [1]**، وكذلك جعلت كلام فلان دبر أذني ؛ إذا لم تصغ إليه، ولم تعرج عليه، وذات الدّبر ثنيّة في بلاد هذيل، قال أبو ذؤيب:** [2]

بِأَسْفَلِ ذَاتِ الدَّبْرِ أُفْرِدَ جَحْشُها فَقَدْ وَلَهَتْ يَوْمَيْنِ، فَهْيَ خَلُوجُ .

و الدِّبر بالكسر : المال الكثير [3]**، أنشد يعقوب :** [4]

رَأَتْ لِلَأقْوامِ سواماً دِبْرا .

ودُبرُ كل شيء : مؤخره بالضم ." [5]

نلاحظ من هذا المثال أنّ الشكل الكتابي للكلمة في الصيغ الثلاث واحد، ولا يفرق بينها سوى المصوّت الواقع بعد فاء الكلمة.

ومثال ذلك أيضا:

ـ الدَّرْسُ والدِّرْسُ والدُّرس،يقول:" **الدَّرس بالفتح : رسوم الدار وتغيّرها، والدَّرس أيضا : درس الطعام، والدرس : الوطءُ بالقدم، والدّرسُ : القراءة،**

1- الدّبر: النحل، وجمعه : دُبور، وتعني المال الكثير، تهذيب اللغة، مادة : [د ب ر]، 10/ 281.

2- ورد عجزه بلا نسبة في إصلاح المنطق، ص: 77، و**بالدير** بدل :**الدبر** في الشعر والشعراء، 1/ 83، وفي لسان العرب، مادة: [د ب ر] وردت كلمة **خِشْفها** بدل : **جحشها** ؛ كذلك **طُرِدتْ** بدل := =**وَلِهَتْ**، مادة :[د ب ر]، 4/ 275، و في الديوان : **خِشْفُها** بدل: **جحشها** . والخشف : الولد، أبو ذؤيب، الديوان، تحقيق وشرح : أنطونيوس بطرس، دار صادر، بيروت ،ط1، 2003، ص : 52 .

3- ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب (- 244هـ)، إصلاح المنطق، تحقيق : أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط4، دت، ص : 5، وذكر ابن فارس أن الدَّبر بالفتح هو المال الكثير، ابن فارس، الحسن بن زكريا ،مقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ط1، 1991، مادة [دبر]، 2 / 326 .

4- هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق السكيت، من أكابر أهل اللغة، أخذ عن أبي عمرو الشيباني، والفراء، وابن الأعرابي، قُتل في خلافة المتوكل سنة أربع وأربعين ومائتين، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص: 159، 160.

5- البطليوسي، ابن السيد، المثلث، تحقيق: صلاح مهدي القرطوسي، دار الحرية للطباعة، 2/ 5- 6.

والدَّرس : الجَرَب، وأكثر ما يُستعمل في الإبل وربما أستعمل في غيرهـا [1]، قال العجاج : [2]

يَصْفَرُّ لِلْيَبْسِ اصْفِرارَ الوَرْسِ مِنْ عَرَق النَّضْحِ عَصيمُ الدَّرسِ .

و الدرس : ذهاب المحبة من قلب المحب، قال الشاعر:

لئن دَرَسَتْ أسبابُ ما كان بَيْنَنا مِنَ الوَصْلِ ما شَوْقي إلَيْكِ بِدارِسِ .

و الدِّرس بكسر الدال : أثر الشيء الـدارس، والـدِّرس بالكسـر والفـتح : الثوب البالي ." [3] ونحوه:

ـ شقرة، وشِقرة، وشُقرة، يقول**البطليوسي**:الشَّقرة بالفتح مخففة مـن شَـقِرَة، وهي الواحدة من شقائق النعمان.قال **طرفة(ت86ق.م)** [4]

وَ عَلا الخَيْلَ دِماءٌ كالشّقَرْ .

وفي ضبّة [5] شِقرة بن ربيعة، وفي تميم شقرة، وهو معاوية بن الحرب ين تمـيم، وشِقرة بالكسر : اسم عتاقٍ لبعض العرب، أنشد أبو زيدٍ :

يا حبَّذا شِقْرَةَ مِنْ عَتاقِ شِقْرَةُ ذاتُ قادِمٍ دُقاقِ .

والشُّقرة بالضم [6]: حمرة غير خالصة . [7]

1- وردت اللفظة بالدلالة نفسها في تهذيب اللغة، 9/ 475.

2- ديوانه، اعتنى بتصحيحه وترتيبه : وليم بن الورد البروسيّ، دار ابن قتيبة، الكويت.ص : 358، وتهذيب اللغة، مادة: [د ر س]، 9/ 475، ومقاييس اللغة، مادة : [درس]، 2/ 267 .

3- المثلث، 2/ 148.

4- روايته في الديوان :

وَتساقى القَوْمُ كَأْسا مُرَّة وعَلا الخَيْلَ دِماءٌ كالشّقِرْ .

ينظر : طرفة بن العبد، الديوان، اعتنى به : حمدوطماس، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ط1، 2003، ص : 50، وتهذيب اللغة، مادة : [ش ق ر]، 6/ 485.

5- تعود هذه القبيلة في نسبتها إلى ضبة بن أدبن طابخة بن إلياس بن مضر، عم تميم بن مرّين، اللباب في تهذيب الأنساب، 2/ 261 .

6- الأشقر، هو الأمر من الدواب، تهذيب اللغة، مادة : [ش ق ر]، 4/ 485.

7- المثلث، 2/ 448.

ـ **الورد** بالفتح ما يُشمّ، وبالكسر الجزء [1]

كلّ النماذج والأمثلة التي ساقها **البطليوسي** وغيره تؤكّد وتبرز دقّة توظيف المصوتات في تحديد المدلول الذي وضعت من أجله اللفظة.

المصوّتات في القرآن الكريم أدقّ وأنسب في الدلالة على المعنى الذي سيقت من أجله، وفي هذا يقول **الرافعي**: "**حتّى إنّ الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيّ كان ؛ فلا تعذب ولا تساغ، وربّما كانت أوكس النصيبين في حظ الكلام من الحروف والحركة، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنا عجيبا، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقا في اللسان .**" [2]

هذا لا يعني أنّ المصوتات هي التي تعطي الكلمة دلالتها بالكامل، بل تساعد على تحديدها إضافة إلى الصوامت، والتفسير الكبير يزخر بمثل هذه الدلائل، نذكر منها قوله تعالى: : (**وأولئك هم وَقود النار**) [3] ؛ فالوقود بفتح الواو: الحطب الذي توقد به النار، وبالضم هو مصدر: وقدت النار وقودا، كقوله: وَردت ورودا . [4]

ومن الآيات الكريمات التي أدى الاختلاف في قراءة المصوتات فيها إلى اختلاف في الدلالة، قراءة قوله تعالى : (**إنّ المتّقين في مقامٍ أمين**) [5] قرأ الجمهور في مَقام بفتح الميم، وقرأ نافع، وابن عامر بضم الميم، قال صاحب الكشاف:"**المقام بفتح الميم هو موضع القيام، والمراد : المكان، وهو من**

1ـ ينظر : الجرجاني، السيد الشريف، الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تعليق : رشيد أعرضي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 2007، ص : 424 .

2ـ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، اِعتنى به: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 2006، ص: 181.

3 ـ جزء من الآية : 10 من سورة آل عمران .

4- التفسير الكبير، 1/ 181.

5 ـ الآية : 51 من سورة الدخان .

الخاصّ الذي جعل مستعملا في المعنى العام، وبالضم هو موضع الإقامة ." [1]

إضافة إلى ما تقدم ،أشار **محيي الدين بن عربي** إلى أنّ الفتحة قد تكـون علامة للمذكر، والمكسورة علامة للتأنيث [2] إضـافة إلى أنّ المصـوتات تمكّـن من النطق بالساكن، فلا يكاد يخلو مؤلف من مؤلفات النحاة والفلاسفة مـن إشارة إلى هذه المسألة، يقول **القاضي عبد الـجبار**: **" الحرف فـلا بـد مـن أن يكون من أجزاء كثيرة ؛ لأنه لا بد فيه من شيء يبتدئ بـه، وشـيء يوقـف عليه ؛ لأن الابتداء عندهم لا يكون إلا متحركا، والموقوف عليه لا يكون إلا ساكنا ."** [3]

ولم يكتف الفلاسفة المسلمون بهذا القدر من دلالة المصوّتات، بل ربطوا طريقة إنتاجها بدلالتها، فالفتحة تنبئ عن الكثرة، ويشار بها إلى السعة؛ مثلما نجد الأخرس والأعجم بطبعه إذا أخبر عن شيء كثير فتح شفتيه، وباعد ما بين يديه، والضمة ضدّ الفتحة، تنبئ عن القلة والحقارة، كما نجد المقلّل للشيء يشير إليه بضمّ اليد أو الفم، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر ساعة الجمعة، وأشار بيده يقلّلها، فإنّه جمع أصابعه وضمّها، ولم يفتحها . [4]

إن هذا التوظيف للمصوتات في اللغة العربية، ليدل دلالة واضحة على خاصية الإيجاز التي تتميّز بها اللغة العربية، فلولا هذه المصوتات لاحتيج إلى أبنية كثيرة في الكلام. وفي المطلب الموالي سننتقل إلى الحديث عن

1- التفسير الكبير، 27/ 224.

2- الفتوحات المكية، 6/ 291 .

3- المغني في أبواب التوحيد والعدل، 7/ 104، والفتوحات المكية، 2/ 135، وشرح مختصر التصـريف العزي في فنّ الصّرف، ص: 57.

4ـ بدائع الفوائد، 1/ 44 .

مستوى آخر من مستويات الدرس الصوتي، وهو المستوى المقطعي أو المستوى ما فوق التشكيلي .

3 ـ المصوّت وأثره في التقطيع الصوتي :

تعود فكرة تقطيع الكلام وتجزئته في ارتباطها إلى نشوء أبجديات كثير من الشعوب، وخير دليل على ذلك هو وجود الكتابة المقطعية، فلا بد لمن أوجد هذه الطريقة من أن يكون مفكّرا لغويا استطاع أن يميّز المقطع في الكلمة، وأن يقطّعها ويفصّلها إلى مقاطع في حال احتوائها أكثر من مقطع [1].

والمقطع إضافة إلى النبر والتنغيم من الظواهر الأدائية التي أدرك النحاة واللغويون القدامى ما لها من أثر في الإبانة عن مقاصد الكلام، ولعل ذلك يتضح عند **ابن جني** في أثناء حديثه عن أهمية الحذف [2]. ومع ذلك، فإنّ هذا الجهد لا يعدو أن يكون إشارات عابرة، لم يتوقف النحاة عندها، ومردّ ذلك إلى كونها لا تدخل في جوهر التركيب، كما أنها تفتقر إلى الضوابط الخطية التي تضبطها وتقيّدها [3].

إضافة إلى ذلك، فإنّهم لم يحفلوا بدراسة خاصة للمقطع العربي بوصفه قاعدة أساسا لتحقّق ظاهرتي النبر والتنغيم، مع أنهم قدّموا دراسة تمت بصلة قريبة إلى النظام والدراسة المقطعية في الدرس اللغوي

1- ينظر: أحمد هبو، الأبجدية "نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب"، دار الحوار، اللاذقية ـ سوريا، ط1، 1984، ص: 25، 27.

2- أشار ابن جني إلى التنغيم بالتطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم في باب : "حذف الاسم على أضرب"، الخصائص، ص: 545.

3- المهدي بوروبة، ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ،رسالة تقدّم بها الطالب لنيل شهادة الدكتوراة في الصوتيات، الجزائر، 2002، ص: 270.

الحديث،وذلك أثناء عرضهم تقطيع الشعر إلى التفعيلات التي تأتلف من الأسباب والأوتاد .[1]

وتتضح كيفية التقطيع في قول **الزمخشري (ت538هـ)** : "**وكيفية تقطيع الأبيات أن تتّبع اللفظ، وما يؤديه اللسان من أصداء الحروف، وتُنكّب عن اصطلاحات الخط جانبا، فلا يلغى التنوين، ولا الحرف المدغم، ولا واو الإطلاق، ولا ألفه، ولا ياؤه ؛ لأنها أشياء ثابتة في اللفظ، وتلغى ألفات الوصل الواقعة في الدَّرج. وألف التثنية التي لاقاها ساكن بعدها، وغير ذلك مما لا يلفظ به وأن تنظر إلى نفوس الحركات مطلقة دون أحوالها** ."[2]

نفهم من هذا الكلام أن التقطيع العروضي يشمل النطق لا الخط ؛ أي ما يؤديه ويحققه النطق؛ فاللغة منطوقة قبل أن تكون مكتوبة. وهذا لا يختلف عمّا هي عليه الدراسات الصوتية الحديثة. وسنرجئ الحديث عن ذلك في موضعه إن شاء الله.

وإذا نقبنا في الموروث النحوي واللغوي القديم، فإنا نجد حضورا للفظة "مقطع" ولكن محمّلة بدلالة غير الدلالة الحديثة، وهي المخرج.فقد وردت عند **ابن جني** بهذا المعنى في أثناء حديثه عن الصوت والحرف يقول: "**اعلم أن الصوت عَرَضٌ يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف باختلاف مقاطعها** ."[3]

1- عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء عمان، الأردن، 2005، ص : 213 . قال الأزهري :وتقطيع البيت في بيوت الشعر تجزئته بالأفعال، تهذيب اللغة، مادة : [ق ط ع]، 1/ 188.

2- الزمخشري، جار الله، القسطاس في علم العروض، تحقيق : فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط2، 1989، ص : 50 .

3- سر صناعة الإعراب، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط2، 2007، 1/ 19، و، أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد الأنصاري المغربي (ت 461 هـ)، الموضح في التجويد، ضبط : أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ

فلفظة المقطع في هذا النص تعني مخرج الصوت . ووردت لفظة المقطع في كتب القرآن وقراءاته، وبعض كتب التفاسير، ويظهر ذلك في تفسيرهم للحروف التي جاءت في أوائل السور، من ذلك قول **الفراء** مجيبا في تساؤله عن مجيء حروف (**المص**)و(**كهيعص**) مختلفة : "**ثم أنزلا منزل با تا ثا وهنّ متواليات ؟ "قلت : إذا ذكرن متواليات دللن على أ ب ت ث بعينها مقطّعة، وإذا لم يأتين متواليات دللن على الكلام المتصل لا على المقطّع .**"[1]

وظف **الفراء** لفظة التقطيع بمعنى الانفصال كمقابل للكلام المتصل، وجاءت بهذا المعنى في إيراده لاختلاف القراءات في قوله تعالى: (**طه**) [2] يقول: "**وكان بعض القراء يقطعوها طِ هِ، قرأها أبو عمرو بن العلاء طاهى هكذا .**"[3]

كانت نتيجة التقطيع في القراءة الأولى مقطعين من النوع القصير، وفي الثانية مقطعين من النوع الطويل .

وشحن **ابن قتيبة** (ت 276 هـ)اللفظة بالدلالة نفسها التي رأيناها عند الفراء، في: "باب الحروف التي أُدّعي على القرآن بها الاستحالة وفساد النظم." يقول: "**فيجوز أن يكون الله عزّ وجلّ أقسم بالحروف المقطعية كلها واقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها، فقال : (الم) وهو يريد جميع الحروف المقطعة .**"[4]؛ أي الحروف مفردة .

=لبنان، 2006، ص: 24، وينظر: الفاكهي النحوي، عبد الله بن أحمد النحوي المكي (ت972)، شرح كتاب الحدود في النحو، تحقيق : المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة، دط، 1993، ص: 72.

1- معاني القرآن، 1/ 248.

2 ـ الآية : 01 من سورة طه .

3- معاني القرآن، 2/ 92.

4- تأويل مشكل القرآن، ص: 298 – 299.

أما إذا ولجنا الموروث الفلسفي، فإننا نلقى حضورا قويا لهذا المصطلح بمعناه الحديث ؛ فقد ورد في غير موضع في محاورة **أفلاطون**. [1] نذكر على سبيل المثال قوله:" **علينا أن نستخدم الحروف للتّعبير عن الأشياء سواء كانت حروفا مفردة عندما نحتاج إليها أم عدّة حروف، وهكذا سوف تكون مقاطع، ومن المقاطع تكون أسماء وأفعالا** ." [2] أي إنّ المقطع هو حصيلة اجتماع صوتين أو أكثر .

ونجد حضورا لمصطلح المقطع عند **أرسطو** الذي قدّم تعريفا له يتناسب وطبيعة اللغة اليونانية، يقول:" **والمقطع صوت غير دال، مركّب من حرف صامت وحرف صائت، فإن الجيم والراء بدون ألف هما مقطع، ومع الألف هما مقطع كذلك** ." [3]

هذا المفهوم للمقطع يتماشى وخصائص اللغة اليونانية ؛ لأن في العربية يمكن للمقطع أن يكون دالاّ، مثال ذلك الأدوات. كما أنّ المقطع على حدّ قول **أرسطو** لا يشترط فيه أن يتركب من مصوّت كما في اللغة العربية، وذلك من قوله: الراء بدون ألف هما مقطع. لأنه في كثير من اللغات يمكن فيها نحو : اللام، الراء، الميم، النون، وحتى الزاي والسين أن تقع قمة إسماع مكان المصوّت، وتكون محور المقطع. [4] وهذا طبعا لا يتناسب واللغة العربية .

1- المحاورة، ص: 105، 110-111-112، 137، 176، 193.

2- نفسه، ص: 176.

3- فن الشعر، ص: 110.

4-DE SAUSSURE Ferdinand, Coure de linguistiquegénérale, Editions TALANTIKIT Béjaia,2002, p : 76 , 78 . و ينظر : ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة : أحمد مختار عمر، عالم الكتب، 1983، ص : 96

كان اليونانيون على وعي بالارتباط الوثيق بين أنواع المقاطع والنبر، وعلى وعي بالفروقات الناتجة عن اختلاف مواضع النبر في الكلمة الواحدة، يظهر ذلك قول سقراط: " **خذ على سبيل المثال كلمة : (ديي فيلوس) ΔIIİØλOç لكي نقلبها من جملة إلى اسم، نحذف حرف (ايونا)I الثاني ونلفظ المقطع الأوسط بصورة خفيضة بدلا من لفظة بصورة حادّة، عكس ذلك يحدث في أسماء أخرى ؛ حيث تضاف الحروف إلى الكلمات بدلا من حذفها، ونغيّر الصوت الحاد بالمنخفض .**"[1]

أي إنّه بعد حذف مصوّت الكسرة تُحوّل هذه الجملة إلى كلمة مشكّلة من ثلاثة مقاطع على النحو التالي:İΔ | İØ | λOç فنبر المقطع الثاني يجعلها دالّة على غير ما تدل عليه بنبر المقطع الأول.

نلاحظ استفادة الفلاسفة المسلمين من الموروث اللغوي اليوناني، وذلك من الدراسة المقطعية التي زخرت بها مؤلفاتهم. والتي أحالوا في مواضع كثيرة منها على الفلاسفة اليونان.

وردت لفظة **مقطع** باشتقاقاتها المختلفة في مواضع عدّة من مؤلفاتهم، وهي تشترك في إبراز الإطار اللغوي لهذه الصيغة.فقد وردت عند **الجاحظ**، وعند **الباقلاني** و**القاضي عبد الجبار وابن عربي** بمعنى الموضع الذي يقطع فيه الصوت ؛ أي بمعنى المخرج .[2]أمّا **إخوان الصفا**، فوظفوا هذه اللفظة بصيغة الجمع للدلالة على تجزئة الكلام، على نحو ما ورد في قولهم: " **إنّ للغة العربية ثمانية قوانين، هي كالأحباس لها، ومنها يتفرع سائرها، وإليها ينسب**

1- محاورة أفلاطون، ص: 112.

2- البيان والتبيين، 1/ 63، وإعجاز القرآن، ص: 270، والمغني في أبواب التوحيد والعدل، 7/ 3، 7/ 12، 21 ،32،

باقيها، كما أنّ لأشعارها ثمانية مقاطع، منها يتركب سائر دوائر العروض وأنواعها ."[1]

وكما وظّف فخر الدين الرازي وظّف المصطلح بصيغة الجمع للدلالة على مواضع الوقوف في القرآن الكريم، يتضح هذا من قوله:" **فصار ذلك وسيلة إلى أن يصيروا مستمعين للقرآن، ومتدبّرين في مطالعه ومقاطعه ."**[2]

مما تقدم، يتضح لنا أن توظيف مصطلح المقطع باشتقاقاته المختلفة لا يختلف عما هو عليه عند النحاة واللغويين القدامى ؛ حيث لم يتعدّ المعنى اللغوي الموضوع له .

الدراسة التي قدّمها كلّ من **الفارابي**، و**ابن سينا**، و**ابن رشد** للمقطع تدنو إلى حدّ كبير من المقطع بمعناه العلمي المعهود في الدرس الحديث ؛ حيث عملوا على مقابلتها بما يناظرها في الدرس العروضي عند قدامى النحاة واللغويين.[3]

تناول **الفارابي** المقطع الصوتي، وهو عنده حصيلة ائتلاف صامت بمصوّت ؛ مستفيدا في ذلك مما نقله من اللغة اليونانية، يقول شارحا كلام **أرسطو**: " **المقطع مجموع حرف مصوت وحرف غير مصوت ."**[4] وهذا التتابع من الصوامت والمصوتات ينتج عنه نوعان من المقاطع تبعا لنوع المصوّت الذي يقترن به الصامت، يقول: " **وكلّ حرف غير مصوّت أُتبع بمصوّت قصير**

1- الرسائل، 1/ 227.

2- التفسير الكبير، 2/ 13.

3- ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص : 275، ويُنظر: المهدي بوروبة، الدراسة المقطعية في التراث "من إشارات النحاة واللغويين إلى تنظير الفلاسفة المسلمين"، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، مجلة دورية لغوية علمية تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، العدد : 1، 2005، ص: 142.

4- الظواهر الصوتية والأدائية عند ابن سينا، ص: 98، نقلا عن : شرح كتاب أرسطو طاليس في العبارة للفارابي، ص: 49.

قُرن به، فإنّه يسمى "المقطع القصير"، والعرب يسمونه "الحرف المتحرك" ؛ من قِبَل أنهم يسمّون المصوّتات القصيرة حركات . وكلّ حرف لم يتبع بمصوّت أصلا ؛ وهو يمكن أن يقرن به، فإنهم يسمونه "الحرف الساكن". وكلّ حرف غير مصوّت قُرن به مصوّت طويل فإنّا نسمّيه "المقطع الطويل" ."[1]

نلاحظ أن **الفارابي** ربط كلامه بكلام النحاة القدامى، مبيّنا أنّ هذه الفكرة كانت سائدة عند النحاة، ولكن باصطلاحات أخرى، هي الحرف المتحرك، والحرف الساكن، فالمقطع القصير عنده يقابله الحرف المتحرك عند النحاة.

وعبّر كل من **ابن سينا** و**ابن رشد** عن المقطع القصير بـ :المقطع المقصور، وعن المقطع الطويل بـ : المقطع الممدود. فقد عرض **ابن سينا** لمفهوم المقطع أثناء عرضه لأقسام أو أجزاء القول، يقول: "**المقطع الممدود والمقصور ما علمت، ويُؤلَّف من الحروف الصامتة، وهي التي لا تقبل المدّ البتّة، مثل : الطاء والباء، والتي لها نصف صوت، وهي التي تقبل المدّ، مثل : السين والراء، والمصوّتات الممدودة التي يسميها مدّات، والمقصورة ؛ وهي الحركات .**"[2]

فالمقطع الممدود يشكّل من صامت ومصوّت طويل أو ممدود كما سمّاه، أمّا المقطع القصير، فهو نتيجة اقتران صامت بمصوّت قصير، وهو الحركة في اصطلاح النحاة واللغويين القدامى.

ربط **ابن رشد** بين النّبر وأنواع المقاطع في قوله: "**وأمّا المقاطع المقصورة فلا يستعملون فيها النّبرات والنّغم ؛ إذا كانت في أوساط الأقاويل، وأما إذا**

1- الموسيقى الكبير، ص: 1075.

2- الشفاء "الشعر"، ص: 65، والظواهر الصوتية والأدائية عند ابن سينا، ص : 99، نقلا عن : الخطابة لابن سينا، ص: 220.

كانت في أواخر الأقاويل ؛ فإنّهم يجعلون المقطع المقصور ممدودا، فإن كان فتحة أردفوها بألف، وإن كانت ضمة أردفوها بواو، وإن كانت كسرة أردفوها بياء ." [1]

كان **ابن رشد** واعيا ومدركا لعلاقة مواضع النبر بطبيعة المقاطع، فقد ذكر أنّ النّبر يكون على المقطع الطويل مهما اختلف موقعه في الكلمة، وذكر أيضا أنّ المقطع القصير قد يُمدّ إذا نُبر، وهذا يتّفق مع ما أقرّه الدرس الصوتي الحديث، وواضح أنّ**ابن رشد** استنبط كلامه هذا من كثرة السماع ؛ لأنه كثيرا ما يذكر قوله :"عند العرب" .

وإذا رجعنا إلى القرن الخامس الهجري مع **أبي الريحان البيروني**، فإنّنا نجده يوظف مصطلحا آخر معرّبا من اللغة اليونانية، هو **السّلابي**، أورده أثناء حديثه عن طبيعة تركيب الأبيات الشعرية في اللغة اليونانية، يقول: **" وكما أنّ أبيات العربية تنقسم لصنفين بعروض وضرب، فإن أبيات أولئك تنقسم لقسمين، يسمّى كل واحد منها رِجلا، وهكذا يسمّيها اليونانيون : أرجلا، ما يتركب منه من الكلمات : سلابي، والحروف بالصوت وعدمه، والطول والقِصر والتوسط ."** [2]

اكتفى البيروني بتعريب المصطلح ليدلّل به على الأجزاء التي تتركب منها الأرجل ؛ أي التفعيلات . أمّا مقصوده من الحروف بالصوت وعدمه، فهو أشباه المصوّتات أو الصوامت، والحروف الصامتة التي يلقى معها الصوت سدّا ،و هي تتباين في الطول والقصر تبعا لطبيعة المصوّتات المقترنة بها.

1- تلخيص الخطابة، ص: 286 – 287.

2- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة أو مرذولة، ص: 110.

عبّر **الغزالي** عن المقطع بلفظة جزء، وذكر ثلاثة أنواع منه دون أن يسمّيها، يقول معرّفا الاسم: "**الاسم المفرد، وهو الذي لا يراد بالجزء منه دلالة على شيء أصلا حين هو جزؤه، كقولك : عيسى، وإنسان، فإنّ جزأيْ عيسى، وهما : عي وسى، وجزأيْ إنسان، وهما : إن و سان، ما يراد بشيء منهما الدلالة على شيء أصلا .**"[1]

أنواع المقاطع التي أشار إليها أبو حامد الغزالي في هذا النص، ثلاثة، هي:

1 ـ مقطع طويل أو ممدود: عيـ | ـسى .

ص م ¯ | ص م ¯ .

2- مقطع متوسّط : إنْ (ص م ص).

3- مقطع طويل مغلق : ـسان (ص م ¯ ص).

لم يكتف **الفارابي** بربط المقطع الصوتي باصطلاحات النحويين، بل تعدّاه إلى ربطه بالدراسة العروضية ؛ محاولا بذلك أن يقابل أنواع المقاطع بالأسباب والأوتاد عند العروضيين، مبيّنا في الوقت نفسه أنّ علماء العربية القدامى كانوا مدركين لهذا الجانب من الدراسة، غير أنهم عبروا عنه باصطلاحات أخرى استمدّوها من البيئة الصحراوية التي عاشوا فيها آنذاك. وحديث **الفرابي** كان كالآتي: "**وكلّ حرف متحرّك أُتبع بحرف ساكن، فإنّ العرب يسمونه "السبب الخفيف". وكلّ حرف متحرك أُتبع بحرف متحرك فإنهم يسمونه "السبب الثقيل". والسبب الثقيل متى أتبع بحرف ساكن سموه "الوتد المجموع" ؛ لاجتماع المتحركين فيه . والسبب الخفيف متى أُتبع بمتحرك سموه "الوتد المفروق" ؛ لافتراق المتحركين فيه بالساكن المتوسط . والسبب**

1- الغزالي، أبو حامد الغزالي (ت 505 هـ)، تهافت الفلاسفة المسمى معيار العلم، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، 1961، ص:77.

الخفيف متى أُتبع بحرف ساكن سمي "الوتد المفرد" ؛ لانفراد المتحرك فيه. والسبب الثقيل متى أتبع بمتحرك فلنسمه نحن "السبب المتوالي"؛ لتوالي المتحركات الثلاثة فيه . وكلّ مقطع طويل فإنّ قوّته قوة السبب الخفيف ؛ فلذلك يعدّ في الأسباب الخفيفة، وكلّ ما لحق الأسباب الخفيفة لحق المقاطع الطويلة . وسائر ما يُركّب تركيبا أزيد مما عددناها ؛ فإنّ جميعها مركّبة إمّا عن أسباب، وإمّا عن أوتاد، وإمّا عنهما جميعا . وكلّ سبب خفيف ؛ فإنّه يقوم مقام نقرة تامّة تعقبهما وقفة، وكذلك كل مقطع طويل . "[1]

ـ السبب الخفيف ← ص م ص، أو ص م ـ .

ـ السبب الثقيل ← ص م ص م.

ـ الوتد المجموع ← ص م ص م ص، أو ص م ص م ـ .

ـ الوتد المفروق ← ص م ص ص م| أو ص م ـ ص م.

ـ الوتد المفرد ← ص م ص ص، أو ص م ـ ص.

ـ السبب المتوالي ← ص م ص م ص م.

ـ المقطع الطويل ← السبب الخفيف = ص م ص، أو ص م ـ .

مثّلنا للأسباب والأوتاد بهذه الطريقة ؛ لأن الفلاسفة عدّوا المصوتات الطويلة أصواتا ساكنة، وهذه الرؤية انعكست في دراستهم للعروض العربي أيضا، يقول **الخوارزمي**: "**الوتد المفروف ثلاثة أحرف، الأول والثالث متحركان وبينهما ساكن، مثل : قال، وعلامته : 0| 0**"[2].وهذه النظرة هي التي دعت **الفارابي** إلى المناسبة بين السبب الخفيف والمقطع الطويل.ودعته أيضا إلى القول إنّ المقطع الطويل قوّته قوة السبب الخفيف، كذلك لما وجد

1- الموسيقى الكبير، ص: 1075 ـ 1076 ـ1077 ـ 1078 ـ 1079.

2- مفاتيح العلوم، ص: 48.

الفارابي السبب الخفيف يشكّل نغمة لا تختلف عن نغمة المقطع الطويل ربط بينهما بقوله:"كل سبب خفيف فإنه يقوم مقام نقرة تامة تعقبها وقفة وكذلك كل مقطع طويل ."[1]

وإذا تتبعنا حديث **ابن رشد** عن طبيعة المقاطع وعلاقتها بالنغم ؛ فإنّنا نجده يقول: "**والنغم تحدث إما مع المقاطع الممدودة أو مع الحروف التي تمتد مع النغم وتتبعها، كالميم والنون .**"[2]

ففي كلام **ابن رشد** إشارة إلى أن المقطع الطويل مشكّل من صامت ومصوّت طويل، ذلك أن المصوتات الطويلة عند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين مارّا بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممرّ ليس فيه حوائل تعترضه، فلا يضيق مجراه كما يحدث مع الأصوات الشديدة[3]، أما مع الأصوات المتوسطة، فنلحظ تقاربا في الأعضاء لا يصل حدّ الإغلاق أو الإحكام، وهذه هي ميزة الأصوات الرخوة في كل اللغات، فالهواء مع هذه الأخيرة لا ينحبس بشكل تام عند نقطة معينة، ولا يُسدّ مجراه ؛ لكنه قد يضيق بدرجات متفاوتة النسب ؛ بحيث يسمح لكمية الهواء المصنّعة للصوت بالمرور دون انقطاع محدثة احتكاكا مسموعا .[4]

ما تمتاز به المصوتات الطويلة والأصوات المتوسطة من امتداد الصوت معها،يمنحها صفة الغنائية التي تقوم على التواصل بين مصدر الصوت ومجراه ونقطة إنتاجه ؛ مما تمنحها قابلية التوازن والتشكل والمرونة والتواصل الاستمراري .[5]

1- أبحاث في أصوات العربية، ص: 104.

2ـ تلخيص الخطابة، ص: 286.

3- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 26.

4- عبد القادر عبد الجليل ،الأصوات اللغوية، ص: 144.

5- نفسه، ص: 149.

مما تقدم، يتّضح لنا جليا تركيز الفلاسفة المسلمين على الجانب الموسيقي والإيقاعي للكلام، ومثل الاهتمام بالموسيقى كان ملحوظا عند فلاسفة اليونان، الذين اهتموا بها اهتماما منقطع النظير، فربطوا دراسة الصوت بالشعر والموسيقى والخطابة .[1]

تميزت الإيقاعات الشعرية بخصائص الإيقاعات الموسيقية نفسها كمّا وكيفا، وتكوّنت من وحدات مختلفة في الطول والقصر ؛ لذلك نلحظ ربط **الفارابي** و**ابن رشد** النغم بامتداد الصوت، والفكرة ذاتها أكّدها **ابن سينا** أثناء حديثه عن الفرق بين النثر الموزون والنثر العادي، يقول: " **وللعرب أحكام أخرى في جعل النثر قريبا من النظم، وهو خمسة أحوال، أحدها : معادلة ما بين مصاريع الفصول بالطول والقصر، والثاني : معادلة ما بينهما في عدد الألفاظ المفردة، والثالث : معادلة ما بين الألفاظ والحروف حتى يكون مثلا، إذا قال : بلاء جسيم، قال بعده : وعطاء عميم، لا عُرف عميم، والرابع : أن يناسب بين المقاطع الممدودة والمقصورة، حتى إذا قال : بلاء جسيم، قال بعده : نوال عظيم، ولم يقل : موهب عظيم، وإن كانت الحروف متساوية العدد .**"[2]

ما تقدّم من كلام، يدعونا إلى القول إنّ **الفارابي** كان يقصد من مساواته بين المقطع الطويل والسبب الخفيف الحالة التي يكون فيها السبب الخفيف مشكّلا من صامت ومصوّت طويل، فبما أنّ المصوّتات الطويلة عندهم هي أصوات ساكنة مسبوقة بصوامت محركة بمصوتات قصيرة ؛ فإن هذا الاعتبار لن يؤدي إلى تغيير في طبيعة السبب الخفيف. واستنادا

1- علم اللغة : مقدمة للقارئ العربي، ص: 85.

2- الظواهر الصوتية والأدائية عند ابن سينا، ص : 100، نقلا عن : الخطابة لابن سينا، ص: 204.

إلى ما تقدّم، يمكن القول إنّ الفلاسفة المسلمين عرفوا خمسة أنواع من المقاطع، سمّوا اثنين منها فقط :

1 ـ المقطع القصير أو المقصور: ص م.

2ـ المقطع الطويل أو الممدود: ص م ـ .

3 ـ مقطع متوسّط من نوع: ص م ص. وهو الذي أشار إليه الفارابي في لفظة أبْكَم: ص م ص | ص م ص. والغزالي في لفظة إنسان: إن (ص م ص)، وهو ما اصطلح عليه بالسبب الخفيف.

4 ـ مقطع من نوع: ص م ـ ص، وهو الذي أشار إليه الغزالي في الجزء الثاني من لفظة إنسان، فهو مكون من : ص م م ص.

5 ـ مقطع من نوع: ص م ص ص، وهو الوتد المفرد.

ذكر **ابن سينا والغزالي** أنّ المقطع لا يؤدي دلالة لا بالذات ولا بالعرض، ونقل **ابن رشد**: "**الجزء من الاسم البسيط، وهو المقطع الواحد من المقاطع التي رُكّب منها الاسم، ليس يدلّ على شيء أصلا لا بالذات ولا بالعرض، مثل : الزاي من زيد .**"[1]

غير أنّ **الفارابي** ذكر أنّه في بعض الحالات قد تعتري المقطع دلالة عرضية غير مقصودة ،يقول: "**أنّ كثيرا من أجزاء الاسم ربّما كان اسما مفردا لم يقصد به حيث أخذ جزءا للاسم المفرد أن يكون جزءا له، على أنّه قد كان اسما، والأمثل قولنا : أبْكَمْ في العربية، فإنّ قولنا : أبْ، وقولنا : كَمْ، كلّ واحد منهما دال على انفراده، لا من حيث هو جزء للاسم، ولكن يُقال في أمثال هذه إنّ أجزاءها دالة بالعرض .**"[2]

1- الشفاء "الشعر"، ص: 26، وابن رشد القرطبي، تلخيص كتاب العبارة، تحقيق: جيرار جهامي، دار الفكر اللبناني، بيروت ـ لبنان، ط1، 1992، ص: 83 – 86.

2- الظواهر الصوتية والأدائية عند ابن سينا، ص: 98، نقلا عن : شرح العبارة للفارابي، ص: 49.

نلاحظ أنّ المثال الذي ساقه الفارابي مشكّل من مقطعين، الأوّل يمثّل اسما، وهو : أب، والثاني أداة استفهام، وهي : كم ؛ فالمقطعان لهما دلالة مستقلّة عن الدلالة التي يؤدّيانها مجتمعين .

أهم ما نستخلصه من هذا المبحث، هو أنّ دلالة المصوتات تتخذ أشكالا متعدّدة، وما ذكرناه ومثّلنا به لا يمثل إلا القليل مما أورده الفلاسفة المسلمون .

وجملة ما تقد في المباحث السابقة أن الفلاسفة المسلمين درسوا المصوتات دراسة أصواتية ودراسة وظيفية، وكانت مادتهم في ذلك القراءات القرآنية واللهجات العربية، وطبعا استفادوا من الدراسة التي أثرت عن النحاة واللغويين القدامى إضافة إلى دراسة الفلاسفة اليونانيين، وهذا ليس غريبا؛ لأن مؤلفات أكثرهم كانت شروحا لمؤلفات النحاة والفلاسفة.

وفيما يلي سنحاول أن ننظر في ما توصّل إليه الفلاسفة المسلمون في ضوء الدرس الصوتي الحديث.

سادسا: معالجة القدامى للمصوتات في ضوء علم الأصوات الحديث:

سنحاول في هذا المبحث أن ننظر في المباحث التي تقدمت في ضوء الدرس الصوتي الحديث.

1 ـ إشكالية المصطلح:

لعلّ أكبر مشكلة تواجه الباحث في أيّ ميدان هي مشكلة تعدّد المصطلحات العلمية، وهذا شأن الدراسات اللغوية أيضا، يقول **عبد الصبور شاهين: "ومن المسلّم به في محيط الدراسات اللغوية العربية أنّ مشكلتها مشكلة مصطلحات، فما زال أساتذة علم اللغة الحديث من العرب يحاولون أن يضعوا ترجمات ومقابلات لما يصادفون من مصطلحات غربيّة، نتجت**

من اختلاف التقسيمات أو تصحيح المدلولات." [1] فعبد الصبور شاهين يشير إلى أنّ بعض الدارسين لجأوا إلى الترجمة للتعبير عن المفاهيم الجديدة للعلوم اللغوية، أو للتعبير عن مفاهيم طرأ عليها تغيير في مدلولها؛ نتيجة تعدّد الأساليب والوسائل المعتمدة في هذا العلم، وكان هذا رأي معظم الدارسين، يقول **عبد القادر الفاسي الفهري**: **"وحين نستقرئ واقع المفردات الفنية اللسانية العربية نجدها تتّجه بالأساس إلى خارج اللغة العربية، إلى الترجمة والتعريب، أكثر من اتجاهها إلى التوالد من الداخل."** [2] وفيما يخص ترجمة المصطلح، فينبغي أن تُوجّه إلى إيجاد ما يقابل معناه في اللغة العربية لا إلى ما يقابله هو كلفظ . [3]

ولأنّ كثيرا من فروع هذا العلم ومصطلحاته وفد إلى اللغة العربية من لغات أخرى ؛ فقد اختلفت آراء الدارسين العرب في قضية المصطلح اللغوي الحديث، كما اختلف موقفهم من المصطلحات التراثية القديمة، فكانوا في ذلك فرقا، فريق قال بعدم الأخذ بالمصطلحات القديمة، نحو عباس حسن الذي رأى أنّه من الخطأ بل من الخطر أن نأخذ بأقوال العلماء القدامى في حياة تختلف عن حياتهم، وفي حاضر علمي لا يمت إلى الماضي إلا بأوهن صلات، فالقدامى لو واجهتهم الحضارة بهذا الزخم من المصطلحات لاجتهدوا أن يوفّقوا بين أحكامهم وبين الحياة المحيطة بهم. [4]

1ـ هنري فليش، العربية الفصحى "نحو بناء لغويّ جديد"، تعريب: عبد الصبور شاهين، طبعة المشرق، بيروت، ط2، دت، ص: 11 .

2ـ عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات العربية نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، ص : 28 .

3ـ ينظر : زروقي عبد القادر، مواضعة المصطلح ولغز المفهوم، مجلة المصطلح، مجلة علمية أكاديمية تعنى بإشكالية المصطلح وتعريبه وترجمته، العدد : 5، جانفي 2007، ص : 165 .

4 ـ بنظر: مصطفى طاهر الحيادرة، من قضايا المصطلح اللغوي العربي، عالم الكتب الحديث، أربد ـ الأردن، ط1، 2003، ص: 91.

إنّ الدرس اللغوي القديم يمثّل الصرح الذي قام عليه الدرس اللغوي الحديث؛ فهذا الأخير لم ينطلق أو يبنى من عدم، وإنما كان للنتائج التي توصل إليها القدامى فضل عليه،والتوفيق بين الدرسين أمر مطلوب كما ذكر عباس حسن ؛ من أجل الوصول إلى نتائج صحيحة.

ذهب فريق آخر إلى ضرورة التعريب من أجل مواكبة التطوّرات الحاصلة؛ بشرط أن تكون الكلمات مطاوعة للقواعد العربية وللأحوال الصرفيّة. [1]أمّا إذا كانت الكلمة العربية غير مطاوعة، وكانت بلفظها الأجنبي أكثر مطاوعة، كان إدخال اللفظ الأجنبي أفصل من العربي، يقول **عبد الجليل مرتاض**: "**ولذلك أجد نفسي أحيانا أستعمل المصطلح الأجنبي كما هو في وضوحه مع ما فيه من تقزّز بالنسبة للطبيعة الصوتية في العربية على أن أستعمله معرّبا أو مترجما وهو غامض أو مضلّل.**" [2]

وفي مقابل ذلك نجد بعض الدارسين يتمسّك بالمصطلحات القديمة مادام مدلولها لم يتغيّر، من هؤلاء **الطيب بكوش**، يقول: "**ولقد حرصنا قدر الإمكان في هذا العمل على ربط الصلة بين الماضي والحاضر، والقديم والحديث، إيمانا منّا بأن لا حديث بلا قديم، ولا فضل لقديم يقنع بنفسه ولا يتطوّر أو يتجدّد مع الزمن، فانطلقنا من المفاهيم القديمة والمصطلحات القديمة، ولم نغيّر منها إلا ما قد يوقع في الغموض والالتباس.**" [3]

تعلّقت الآراء والمواقف السابقة بقضية المصطلح اللغوي ككل، أما ما تعلّق بالمصطلح الصّوتي، فيرى **أبو جناح** أنّ المصطلحات القديمةلا تجري

1ـ من قضايا المصطلح اللغوي العربي، ص: 106 .

2ـ عبد الجليل مرتاض، مباحث لغوية في ضوء الفكر اللساني الحديث، ثالة ـ الأبيار ـ الجزائر، 2003، ص : 113 .

3ـ الطيّب بكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، تقديم : صالح القرمادي، المطبعة العربية، تونس، ط3، 1992، ص: 27 .

على وتيرة واحدة، ولا تطّرد سواء في مجال النحو والصرف، أما في مجال اللغة فهي غير موحدة؛ إذ قد ترد للظاهرة الواحدة مصطلحان أو أكثر، ومردّ ذلك في رأيه هو أنّ المصطلح النحوي واللغوي لم يكن قد استقرّ بعد أو تبلور على صورة ثابتة موحّدة. [1]

ويمكن إرجاع تعدّد المصطلحات للمفهوم الواحد إلى حرية الدارسين في اختيار الألفاظ التي تروقهم لأداء الحقيقة العلمية، وهذا كان مقرّرا لدى الدارسين القدامى. [2] غير أنّ هذا التعدد في المصطلحات لا ينفي قدرة كثير منها على التعبير عن المفاهيم الصوتية الحديثة ؛ لأنها تتميز بالدقة والوضوح اللذين هما أساسيان في علم اللغة الحديث. [3]شريطة ألا يتعدد مدلول المصطلح؛ لأن ذلك يفقده الدقة والتحديد، كما لا ينبغي للمفهوم الواحد أن تتعدد مصطلحاته، فهذا يجعل الظاهرة الواحدة كأنها عدة ظواهر. [4]

رأينا في مقدمة هذا البحث أن الفلاسفة المسلمين ناوبوا بين عدة مصطلحات في الدلالة على المصوّتات، ومن الباحثين من أرجع اختلاف تسميات المصوتات إلى اختلاف نظرة القدامى لها، فسمّوها علّة إذا قابلوها بالأصوات الأصلية، سواء كانت مُشْكَلة بمصوّت أم كانت خالصة للمد، وسمّوها باللين إذا كانت ساكنة، وفي حالة ما إذا كانت مجانسة لما قبلها فتسمى حروف المد. [5] ومن هذه المصطلحات ما وجد طريقه إلى الدرس

1ـ من قضايا المصطلح اللغوي العربي، ص : 54 .

2ـ المصطلح الصوتي التراثي بين الهجر والاستخدام، الملتقى الوطني الأوّل: " التراث والحداثة في اللغة والأدب " البليدة أيام : 07، 08، 09، 1999، ص : 61 .

3ـالمصطلح الصوتي بين الهجر والاستخدام، ص: 56 .

4ـ ينظر : تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006، ص : 106 ـ 107 .

5ـ ينظر : محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، دط، دت، ص : 194 .

الصوتي الحديث، كمصطلح المصوّتة والحركة، ومنها ما لاقى تعديلا أو رفضا، وسنحاول أن نعرض لكل مصطلح على حدة.

أ ـ مصطلح الحركة : لا يخلو مؤلف لغوي سواء كان لنحوي أو لفيلسوف من توظيف لهذا المصطلح، ولعلّ بدايته كانت مع **أبي الأسود الدؤلي** مع أنه لم يوظفه بلفظه، يقول **تمام حسان**: "**ثم سميت العلامات: "الحركات" إشارة إلى حركات فم أبي الأسود.**"[1] وهذا التردد للمصطلح نجده عند المحدثين أيضا من عرب ومستشرقين، فمثلا استعمل **محمود فهمي حجازي** مصطلح الحركة كمقابل لمصطلح الساكن أو الصامت، وأطلقه على المصوّتات بنوعيها القصيرة والطويلة، مع أنّه أحيانا يسمي الطويلة بأسمائها: الفتحة الطويلة، والضمة الطويلة، والكسرة الطويلة.[2] كذلك **عبد الصبور شاهين** فضّل مصطلح الحركة، يظهر هذا من توظيفه إياه بكثرة أثناء علاجه لظاهرة الإعلال والإبدال.[3] أما **حسن ظاظا**، فقد ناوب في الاستعمال بين المصطلحات الثلاث، يظهر ذلك في قوله: "**أمّا الحركات، أو المصوّتات، أو الصوائت، فإنّ الكتابة العربية قد اختصرتها اعتمادا على سليقة القارئ من أبناء هذه اللغة .**"[4]

1ـ مقالات في اللغة والأدب، 2 / 101 .

2ـ علم اللغة العربية، ص : 226 ـ 227 .

3عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة، سوريا، 1980.، ص : 170، 182، 185 ـ 186، 191.

4 ـ حسن ظاظا، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت ـ لبنان، دط، 1976، ص :32 .

ومن الدارسين من ارتضى الحركات مصطلحا مقيدا للمصوّتات الطويلة والقصيرة.[1] **وكمال بشر** أيضا فضّل توظيف مصطلح الحركة، يقول: "**والرأي عندنا أنّ الأَوْلى، بل الصحيح الواجب الأخذ به هو استعمال المصطلح: حركات، وإطلاقه على الفتحة والكسرة والضمة (الحركات القصار)، وهذا هو المنهج المتّبع لدى الرواد من السابقين، وشاع وذاع بين الثقات العارفين من الدارسين المحدثين.**"[2] كما أطلق مصطلح الحركات على المصوّتات الطويلة أيضا، يقول: "**الحركات مصطلح إنما يطلق في القديم على الفتحة والكسرة والضمة (ـَـِـُ)، وهي ما يعرف في الدرس الحديث بالحركات القصار، وأما الحركات الطوال وهي: الألف في قال، والياء في قيل، والواو في يقول، فهي موسومة عندهم بحروف المد واللين،وقد درجنا في العصر الحديث على إطلاق الحركات على الطائفتين معا**"[3].

وفيما يخص المستشرقين؛ الذين عنوا بدراسة اللغة العربية، فإننا نجد منهم من يفضل استعمال مصطلح الحركات، مثل **بارتيلمالبرج** ؛ الذي أطلقه على المصوّتات القصيرة[4]، أمّا **كانتنو**، فوسّع دلالة المصطلح بأن جعله جامعا للمصوّتات الطويلة أيضا، يقول : "**يطلق اسم حركات طويلة**

---

1 ـ التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص : 49، 50 و51، وينظر : نجلاء محمد عمران وزين كامل الخويسي، مختارات صوتية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2007، ص: 162، 163، 164.

2ـ ينظر : كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000، ص : 440 .

3 ـعلم الأصوات، ص: 445، وينظر كمال بشر، فن الكلام، دار غريب، القاهرة، ص: 222، 223، 224، 238.

4ـ علم الأصوات، ص: 25، 27، 70، 71، 81.

على الحركات التي يمتدّ فيها إخراج النفس امتدادا يصير معه مدى النطق بها مساويا لمدى النطق بحركتين بسيطتين . "[1]

كذلك يكثر توظيف هذا المصطلح عند **براجستراسر**، فأحيانا يستعمله للدلالة على المصوّتات القصيرة والطويلة، وفي أحايين أخرى، يشير إلى القصيرة بالحركات المقصورة، وإلى الطويلة بالحركات الممدودة. [2]

مما تقدّم يتضح لنا أن مصطلح الحركة وجد قبولا لدى الدارسين المحدثين، مع أنه وُظّف في أغلب المواضع للدلالة على المصوّتات القصيرة.

ب ـ مصطلح المصوتة: وظّف الفلاسفة المسلمون هذا المصطلح للدلالة على المصوّتات بنوعيها: القصيرة والطويلة، ولعلّ أوّل استخدام له كان مع **الكندي**، فرغم أنّ هذا المصطلح من أكثر المصطلحات دلالة على الخصائص الصوتية للمصوتات؛ التي هي العلو وقوّة الإسماع، فإنّ الدارسين المحدثين لم يحفلوا به كثيرا؛ حيث أنّ توظيفه قليل جدا مقارنة بمصطلح الحركة.

ووظّف هذا المصطلح من الدارسين المحدثين حسن ظاظا، لكنّه ناوب في الاستعمال بينه وبين مصطلح الحركة والصائت. [3] أمّا المستشرق **هنري فليش**، فالتزم بمصطلح المصوّتة، وأطلقه على القصيرة والطويلة. [4]

ت ـ مصطلح العلة : قيّد به الفلاسفة المسلمون ثلاثة أصوات، هي: الألف والواو والياء حالة كونها أصوات مدّ، وحالة كونها شبيهة بها، وإن كان سعد الدين التّفتازاني أشار إلى أنّ الواو والياء إذا تحركت سميت أصوات

1ـ جان كانتنو، دروس في علم أصوات العربية، نقله إلى العربية: صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصاية والاجتماعية، تونس، 1966، ص : 145 .

2 ـ التطور النحوي للغة العربية، ص: 56.

3 ـبراجشتراسرBergastrasser، التطور النحوي للغة العربية، ترجمة : رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ـ مصر، ط2، 1994، ص: 32.

4ـ العربية الفصحى، ص: 35، 43، 44.

علة، وإذا كان ما قبلها مجانسا لها؛ فإنها تسمى حروف مدّ، وقد نبّه عبد الصبور شاهين إلى عدم وفاء مصطلح العلة قديما بمتطلبات الدرس اللغوي الحديث، يقول: "**ومن الواجب أن نذكّر بما سبق أن قلناه من أنّ موقف القدماء من حروف العلة قد ارتبط بشكل الكتابة، فكانت لديهم ثلاثة أحرف ترسم بثلاثة رموز، هي: الألف والواو والياء، مع ملاحظة أنّ رمزي الواو والياء يعبّران في نظرهم عن أربعة أصوات، هي : ياء المد، وياء العلة، وواوالمد والعلة .**"[1]

إنّ عدم دقّة المصطلح قد يوحي بتعدّد الظواهر، وهذا ما حدث مع مصطلح العلّة، فرغم أنّ القدامى فرّقوا بينهما في الاستعمال، إلا أنّهم في المصطلح لم يفعلوا.

وأضاف **عبد الصّبور شاهين** قائلا عن حقيقة مصطلح العلة في الدرس الصوتي الحديث:"**والواقع أنّ الواو والياء المعتلّتين لا تكونان إلا حين تتراكب الحركات ؛ فتنشأ الحركة المزدوجة التي تؤدي إلى وجود الصوت الانتقالي، الذي هو الواو أو الياء.**"[2]

يحدث الصوت الانتقالي عادة بأن تبدأ أعضاء النطق باتّخاذ الوضع الخاصّ بمصوّت من المصوّتات، ثمّ تنتقل مباشرة نحو الوضع الخاص بمصوت آخر، ويتم ذلك بدفعة واحدة من النّفس.[3] وفي الواقع، هذا الوصف لا ينطبق على الواو والياء المعتلّتين؛ لأنه حال النطق بهما يتخذ اللسان الوضع نفسه الذي يتخذه مع الواو والياء المدّيتين لكن مع تضييق أكبر، فلا

1ـ المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، ص: 170.

2ـالمنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، ص:170، وينظر: عبد المقصود محمد عبد المقصود، دور علم الأصوات في تفسير قضايا الإعلال في العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2007، ص:32.

3ـ علم اللغة "مقدّمة للقارئ العربي"، ص : 154 .

نلحظ أنّ اللسان ينتقل من وضع إلى آخر، وبالتالي، فإن صوت العلة غير الصوت الانتقالي.

وجد مصطلح العلّة طريقه إلى الدرس الصوتي الحديث مع **تمّام حسان** ؛ الذي أطلقه على المصوتات القصيرة والطويلة، ونتبيّن ذلك في غير موضع، نذكر كمثال قوله: "**فالفصحى تعترف بثلاثة حروف علّة، يختلف كل منها بين الطول والقصر.**"[1] ومن قوله أيضا:"**وأمّا العلل (وأقصد الحركات والمدود).** "[2]نلاحظ من قوله الأخير، أنّه وضّح مقصوده من أصوات العلة؛ وهذا يعني أنّه يدرك عدم دقة هذا المصطلح في تأدية مدلوله.

ث ـ مصطلح المد واللين : وظّفه القدامى للدلالة على المصوتات الطويلة ؛ ذلك أنّ كلّ صوت مدّ هو صوت لين، ولا ينعكس الأمر، يقول أحد الدارسين: "**كان الخليل مدركا الفرق بين هذه الأصوات، حين تصرف للمد واللين، وحين تكون شبيهة بالساكنة، غير أنّ هذا التمييز ظل رهين الاستعمال ولم يتعد إلى الاصطلاح، إذ استمر الخليل يطلق مصطلح المدّ واللين معبّرا به عن تينك الحالتين اللتين تتأرجح بينهما هذه المجموعة .**"[3]

عبّر الفلاسفة المسلمون بهذا المصطلح في الأغلب عن الألف والواو والياء عندما تكون خالصة للمد؛ أي عندما تكون مصوّتات طويلة؛ فقد ذكروا أنّها سُمّيت كذلك؛ للينها وامتداد الصوت بها.

يبدو أنّ هذا المزج في استعمال المصطلحين: المدّ واللين قد مسّ الدراسة الصوتية الحديثة، يقول **كمال بشر**:"**درج بعضهم وبخاصة في العصر الحديث على الخلط في استعمال المصطلحين: "اللين والمد" وفي كيفيات تطبيقها**

1ـ مناهج البحث في اللغة، ص : 136، 141، واللغة العربية معناها ومبناها، ص: 73.

2ـ مقالات في اللغة والأدب، 1/ 111 .

3ـ ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص: 70-71.

بدقة، نقابل في كثير من الأعمال وفي كثير من المواقع استعمال المصطلح "أصوات اللين"، ويقصدون به الحركات في مجموعها، القصير منها والطويل، في مقابل الأصوات الصامتة، وهذا في رأينا تجاوز علمي غير مقبول ." [1]

ولعلّ **كمال بشر** يقصد بكلامه هذا إبراهيم أنيس، فهو يكاد يكون الوحيد على اطلاعنا، الذي وظف مصطلح اللين للدلالة على المصوتات بنوعيها، يقول: "**وأصوات اللين في اللغة العربية، هي ما اصطلح القدماء على تسميته بالحركات من فتحة وكسرة وضمة، وكذلك ما سمّوه بألف المد، وياء المد، وواو المدّ**" [2].

كذلك وظّف الأستاذ **خير الدين سيب** مصطلح اللين للدلالة على المصوتات [3]، وإن كان في مواضع أخرى يوظف مصطلح المصوتات. [4]

إنّ مصطلح اللين قد يوقع القارئ في خلط كبير إذا ذكر مفردا دون توضيح بذكر نوع الأصوات المقصودة به؛ لذلك يرى كمال بشر أنّه لا مانع من إطلاق مصطلح اللين على المصوّتات الطويلة الثلاث، ولكن شريطة اصطحابه وإردافه بمصطلح المدّ، فيقال: أصوات المدّ واللين . [5] وهذا ما نجده في توظيف **محمود السعران** له ؛ حيث عبّر عن المصوّتات الطويلة بـ: الممدودة اللينة، يقول: "**والصوائت العربية الأساسية، هي : الفتحة، والكسرة والضمة، والألف الممدودة اللينة أو الفتحة الطويلة، كما في قال، والياء**

1ـ علم الأصوات العام، ص: 439-440.

2ـ إبراهيم أنيس ،الأصوات اللغوية، ص:28، ونلحظ مثل هذا الاستعمال عند بعض الدارسين، ينظر : عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، 1998، ص: 164، وفصول في علم اللغة العام، ص: 163.

3ـ خير الدين سيب، الأسلوب والأداء في القراءات القرآنية دراسة صوتية تباينية، دار الكلم الطيّب، دمشق، ط1، 2007، ص: 147.

4ـ نفسه، ص : 148 ـ 149 ـ 150 ـ 151 ـ 155 .

5ـ علم الأصوات، ص: 440.

الممدودة اللينة أو الكسرة الطويلة، كما في بيع، والواو الممدودة اللينة أو الضمة الطويلة، كما في روح ." [1]

إن كان **إبراهيم أنيس** قد فضّل مصطلح اللين، فإنّ غيره قد فضّل مصطلح المدّ ؛ إذ يرى **فاضل المطلبي** أنّ مصطلح المدّ يكاد يكون أكثر المصطلحات تعبيرا عن هذه الطائفة من الأصوات ؛ لإمكان مدّ الصوت بها جرّاء خروج الهواء حرّا إلى خارج الفم من غير حبس أو تضييق [2] .

ونلاحظ أنّ كانتنو يفضّل استعمال مصطلح المدى بدل المدّ، وهو من أهم الخصائص المميزة للمصوّتات [3] .

مما تقدّم، نلاحظ اختلاف وتباين الدارسين المحدثين في توظيف واستعمال المصطلح، فقد أبقى بعضهم على مصطلح الحركة ليدل به على المصوّتات، بينما استعمل بعضهم مصطلح اللين، ومصطلح العلة للدلالة على هذه الأخيرة بنوعيها: الطويلة والقصيرة، ومال أكثر الباحثين المحدثين إلى استعمال مصطلح الصائت. ورأينا في ذلك، أن نقتصر في الاستعمال على مصطلح المصوتة ؛ بما أنّه مصطلح تراثي لم يتغيّر مدلوله، وبذلك نعقد الصلة بين المصطلحات القديمة والمصطلحات الحديثة، وفي الوقت نفسه نعترف بجهد القدامى في هذا المجال. أما مصطلح الحركة، فيبقى مجاله النحو أو الإعراب؛ لأن الحركات في الأصل وُضعت لضبط أواخر الكلم . وفيما يتعلّق بمصطلح العلة، فيمكن أن يكون مجاله الصرف؛ لأنّ الواو والياء سميت كذلك ؛ لتغيّرها واعتلالها، فهي لا تثبت على حال، وإن كان من الصعب الالتزام بمصطلح واحد ؛ لتداخل المستويات اللغوية.

1ـ علم اللغة "مقدمة للقارئ العربي"، ص : 153 .

2ـ غالب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية : دراسة في أصوات المد العربية، منشورات وزارة الثقافة، العراق، 1984، ص:186.

3ـ دروس في علم أصوات العربية، ص: 145-146.

2ـ مخارج المصوّتات :

تعدّ المصوتات بنوعيها أصعب من الصوامت، وهي حقيقة لم يغفل عنها علماء اللغة القدامى، حتى أنّ ابن عربي عبّر عن صعوبتها بمشقّة الجهاد، وكانت كذلك لأسباب أهمّها : [1]

ـ تختلف المصوّتات من لغة إلى أخرى اختلافا كبيرا، ونطقها يكون أصعب من نطق الصوامت، ويتجلى ذلك في نطق اللغات الأجنبية.

ـ يؤدي الانحراف في نطق المصوّتات إلى سوء الفهم، وذلك بسبب القرب الشديد بين بعضها بعض، و لوضوحها السمعي؛ مما يجعل الانحراف في نطقها واضحا؛ ذلك أنّه يصعب وصف المصوتات استنادا إلى مواضعها ؛ لأنّ اللسان الذي يستخدم في نطق المصوتات جميعا سريع الحركة لا يستقرّ في موضع محدّد، هذا بالإضافة إلى ضرورة الانتباه إلى وضع الشفتين عند النطق بهذه الأصوات.

كما اعترف الدارسون المحدثون بأنّ العرب القدامى كانوا موّفقين في وصف علاقة المصوتات القصيرة بالطويل، لكن هذا التوفيق لم يشمل وصفهم للمخارج، يقول كمال بشر: "على الرغم من نظرتهم الثاقبة المتمثلة في ربط الحركات القصار بحروف المدّ؛ لاشتراكها معها في خاصتها الأساسية وهي حرية مرور الهواء عند أدائها، على الرغم من هذا، فإنّهم لم يلتفتوا إليها التفاتا كافيا ينبئ عن موقعها بوصفها مكوّنا مهمّا من مكوّنات النظام الصوتي للغة، لقد نظروا إليها وتعاملوا معها كما لو كانت شيئا عارضا

1ــ ينظر : أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1985، ص: 121،125، وإبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص : 29 ـ 30، حسام البهنساوي، علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004، ص: 112، وينظر: شحدة فارع، جهاد حمدان، موسى عمايرة، محمد العاني، مقدّمة في اللغويات المعاصرة، الجامعة الأردنية، دار وائل، عمان ـ الأردن، ط2، 2003، ص : 68 .

أو تابعا للحروف (الأصوات الصامتة)، ليس لها استقلالا أو كيانا خاصا، نلمس هذا من جملة ما صنعوا معها."[1]

فكمال بشر يرى أنّ القدامى تنبّهوا إلى أهم ما يميّز مخرج المصوتات، وهو حرية مجرى الهواء، ومع ذلك لم يولوها حقّها من العناية مقارنة بالصوامت؛ لأنها في نظرهم لا تستقل عنها؛ فهي تابعة لها، وقد قدم إبراهيم أنيس ملاحظة قريبة من التي قدمها كمال بشر، وذلك بقوله: "ولكنّ القدماء قد ضلوا الطريق السوي حين ظنوا أن هناك حركات قصيرة قبل حروف المد، فقالوا مثلا أنّ هناك فتحة على التاء في كتَاب، وكسرة تحت الراء في كرِيم، وضمة فوق القاف في يقُول، الحقيقة أنّ هذه الحركات لا وجود لها في تلك المواضع."[2] وأضاف: "ويظهر أنّ الكتابة العربية في صورتها المألوفة من وضع فتحة على التاء في كتاب، وكسرة تحت الراء في كريم ،و ضمة فوق القاف في يقول قد جعلت القدماء يتوَهّمون وجود حركات قصيرة في مثل هذه المواضع ."[3]

ولكن المتتبع لما خلّفه الفلاسفة المسلمون، يجد أنّ هذا التصريح لم يتعدّ الرسم، فهم لم يقولوا بوجود مصوّت قصير وبعده مصوّت طويل يضاعفه في الكمية؛ لأنهم كانوا مدركين أنّ المصوّتات الطويلة لا يمكن أن تستقل في النطق وحدها، وإنما تكون مشبعة عن المصوتات القصيرة التي من جنسها، فقد أشار أبو عمرو الداني أنه في الأصل كانت ترسم مطّة (فتحة) فوق الألف والواو والياء إذا تُليت بهمزة، أو صوت مدغم للدّلالة على زيادة مدّها، لكنّ بعض الكتاب كانوا يغلطون ويرسمون المطّة فوق الحرف الذي

---

1 ـ علم الأصوات، ص: 426، 427.

2- إبراهيم أنيس،الأصوات اللغوية، ص: 39.

3- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ، ص: 39، وأبحاث في أصوات العربية، ص: 97، ودور علم الأصوات في تفسير قضايا الإعلال في العربية، ص: 52.

يسبق حروف المدّ [1]، ولعل هذا تعدى إلى المد الطبيعي، فرسموا مصوّتات قصيرة فوق الصامت الذي يسبقه للدلالة على إشباعه وتمكينه . خاصّة ونحن نعلم أنّ كلا من الواو والياء كانا رمزا لثلاثة مجموعات من الأصوات، هي : المدّ واللين والصامتة [2] ؛ لذلك في اعتقادنا وضعت رموز المصوتات القصيرة فوق الحرف الذي يسبق المصوتات الطويلة إشعارا بها .

وقد ذكر الكندي أنّ المصوتات القصيرة لا تظهر في الخط إلا في بعض المواضع، على عكس المصوّتات الطويلة، يقول : "المصوّتة في اللسان العربي إنما تظهر في الخط إذا كانت عظاما، فأما صغارها فإنها لا تظهر في الخط العربي، إلا أن تكون في أول الكلمة، أو الصفة، أو التصريف، أو غير ذلك . فإن واو محمد التي فيما بين الميم والحاء لا تظهر في الخط العربي؛ لأنها صغيرة، وكذلك ألف محمد التي فيما بين الحاء والميم الأخرى ؛ التي فيما بين الحاء والدال، وألفه التي بين الميم والدال، فإنها صغار ؛ فلذلك لم تظهر في الخط العربي. "[3] ولعلّ هذا يؤكد ما قلناه من أنّ الرموز التي وضعت قبل المصوتات الطويلة، لم تكن في الأصل موجودة، وإنما وضعت فقط للدلالة على زيادة مدّها وإشباعها، ومما ينفي وجود مصوّت قصير قبل المصوّتات الطويلة قوله: "ناطق ألفها الكبرى؛ التي بين نونها وطائها [4] . "فلو كان الكندي يعتقد وجود مصوت قصير قبل المصوت الطويل؛ أي الألف، لقال : ناطق ألفها الصغرى والكبرى التي بين نونها وطائها .

1- المحكم في نقط المصحف، ص: 54.

2ـ راشد شقوفي، أصوات المدّ في قراءة نافع، رسالة تقدم بها الطالب لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات العربية، تلمسان ـ الجزائر، 2008 ـ 2009، ص : 56 ـ 57 .

3- رسالة في استخراج المعمى، ص: 236 – 237.

4- نفسه، ص: 239.

أضف إلى ذلك أنّ القدامى كانوا مدركين للطبيعة الواحـدة لأصـوات المد والحركات، وهذا ما سنعرض له في كمية المصوتات، فإنْ كان الرسم قد خانهم في التعبير عن هذه العلاقة، فإنهم من الناحية الصوتية كانوا مـدركين أنّ الألف والواو والياء ما هي إلا امتداد وإشباع للفتحة والضـمة والكسـرة على الترتيب.

لقد التمس بعض الدارسين العذر للقدامى في أنهم لم يتمكّنوا من تحديد مخارج المصوتات تحديدا دقيقا، يقول عبد الغفار حامد هلال:"القدماء ذكروا مكانا واسعا تجري فيه الألف والواو والياء،لكن تحديد المكان لم يكن واضحا لهم؛ لاعتمادهم على مجرّد الذوق، فحدّدوا أماكن وفق تجاربهم الذاتية." [1] أي إنّ اختلاف الأدوات والآليات كان السبب في هذا التباين في النتائج .

ويقول شريف استيتية: "ولكن هذا لا يعني أنّ القوم لم يكونوا يخطئون، بل كانوا وكانوا، ولكنّهم معذورون في أنهم كانوا يعتمدون على النظر والتأمل، ولم يكونوا يعتمدون في دراسة الأصوات على أجهزة وآلات ." [2]
وأرجع بعض آخر ذلك إلى كون الاتصال باللغات الأجنبية لم يكن تاما وقتئذ؛ لذلك لم تبد لهم أهمية التعرف عليها والنظر في أحكامها، لكن لما درست الأصوات في مدارسها الحديثة وضمّت لغات مختلفة بانت أهمية التعرف على خصائص المصوتات. [3]

---

1 ـ عبد الغفار حامد هلال، تجويد القرآن الكريم من منظور علـم الأصـوات الحـديث، مكتبـة الآداب، القاهرة، ط1، 2007، ص: 47.

2ـ شريف استيتية، القراءات القرآنية بين العربيـة والأصـوات اللغويـة مـنهج لسـاني معاصـر، عـالم الكتـب الحديث، الأردن،2005، ص: 44 .

3ـ فصول في علم اللغة العام، ص : 196 .

هذا وذكر الأستاذ خير الدين سيب أنّ وصف القدامى للمصوّتات إذا ما قورن بوصفهم للصوامت هو وصف ناقص، يقول: "ويبقى هذا مقارنة مع ما قدّمه علماء العربية القدامى من تعاريف تخصّ الصوامت ناقصا، إذ لم يعنوا العناية الكافية بهذه الأصوات (المصوتات القصيرة منها والطويلة)."[1]

إنّ مقارنة النتائج التي توصّل إليها القدامى في المصوتات بما توصّلوا إليه في الصوامت أمر لن يؤدي إلاّ إلى الانتقاص من قيمة الدراسة الأولى ؛ ذلك أن المصوّتات والصوامت مع أن كلا منهما صوت لغوي لا يقلّ أهمية عن الآخَر، إلا أنهما يختلفان في طبيعة الممرّ الذي يجري فيه الصوت، وفي الأعضاء المنتجة لكل واحد منهما، أضف إلى ذلك أنّ عدد الصوامت يفوق بكثير عدد المصوتات المدروسة، فمن الطبيعي أن يكون مجال دراستهم للصوامت أكبر من مجال دراستهم للمصوتات، وبالتالي تكون النتائج في الأولى أكثر، ولهذا فالمقارنة غير متكافئة.ومع ذلك فهذا لا يمنعنا من مقابلة وصف القدامى لمخارج المصوّتات بتحديدها ووصفها لدى الدارسين المحدثين.

لقد تجلّت عناية الفلاسفة المسلمين بذكر مخارج المصوتات في حديثهم عن ظاهرة الإعراب، فكان وصفهم موجّها إلى الأعضاء البارزة في النطق، بحيث اتفقوا على أنّ الألف لا يعمل شيء في إخراجها سوى أنها نفس يجري، وكانوا متفقين على أنّ مخرج الياء المدية يكون بتضييق خفيف يسمح بتسرب الهواء بحرية تامة نتيجة انخفاض اللحى أو الفك الأسفل .أمّا فيما يخصّ الضمة الطويلة، فلم نجد عند الفلاسفة المسلمين إشارة إلى دور اللسان في إنتاجها، وهو ارتفاع أقصاه ناحية ما يقابله من الحنك الأعلى، ذلك أنّ حركته خلفية لا يمكن مشاهدتها كما يمكن مشاهدة حركة الشفتين التي تكون

1ـ نفسه، ص : 148 .

بارزة؛ لأنه لم تتهيأ لهم الأدوات والوسائل اللازمة للكشف عن مثل هذه الأمور في جهاز النطق. عدا إشارة ابن رشد إلى أنّ مخرج الضمة قريب من الحلق ، وربما ذلك راجع إلى إحساسه بذلك، ولأن النطق بها يكون فقط بتقريب أقصى اللسان من أقصى الحنك مع ترك فراغ واسع ؛ أي أنه لا يتم بارتكاز عضو على عضو آخر، ولذلك لم يتمكّن ابن رشد من تفسير قرب مخرجها من الحلق.

3ـ كمية المصوتات :

يعبَّر عن الفرق في كمية المصوتات بمصطلحات عدّة، منها: الطول والكمية والاستمرارية والمدى، وكلّها مترادفات تفيد الوقت الذي يستغرقه نطق الأصوات بما في ذلك المصوّتات. [1]

ذكر الفلاسفة المسلمون مثل ابن سينا أنّ كمية المصوتات الطويلة بالنسبة للقصيرة تقدرّ بـ: ضعف أو أضعاف، وقد تباينت آراء الدارسين المحدثين حول كمية المصوتات الطويلة، فذهب **إبراهيم أنيس** إلى أنّ كمية المصوتات الطويلة تساوي ضعف القصيرة، يقول : "**واللغويون عادة يقسّمون أصوات اللين إلى نوعين فقط، قصير وطويل، فالفتحة مطلقة صوت لين قصير، فإذا أصبحت ما يسمّى بالألف الممدودة فهي صوت لين طويل، والفرق عادة بين الفتحة الطويلة والقصيرة هو أنّ الزمن الذي تستغرقه**

1ـ دراسة الصوت اللغوي، ص : 197 وينظر: سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية " فونولوجيا العربية "، ترجمة : ياسر الملاح، مراجعة : محمد محمود غاني، النادي الأدبي الثقافي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1983، ص : 115 .

الأولى ضعف الذي تستغرقه الثانية. [1] وهذا ما ذهب إليه معظم الدارسين المحدثين. [2]

وعبّر بعضهم الآخر ،ومن بينهم من ذكرنا عن كمية المصوّت الطويل بمصوّتين، وهذا ما نلحظه عند **تمام حسان**، فقد عبّر عن المقطع المشكَّل من صامت ومصوّت طويل بالرمز الآتي: ص ع ع [3]أي إنّ المصوّت الطويل مكوّن من مصوّتين قصيرين .كذلك محمود السعران عبّر في التمثيل المقطعي عن الفتحة الطويلة بمصوّتين قصيرين aa، وعن الضمة الطويلة بـ :uu، وعن الكسرة الطويلة بـ :ii [4]

ويرى **شريف استيتية** أنّ المصوّتات الطويلة بمقدار مصوّتين قصيرين، فالفتحة الطويلة بمقدار فتحتين قصيرتين، والكسرة الطويلة بمقدار كسرتين قصيرتين، والضمة الطويلة بمقدار ضمّتين قصيرتين . [5]

مما قدمناه إلى الآن، نلاحظ أنّ كلام ابن سينا كان أكثر دقة مما قدّمه بعض الدارسين المحدثين؛ ذلك أن ابن سينا لم يجزم باستقرار كمية المصوّتات الطويلة؛ بحيث راعى في تحديدها الطول الفونولوجي ؛ حيث يزيد مقدار هذه الأخيرة عندما يليها همزة أو ساكن .و هذا ما أشار إليه بعض الدارسين المحدثين، يقول سلمان حسن العاني : "العامل الزمني لمدى أيّ صوت ليس مطلقا بل إنّه نسبي، والمدى النسبي لصوت ما يعتمد على الوسط الذي يكون

1ـ إبراهيم أنيس ،الأصوات اللغوية، ص : 155.

2 ـ دروس في علم أصوات العربية، ص :151، والتصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص : 51، وتجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث، ص :142، وينظر: منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، ط2001، ص: 126.

3مناهج البحث في اللغة، ص :1170 .

4ـ علم اللغة "مقدمة للقارئ العربي"، ص : 124 .

5ـ القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، ص : 191 .

فيه الصوت كالسرعة التي يتكلم بها الفرد وعوامل أخرى." [1] كذلك ذكر **كانتنو** أنّ كمّية المصوّتات غير ثابتة، وتتوقف على جملة من العوامل يحدّدها المتكلم وطبيعة تركيب الكلمة، يقول: "**ولقد أبان الاختبار الآلي لتنوعات مدّة الوحدات الأصواتية عن فروق مثيرة، فعلينا أوّلا ملاحظة أنّ كمية كل وحدة إنما تتوقف على سرعة المعدّل، فكلّما كان الكلام أسرع اختزل كل صوت، والعكس أيضا صحيح، ثم إن مدة الوحدات الأصواتية تتوقّف على طول المجموعة المنطوقة، فكلما كانت هذه المجموعة طويلة اختزلت كل وحدة، غير أنّ هذه الوحدات تتوقف أيضا على صفاتها الأصواتية الخاصة.**" [2]

معنى ذلك أنّه لا يمكن تحديد كمية المصوتات، أو القول بثباتها ؛ فأمرها محكوم إلى المتكلم والسياق، فكلما كانت السلسلة الكلامية طويلة عمل المتكلم على الاختزال منها، ويكون في المصوتات بالانتقاص من طولها وزمنها، فكمية المصوّتات " **مسألة سماعية ذوقية، تتجدد وتستقيم بكثرة السماع وجودة التلقي من القرّاء المجوّدين، والنطق والرياضة والتمرين.**" [3] وذكر **عبد الكريم الرّديني** أنّ الذي يحدد الطول والقصر في المصوتات هو العرف عند أصحاب اللغة. [4]

1ـ التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ص : 115 .

2 ـ علم الأصوات، ص : 176.

3ـ الأسلوب والأداء في القراءات القرآنية دراسة صوتية تباينية، ص: 240، نقلا عن حسني شيخ عثمان، حق التلاوة، ص: 156.

4ـ فصول في علم اللغة العام، ص : 196 .

إنّ طول المصوّت أو قصره ليس محددا بزمن معيّن في أي لغة، وإنما يتعلّق بسرعة الأداء وبطئه، فالصوت الطويل هو الذي يكون أطول من غيره؛ ولو كان هذا الصوت الطويل يُنطق أقصر منه أحيانا .[1]

وقد سجلت بعض الدراسات القياسات الحاسوبية لكمية المصوتات، وقدّرت بـ: 0,102 ثانية بالنسبة للفتحة، وذلك في كلمة، مثل : كَتَبَ، وبما أنّه يتعذّر نطق المصوّت منعزلا فقد قام الباحث بعزل المقطع الصوتي من التسجيلات، ومن ثمّ عزل المصوّت، وقدّرت كمية مصوّت الضمة بـ : 0,07 ثانية، وهي قيمة أقل مقارنة بزمن نطق الفتحة القصيرة، أما الكسرة، فقُدّرت كميتها بـ : 0,05 ثانية، وهي تمثّل نصف زمن النطق بالفتحة القصيرة.[2]

و أما قياس الفتحة الطويلة في مثل قال، فقدّر بـ : 0,314 ثانية، وقدر مع الضمة الطويلة في كلمة مثل : خمورب : 0,227 ثانية، وفي الكسرة الطويلة قدّر بـ : 0,118 ثانية [3]، أي إنّ مقدار المصوتات الطويلة هو ثلاثة أضعاف المصوتات القصيرة ، وقياس المصوتات في المدّ الزائد مثل: شابّة، فهو : 0,358 ثانية [4] . و ذلك باعتماد متوسّط حساب مجموعة من القراء ،

واعتمد **خليل القرالة** إضافة إلى التجارب المخبرية التجاور بين الأصوات في تحديد كمية المصوتات الطويلة، وأجرى تجاربه على عيّنة تتكون من عشرة أشخاص من طلاب الجامعة الأردنية،و خلص إلى نتائج، أهمها :

1ـ رمضان عبد الله، أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، ط1، 2006، ص : 56 .

2ـ ينظر : بوداود إبراهيمي، القياسات الحاسوبية للكميات الصوتية في التراث، رسالة تقدّم بها الطالب لنيل شهادة الماجستير في اللغة، جامعة وهران، السانيا، 2006 ـ 2007، ص : 103، 105، 108، 111 .

3ـ نفسه، ص : 122ـ 123 .

4ـالقياسات الحاسوبية للكميات الصوتية في التراث، ص : 114، 116 .

1 ـ لا تنحصر كمّية المصوتات الطويلة في ضعف كمية القصيرة، بل تقع في ضعفها في مواطن، وتتجاوز ضعفها في مواطن أخرى، ونسبة زيادة كمية المصوتات الطويلة عن ضعف كمية المصوّتات القصيرة أغلب وأشمل من نسبة حصرها في الضعف .

2 ـ تتفاوت المصوّتات تبعا لملامح المصوّتات المجاورة، وخاصة الصوامت اللاحقة، وذلك من حيث الجهر والهمس، والاستمرار والوقف، والتضعيف وعدمه . [1]

و قد راعى الباحث في تقدير الكمّيّة المتوسط الحسابيّ لعيّنة الدّراسة بوصفه الزمن الذي يمثل كمية المصوّت المراد تحديد كميته [2]، وقد أثبتت الدراسة أنّ المصوّت المتبوع بصامت مجهور أطول منه عندما يكون متبوعا بصامت مهموس ؛ لأنه في الحالة الأولى تتداخل عملية الجهر ؛ فيحصل امتداد لنطق المجهور الأوّل ؛ الذي هو المصوّت الطويل، فالانتقال من مجهور إلى مجهور لا يستدعي تغيير وضعية الأوتار الصوتية، فيبقى الجهر مستمرا . أمّا الانتقال من مصوّت إلى صامت مهموس؛ ففيه تحوّل للأوتار الصوتية من وضعية إلى أخرى، مما يؤدي إلى وجود زمن مفقود تستغرقه الأوتار في عملية التحوّل [3]، إضافة إلى أنّ المصوّت المتبوع بصامت رخو مجهول أطول من المصوّت المتبوع بصامت شديد مجهور [4]، وهذا قريب مما يحصل في الجزم ؛

1محمد شواهنة، القواعد الصرف الصوتية بين القدماء والمحدثين، الوراق، ط2 ،دت، ص :47، وينظر: زيد خليل الفرالة، الحركات في اللغة العربية "دراسة في التشكيل الصوتي، عالم الكتب الحديث، دط، 2004 ، ص :41 .

2 ـ الحركات في اللغة العربية، ص :41.

3ـ نفسه، ص : 42، 43.

4ـ نفسه، ص : 43-44 .

حيث يؤدي هذا الأخير إلى سرعة في أداء نطق الكلمة كاملة، وهذه السرعة تؤثر في زمن أصوت الكلمة كلها. [1] وهذه النتيجة توافق ما توصل إليه كانتنو .

خلاصة القول : إنّ مقادير المصوّتات غير ثابتة، وإنما هي محكومة إلى المتكلّم، وإلى السماع، فلا القدامى ولا المحدثون تمكّنوا من تحديد مقدارها تحديدا مطلقا.

4ـ مدى وعي القدامى لأهمية المصوتات في البناء المقطعي :

عَرَفَ الفلاسفة المسلمون المقطع بمعناه الاصطلاحي في القرن الثالث هجري، عندما عرّفه الفارابي بأنه حصيلة اقتران صامت بمصوت، إما طويل أو قصير، فالمقطع بمفهومه العام كما هو معروف في الدرس اللساني الحديث هو كما عرّفه الفارابي، وإن اختلفت تقسيماته ؛ لعدم شيوعه عند علماء العربية آنذاك [2] . ولعلّة أخرى، وهي مزج الفارابي الدراسة المقطعية بالدراسة العروضية، يقول حسام النعيمي : " لقد كنّا نرجو أن يبقى الفارابي مع الروح الموسيقي للمقطع، وهو يتناول بالدرس تحليل العروضيين الألفاظ في موسيقى الشعر، ولو أنّه أرجع كلّ ما ركّب إلى المقاطع لا إلى الأسباب والأوتاد، ...، لو فعل هذا لكان قدّم لنا دراسة صوتية نفيسة في هذا الباب، كان يمكن أن تحدث تغييرا جوهريا في دراسة موسيقى الشعر وأوزانه ."[3]، فهذا إقرار واضح من هؤلاء الدارسين بالجهد الذي بذله العلماء العرب القدامى في الدراسة المقطعيّة .

و على العكس من هذا نجد من الدارسين المحدثين من ينكر جهود القدامى في هذا المجال ،يقول عبد السلام المسدي : " من الغريب أنّه اطّرد

1ـ الحركات في اللغة العربية، ص : 46 .

2- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص: 275 .

3- أبحاث في أصوات العربية، ص: 110.

لدى الدارسين عموما أنّ العرب لم يعرفوا المقطع بمفهوم : "Sylable"، وهو حكم كاد يصبح مقرّرا لدى كل الناظرين في علم الأصوات كما عرفه العرب وبلوروه ."[1] مع أنّ المنقب في التراث اللغوي القديم يجد أنّ الفلاسفة المسلمين، ونعني منهم البيروني ومن بعده ابن رشد قد عرفوا المقطع بمفهوم"Sylable"، وذلك فيما عرّبوه من اللغة اليونانية: السلابي، وقد بيّنا ذلك في موضع سابق.

ونلاحظ مثل هذا الإنكار أيضا في خلو دراسات بعض المحدثين من أي إشارة أو تمهيد لبذور وأسس الدراسة المقطعية عند القدامى.[2] وسنحاول فيما يلي أن نقابل دراسة الفلاسفة للمقطع بما استقر من معلومات في الدرس اللساني الحديث.

إنّ أوّل ما نلاحظه أو نصادفه في الدراسة المقطعية الحديثة هو تباين آرائهم في مفهوم المقطع الصوتي، فكلّ عرّفه من وجهة اختصاصه، ومع ذلك يمكن تمييز اتجاهات ثلاث في تعريف المقطع:

ـ الاتجاه الأول: عرّف المقطع على أساس عضوي، يتمثل في دُفع النفس التي تصدر لإنتاج الصوت؛ فقد عرّفه كانتنو على أنه: "الفترة الفاصلة بين عمليّتين من عمليات غلق جهاز الصوت، سواء أكان الغلق كاملا أو جزئيا، هي التي تمثل المقطع."[3]

1- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط 2، 1986، هامش ص: 261، والأسلوبية والأداء في القراءات القرآنية دراسة صوتية تباينية، ص : 164 .

2- يُنظر على سبيل المثال: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 160،وعبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص: 213، وعلم الصرف الصوتي، ص: 99، واللغة العربية معناها ومبناها، ص: 71، والعربية الفصحى، ص: 42.

3- دروس في علم الأصوات العربية، ص: 19.

اعتمد أصحاب هذا الاتجاه في تحديد المقطع ما يجري في آلة التصويت أثناء إنتاجه، فلاحظوا أنه عند إحداث المقطع يقع شدّ متزايد في عضلات جهاز التصويت، ثم يأخذ هذا الشّدّ في التناقص تدريجيا، وأيّد هذه النتائج الباحثون في علم الأصوات الفيزيائي؛ الذين اهتدوا عند قياسهم نشاط عضلات التنفس إلى وجود علاقة بين المقاطع وتشنّج العضلات التنفسية .[1] وهذا ما أثبتته أيضا التسجيلات الفونوغرافية لحركة تيّار الكلام؛ حيث أثبتت أنّ عضلات الصدر تُحدث نبضة منفصلة من الضغط لكل مقطع.[2] ويمكن عدّ التعريف الذي قدّمه ابن رشد للمقطع ضمن هذا الاتجاه، عندما قال إن المتكلم لا يستطيع الأداء المستمر؛ فيتوقف توقّفا لا يَحسّ به بين مقطع وآخر.[3]

ـ الاتجاه الثاني: عرّف المقطع على أساس صوتي، ويرى أتباعه أنّ الأصوات ترتبط في تجمّعها بالوحدة الأندى في السّمع والأصفى[4]. أو هو "تتابع من الأصوات الكلامية له حد أعلى أو قمّة طبيعيّة تقع بين حدّين أدنيين من الإسماع "[5]، وقريب من هذا قول ماريو باي من أنّ المقطع قمة إسماع غالبا ما تكون صوت علّة مضافا لها أصوات أخرى عادة تسبق القمّة أو تلحقها، أو تسبقها وتلحقها.[6]

1- الدراسة المقطعية في التراث من إشارات النحاة واللغويين إلى تنظير الفلاسفة المسلمين، ص: 153 .

2- عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص: 214.

3- تلخيص الخطابة، ص: 284.

4- علم الأصوات، ص: 157، ويُنظر : ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص: 285.

5- دراسة الصوت اللغوي، ص: 241، وعبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص: 215، و علم الصرف الصوتي، ص: 99 .

6- أسس علم اللغة، ص: 96 .

إنّ التعريف الأوّل والثاني للمقطع يجعلان عدده مساويا لعدد الأصوات الأندى في السمع، مع أنّ بعضها قوة إسماعه أقل من بعض كالأصوات الرخوة بالنسبة للمتوسطة وللمصوّتة، فهذا يجعل الكلمة مشكّلة من مقطعين أو ثلاثة حسب طبيعة أصواتها، مع أنّها في الواقع مشكّلة من مقطع واحد، وبناء على هذا الكلام، قد تكون قمة المقطع صوتا متوسطا في الإسماع كالأصوات الرخوة مثلا، وهذا غير ممكن في اللغة العربية.

يشير تعريف ماريوباي للمقطع إلى أنّه تجمّع صامت أو أكثر حول مصوّت يشكل قمة الإسماع وهذا يقتضي تحديد درجة علوّ كل صوت، ويمكن إدراج تعريف المقطع عند كل من الفارابي وابن سينا وابن رشد ضمن الاتجاه الصوتي [1]؛ لأنهم كما سبق وقدّمنا عرّفوا المقطع على أنه حصيلة اقتران صامت بمصوت، يكون قصيرا أو طويلا.

ـ الاتجاه الثالث: وهو الاتجاه الوظيفي، عرّف المقطع على أنّه أصغر وحدة في تركيب الكلمة. [2] وعرّفه رمضان عبد التواب أنّه عبارة عن كمية من الأصوات، تحتوي على حركة واحدة، يمكن الابتداء بها والوقوف عليها، ومن وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة، ففي اللغة العربية الفصحى مثلا: لا يجوز الابتداء بمصوّت، ولذلك يبدأ كل مقطع فيها بصوت من الأصوات الصامتة. [3] وهناك تعريف آخر يقول إنّ المقطع: تأليف أصواتي بسيط، متّفق مع إيقاع التنفس الطبيعي ومع نظام اللغة في صوغ مفرداتها. [4] أو هو:

1- الدراسة المقطعية في التراث من إشارات النحاة واللغويين إلى تنظير الفلاسفة المسلمين، ص: 153.

2- دراسة الصوت اللغوي، ص: 241 .

3- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، دار الرفاعي، الرياض، ط1، 1982، ص: 103، وينظر: رمضان عبد التواب، التطور اللغوي : مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة ـ مصر، ط2، 1990، ص: 94.

4- علم الأصوات، ص: 164.

"الدفعة الهوائية التي تضمّ وحدة صوتية بسيطة يمكن تجزئتها إلى أقل منها لبساطتها." [1]

من التعريفات التي قدّمها الدارسون المحدثون للمقطع الصوتي يتأكّد لنا الدور العضوي في إنتاج المقطع؛ والذي يظهر في دُفع النفس التي تصدر لإنتاج الصوت، كما يتجلى الأساس الصوتي في تذبذب مستوى علوّ الأصوات ؛ أي في تباين قيمتها الإسماعية.

ويرى أحمد مختار عمر أنّ علماء اللغة لم ينجحوا في إعطاء وصف شامل ودقيق للمقطع الصوتي وهذا ما أدّى إلى غموضه. [2] ويرى عبد العزيز الصيغ أنّ أكثر التعريفات تقييدا لمعنى المقطع هو التعريف الذي قدّمه حسام النّعيمي من كون المقطع "مجموعة صوتية تبدأ بصامت، يتبعه صائت، وتنتهي قبل أوّل صامت يرد متبوعا بصائت." [3] نلاحظ أن تعريف النعيمي للمقطع جاء واضحا وبسيطا، خاليا من التعقيد.

وللمقطع ثلاثة حدود، هي: [4]

1ـ الحدّ أو الهامش الأول: نقطة الابتداء صوت صامت.

2 ـ نقطة الارتكاز (نواة): صوت مصوّت قصير أو طويل.

3 ـ الهامش الثاني: ذيل المقطع، يتميز بشدّ متزايد في عضلات جهاز الصوّت، يليه شدّ متناقص،

وعليه يكون النطق في بداية المقطع أكثر نشاطا، ثم يتناقص تدريجيّا. [1]

1- علم الصرف الصوتي، ص: 99.

2- دراسة الصوت اللغوي، ص: 241 .

3- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص: 278.

4- من الدارسين من وظف مصطلح الهوامش بدل الحدود، والمقصود بها: الصامت الذي يسبق النواة أو يتلوها، يُنظر: يحيى عبابنة، دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2000، ص: 14.

وتتحدّد أنواع المقاطع حسب طبيعة إغلاق جهاز النطق أو توقّفه عن الأداء، فالإغلاق التام ينشئ مقاطع مغلقة، أما الجزئي فتنشأ عنه مقاطع مفتوحة؛ كون المقطع محصورا بين عملية الإغلاق التام لجهاز النطق أو الإغلاق الجزئي، وعليه، تنقسم المقاطع في اللغة العربية من حيث الفتح والإغلاق، والطول والقصر إلى: [2]

1ـ المقطع القصير المفتوح، وشكله: ص م. وهذا النوع من المقاطع تشترك فيه جميع اللغات. [3]

2ـ المقطع المتوسط المفتوح: وهو ما يتوالى فيه صامت ومصوّت طويل،ورمزه: ص م ـ .

3ـ المقطع المتوسط المغلق : وهو ما تتابع فيه صامتان يتوسطهما مصوّت قصير، ورمزه:ص م ص.

4ـ المقطع الطويل المغلق بصامت، يتشكّل من صامت ومصوّت طويل يليه صامت.

5 ـ المقطع الطويل المغلق بصامتين: ويتكون من صوت صامت ومصوّت قصير يعقبه صوتان صامتان، ورمزه: ص م ص ص.

وأضاف تمام حسان مقطعا تشكيليا سادسا يتكون من مصوّت وصامت، مثاله أداة التعريف. [1]وأضاف عبد القادر عبد الجليل مقطعا آخر من نوع:

1- دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية، ص: 14، وبارتيل مالبرج، علم الأصوات، تعريب : عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، دط، دت، ص: 156.

2- مناهج البحث في اللغة، ص: 173، والمنهج الصوتي للبنية العربية، ص: 40، وعبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص: 220- 221،ووردت هذه الأنواع من المقاطع بغير هذه التسميات، يُنظر: إبراهيم أنيس ،الأصوات اللغوية، ص : 164، والعربية الفصحى، ص: 42 – 43، وعلم الأصوات، ص: 166، والصوتيات العربية، ص: 78، وينظر: محمد حسن محمد جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية "دراسة نظرية وتطبيقية"، مكتبة الآداب، القاهرة، ط5، 2008، ص: 168 -169.

3 ـDictionnaire de linguistique et des sciences du langage , p : 215 , 459 .

ع س س، ومثاله: ادْرس، اكتب. [2] وهذا النوع من المقاطع أساسه الخط وليس النطق؛ لأنه لا يتحقق نطق الألف مفردة، ومتى حاولنا ذلك تستحيل همزة، أضف إلى ذلك أنّ اللغويين القدامى والدارسين المحدثين نصوا على أنّ اللغة العربية لا تبدأ بساكن كما لا تبدأ بمصوّت، وعليه فالمقطع الذي ذكره تمام حسان وعبد القادر عبد الجليل من نوع: ص م؛ أي همزة متحرّكة.

إنّ توالي المقاطع من النوع الأول والثاني والثالث هو الشائع في اللغة العربية، أمّا المقطعان الرابع والخامس، فقليلا الشيوع، ولا يكونان إلا في حالة الوقف. [3] غير أنّ اللغة العربية تضمّنت مقاطع من النوع الرابع؛ أي: ص م م ص في وصل الكلام، وهي قليلة، مثال ذلك: الضّالّين والصّافّات، والحاقّة، فكلها من النوع الرابع.

- الضالين [4]: اضْ| ضـــالْـــ| لـــينْ.

ص م ص | ص م م ص| ص م م ص.

ذكر **عبد الصبور شاهين** أنّ العرب تكره النطق بالمقاطع المفتوحة من نوع : ص م م ؛ لذلك لجأت إلى إغلاقها في كثير من المواضع، وهو ما اتّخذ أحيانا صورة الإسكان، وأحيانا أخرى الإدغام أو الهمز ؛ الذي يعدّ وسيلة للتّخلّص من تتابع المصوّتات . [5]

1- مناهج البحث في اللغة، ص: 173، 177، والعربية الفصحى، ص: 43، والتطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه، ص: 95.

2ـ عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، ط1، 1998، ص : 103 .

3- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 165، وبارتل مالبرج، علم الأصوات، ص: 165 – 166، و حسام البهنساوي، علم الأصوات، ص: 151 – 152.

4- بارتل مالبرج، علم الأصوات، ص: 166.

5- المنهج الصوتي للبنية العربية، ص: 174 – 175.

بعد أن عرضنا شيئا من الدراسة المقطعية عند الدارسين المحدثين سنحاول أن نقابلها بما وقر في الدرس الصوتي القديم، طبعا بعد أن نذكّر بأنواع المقاطع التي أشار إليها الفلاسفة المسلمون ؛ التي هي :

1 ـ المقطع القصير أو المقصور، ويتكوّن من صامت ومصوّت .

2 ـ المقطع الطويل أو الممدود، ويتكوّن من : صامت ومصوّت طويل، أو من ص م ص ؛ لأنّ هذا المقطع يساوي في قيمته السبب الخفيف ؛ لأنه في العروض يُعبّر عن ص م م، وص م ص بالمقطع الطويل، فهو في الأول مفتوح، وفي الثاني مغلق، وهذا ينطبق على الدرس العروضي الحديث ؛ لأنهم ظلوا يمثلون المصوتات الطويلة برمز السكون .

كما أشاروا إلى نوعين آخرين، هما: ص م ص، ومثاله : أَبْكَمْ، وص م م ص، ومثّلوا له بـ : سان من إنْسَان .

قيد الفلاسفة المسلمون النوعين الأولين بمصطلحين، هما : القصير والطويل، في حين لم يقيدوا النوعين الآخرين باسم معيّن كما فعل المحدثون ؛ لأنهم كانوا على وعي أنّ المصوّت هو المحرّك الأساس للمقطع العربي، والمصوّت ينقسم إلى نوعين : قصير ؛ وهو الحركات، وطويل ؛ وهو حرف المدّ؛ لذلك ركّزوا حديثهم واهتمامهم على هذين النوعين، وربطوا النوعين الآخرين بمصطلحات العروض .

وللمقطع أهمية بالغة في سلامة التواصل اللغوي ؛ ذلك أنّ المتكلمين لا يستطيعون الأداء المستمرّ، وإنما ينطقون الأصوات في شكل تجمّعات ؛ هي المقاطع، ولذا يقال أنه في المقطع يخرج الفونيم إلى الحياة . [1] كما أنّ المقطع

1ـ حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ـ مصر، ط1، 2005، ص: 207.

يعدّ من العوامل الرئيسة التي تُعتمد في اكتساب طريقة النطق المماثلة لنطق أهل تلك اللغة . [1]

إضافة إلى ذلك، يساعد التركيب المقطعي كثيرا في اتخاذ القرار بالنسبة لأفضل تحليل لصوت أو لمجموعة صوتية تعدّ من الناحية الصوتية غامضة [2]، وهذا ما قصده **ابن رشد** بقوله أنّ الألفاظ "**إذا وردت مشافهة في الذهن، لم يتمكن الذهن من فهم واحد منها حتى يرد عليه آخر.**" [3]

كما ويعدّ المقطع مجال العمل بالنسبة للنبر والتنغيم واللذين يشكلان قيمة أدائية تتمثل في توضيح مقاصد المتكلم، وكان **ابن رشد** قد أشار إلى أنّ النبر يقع في الكلمة على المصوّت الممدود.

إذا أخذنا في الاعتبار بعض خصائص اللغة العربية، فإننا نجدها من الناحية المقطعية تنبني على جملة من القواعد، أهمها:

ـ المقطع العربي لا يبدأ بصامت ولا بمصوّت، وهذا ما نصّ عليه القدامى والمحدثون أيضا بعدم جواز الابتداء بساكن، فأتوا بهمزة الوصل ليوصل إلى التكلم به.

ـ ذكر **تمام حسان** ـ كما بيّنّا سابقا ـ أنّ الدراسة التشكيلية تفرض مقطعا من نوع: م ص؛ أي: مقطعا مشكّلا من مصوّت وصامت؛ "**لأن الأصوات لا تعترف بأن تبتدئ المجموعة الكلامية بحركة؛ ولذلك تعمد إلى همزة تنشئها قبل هذه الحركة وتتّخذها قنطرة للنطق بها، ثم تعتبر هذه الهمزة من بنية المقطع ؛ فإذا كان هذا المقطع التشكيلي في وسط الكلام، فإن دراسة الأصوات لا تعترف به؛ لأنها تتخذ مع الصحيح قبله قنطرة، كما اتخذت**

1- أسس علم اللغة، ص: 97.

2- دراسة الصوت اللغوي، ص: 239 .

3- تلخيص الخطابة، ص: 284.

همزة الوصل في بداية الكلام، وحركة هذا المقطع من الناحية الصرفية قد تكون كسرة، كما في: (إضرب)، أو فتحة كما في: (اَلولد)، أو ضمة كما في: (اُصْدُق)، وهذا المقطع إن صحّ أن يقع في وسط الكلام، فإنه لايصح أن يقع في وسط الكلمة ." [1]

كلام **تمام حسان** ينفي وجود مقطع مبدوء بمصوّت؛ أي إنّ همزة الوصل التي عدّها مصوّتا هي في الواقع صامت، وهذا ما أكّده في قوله: "**لأنّ الأصوات لا تعترف بأن تبتدئ المجموعة الكلامية بحركة، ولذلك تعمد إلى همزة تنشئها قبل هذه الحركة.** "وذلك لأنّ المصوتات لا تستقل في النطق وحدها.

ـ الكلمة العربية اسما كانت أو فعلا؛ إذا كانت مجردة من الزوائد ؛ فإنها لا تزيد على أربعة مقاطع إلا نادرا، وما زادت عليها ؛ فإنها تكون من ذوات الملحقات الصرفية. [2]

ـ الكلمة العربية قد تتكون من مقطع واحد كما هو الحال في الأدوات، وأكثر الأسماء والأفعال العربية تتكون من مقطعين فأكثر . [3] وهذا النوع من المقاطع أشار إليه الفارابي،كما في أبْ وكم؛ فكلاهما من نوع: ص م ص.

ـ العرب لا تستسيغ النطق بمقاطع مفتوحة متوالية ؛ لذلك فإن النظام المقطعي في العربية يأبى تتابع أربعة مقاطع من نوع ص م [4]، أما في الشعر فإنّ تتابع المقاطع الطويلة المغلقة مرفوض وغير مستساغ وجودها ؛ لذلك يعمدون إلى التخلص منها بالهمز. [5]

1- مناهج البحث في اللغة، ص: 177.

2- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 167، ومناهج البحث في اللغة، ص: 175.

3- علم الأصوات، ص: 168.

4- المنهج الصوتي للبنية العربية، ص: 174، والدراسة المقطعية في التراث من إشارات النحاة واللغويين إلى تنظير الفلاسفة المسلمين، ص: 158.

5- العربية الفصحى، ص: 44 – 45، والمنهج الصوتي للبنية العربية، ص: 174، والمختصر في أصوات اللغة العربية، ص: 170.

ـ ومن الأنساق المقطعية المرفوضة في العربية كلمة تضمّنت في صدرها أو حشوها مقطعا من النوع الخامس (ص م ص ص). [1]

والقواعد التي أسلفنا ذكرها ليست شاملة ولا جامعة لطبيعة تأليف الكلم العربية، بل هناك قواعد وخصائص كثيرة لا يمكن حصرها، وذلك لعدم اطراد القواعد في اللغة، ولأنّ اللغة دائمة التطور والتّجدّد.

إنّ الدراسة المقطعية في أسسها وجذورها من ثمرات الدرس اللغوي القديم، فرغم ضآلتها بالنسبة لما وقر في الدرس اللساني الحديث، إلا أنها كانت دراسة جادّة وافقت إلى حدّ كبير الدرس الحديث مادة ومصطلحا. فإذا كان الفلاسفة المسلمون استقوا هذه المادة عن الفلاسفة اليونان، فإنّ لهم فضل تطبيقها على ما يتناسب وخصائص اللغة العربية، وفضل ترجمتها في وقت مبكّر جدا لم تتوفر فيه لا الإمكانات ولا الظروف المناسبة، وفي مقابل ذلك، نجد أن معظم اللسانيين العرب الذين أنكروا ما توصل إليه الفلاسفة المسلمون في هذا المجال اقتبسوا تعريف المقطع عن الغربيين، فمثلت النتائج التي توصلوا إليها الأرضية التي انطلق منها الدارسون العرب، بل منهم من قال بوجود مقطع من نوع : م ص، وما هذا إلا لتأثرهم بالدرس الغربي .

لقد أفضى بنا البحث في هذا الموضوع إلى جملة من المعلومات والنتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

ـ استفاد الفلاسفة المسلمون من خبرة النحويين القدامى إضافة إلى استفادتهم من الموروث اللغوي اليوناني؛ لأن معظم مؤلفاتهم كانت شروحا لمؤلفات النحاة العرب والفلاسفة اليونانيين، ولذلك نجد الفلاسفة المسلمين المتقدّمين أمثال **الفارابي وابن سينا** يكثرون الاستشهاد بأقوال فلاسفة اليونان، في حين

1- الدراسة المقطعية في التراث من إشارات النحاة واللغويين إلى تنظير الفلاسفة المسلمين، ص: 158.

نجد الفلاسفة المتأخرين أمثال **المعرّي وابن السيد البطليوسي وسعد الدين التفتازاني** يكثرون النقل والاستشهاد بآراء النحاة العرب.

ـ وما نلاحظه أيضا من خلال هذا البحث هو تفوّق الفلاسفة المسلمين في جانب المصطلحات؛ حيث كانت أكثر دقّة وتحديدا لطبيعة ووظيفة المصوّتات بخاصة مصطلح "المصوتة"، والذي أخذنا به في هذا البحث؛ لأنه مصطلح تراثي يفي بالدلالة الحديثة لهذا القسم من الأصوات.

ـ درس الفلاسفة المسلمون المصوتات أصواتيا، بأن عددوها ووصفوا مخارجها، وحدّدوا زمن النطق بها، وموقعيّتها في السلسلة الكلامية، كما درسوها وظيفيا؛ فوصفوا التغيرات التركيبية التي تنحو فيها المصوّتات نحو التماثل أو التخالف ؛ تيسيرا للنطق ورأبا لكل تصدّع قد يصيب أبنية اللغة، ويلاحظ على دراستهم أنّها توافقت وتمايزت مع الدراسة الصوتية الحديثة في بعض الجوانب وتباينت في جوانب أخرى.

ــ لقد مثّل ما توصّل إليه الفلاسفة المسلمون في الدراسة الأصواتية للمصوتات مجالا خصبا للبحوث الصوتية الحديثة؛ إذ مثّلت دراستهم الصرح الذي قامت عليه الدراسة الحديثة على الرغم من الفارق الكبير في الزمن وفي أدوات البحث، وعلى الرغم أيضا من إنكار كثير من الدارسين لهذا الفضل، فقد بيّن لنا البحث أنّ الدارسين المحدثين اعتمدوا كثيرا من النتائج والمصطلحات التي استقرت في الدرس الصوتي القديم كمصطلح الحركة، ومصطلح العلة إضافة إلى مصطلح اللين. كذلك توافقت دراسة القدامى لمخارج المصوتات في خصائصها العامة مع ما أقرّه الدرس الصوتي الحديث، وهذا ما تبين معنا في متن الدراسة . والدراسة المقطعية في أسسها وجذورها من ثمرات الدرس اللغوي القديم، فرغم ضآلتها بالنسبة لما وقر

في الدرس اللساني الحديث، إلا أنها كانت دراسة جادّة وافقت إلى حدّ كـبير الدرس الحديث مادة ومصطلحا.

وختاما نقول إننا لم نستقرئ بعد كل ما قدمه الفلاسفة؛ لأننا لم نستغرق كل ما كتبوه، فما زالت هناك كتب قيّمة يجدر العودة إليها، وهو ما ننصح به زملاءنا الباحثين؛ لاستيفاء الدرس الصوتي عند الفلاسفة حقه المطلوب، ونذكر منها:

ـ رسالة اللثغة ورسالة صنعة الشعر والموسيقا للكندي .

ـ رسالة الموسيقا والألحان لابن سينا .

ـ تفسير ما بعد الطبيعة لابن رشد .

ـ رسالة في الحروف، وكتاب الجمع والتفصيل لابن عربي، والذي ذكر أنّه خصصهما للحديث عن الأصوات وخصائصها.

ـ حاشية الجرجاني على شرح الرضي على الكافية، والرسالة الحرفيّة، وكتاب التصريف، وكتاب شرح المواقف للمّؤلف نفسه.

ـ رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت .

و غياب مثل هذه المؤلفات التي من شأنها أن تثري البحث لا يسمح لنا بالحكم على دراسة القدامى أو على منهجهم، ونقول إنه منقول أو ناقص، فالأولى بنا بدل توجيه الأحكام أن نستقرئ تراثنا القديم، وأن نحاول فهمه انطلاقا من اللغة ذاتها قبل أن نقابل ظاهره بالدراسات الأخرى .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

سابعا: فهرست المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .

1 ـ المراجع بالعربية:

أ ـــ المطبوعة :

1 ـ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، ط4، 1971 .

2 ـ فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط4، 1987 .

3 ـ إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، المعجم الوسيط، دار الدعوة، دط، دت .

4 ـ أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1985 .

5 ـ أحمد هبو، الأبجدية " نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب"، دار الحوار، اللاذقية ـ سوريا، ط1، 1984

6 ـ إخوان الصفا وخلان الوفا، الرسائل، دار صادر، بيروت ـ دط، دت .

7 ـ أرسطو طاليس، فن الشعر، نقله من السريانية إلى العربية : متى بن يونس الُقنّائي، تحقيق: شكري محمد عيّاد، دار الكتاب العربي، القاهرة، دط، 1967 .

ـ كتاب النفس، نقله إلى العربية : أحمد فؤاد الأهواني، راجعه عن اليونانية : جورج شحاته قنواني، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1949 .

9 ـ الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهر الهروي (ت 370 هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق : أحمد عبد الرحمن مخيمر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 2004 .

10 ـ الأصبهاني، أبو بكر أحمد بن الحسن بن مهران (- 381 هـ)، المبسوط في القراءات العشر، تحقيق : جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للثراث، طنطا، 2004.

11 ـ أفلاطون، المحاورات، ترجمة : زكي نجيب محمود، مكتبة الأسرة، القاهرة، دط، 2005.

12 ـ إميل بديع يعقوب، المعجم المفضل في شواهد اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1996 .

13 ـ الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (ت 577هـ)

ـ نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، 2003 .

15 ـ ابن الأنباري، أبو بكر، المذكر والمؤنث، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981 .

16 ـ أوس بن حجر، ينظر : الديوان، تحقيق وشرح : محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ط2، 1999

17 ـ آنخل خانثالت بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، نقل: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ـ مصر، 2006 .

18 ـ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الصحيح، تحقيق : مصطفى بيب البغا، دار ابن كثير، بيروت ـ لبنان، دط، 1987 .

19 ـ براجشتراسر Bergastrasser، التطور النحوي للغة العربية، ترجمة : رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ـ مصر، ط2، 1994 .

20 ـ البطليوسي، أبو محمد عبد الله بن السيد (ت 521 هـ) ، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق : مصطفى السقا، ومحمد عبد المجيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996 .

ـ الحلل في إصلاح الخلل الواقع من كتاب الجمل، تحقيق : سعيد عبد الكريم سعودي، دار الطليعة، بيروت ـ لبنان .

ـ شرح أبيات الجمل، دار علاء الدين، دمشق ـ سوريا، 2000 .

ـ المثلث، تحقيق : صلاح مهدي القرطوسي، دار الحرية للطباعة .

24 ـ البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت 440 هـ)، في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ،دط، دت .

25 ـ ابن باجة، أبو بكر محمد الأندلسي، كتاب النفس، تحقيق : محمد صغير حسن المعصومي، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت .

26 ـ بارتيل مالبرج، علم الأصوات، تعريب : عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، دط، دت .

27 ـ الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب البصري (ت403هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق : أحمد صقر، دار المعارف، مصر ـ القاهرة، ط3، دت .

ـ الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق وتعليق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، دط، دت .

ـ نكت الانتصار لنقل القرآن، تحقيق : محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، القاهرة ـ مصر، 1971 .

30 ـ التفتازاني، مسعود بن عمر سعد الدين (ت 771 هـ)، شرح مختصر التصريف العِزي في فن الصرف، شرح وتحقيق : عبد العال سالم مكرم، ط8، 1997 .

ـ النعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ للزمخشري، مطبعة وادي النيل، القاهرة ـ مصر، ط1، 1986 .

32 ـ تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2001.

ـ مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006

ـ مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986.

35 ـ التوحيدي، أبو حيان (ت 414 هـ)، الإمتاع والمؤانسة، اعتنى به : هيثم خليفة الصعيدي، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت ـ لبنان، دط، دت .

36 ـ ابن تومرت، أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق : عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985 .

37 ـ ابن تيمية، تفسير سورة الإخلاص، راجعه : عبد العالي عبد الحميد حامد، الدار السلفية، بومباي، الهند، ط1، 1986 .

ـ الرد على المنطقيين، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 2003 .

ـ رسالة في الأحرف السبعة، تحقيق : فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، 2008.

ـ مجموع الفتاوى، جمع : عبد الرحمن بن محمد قاسم بمساعدة الله، المكتب التعليمي السعودي، المغرب، مكتبة المعارف، الرباط ـ المغرب، دط، دت .

ـ نقض المنطق، تحقيق : محمد بن عبد الرزاق حمزة، وسلمان بن عبد الرحمن الصنيع، تصحيح: محمد خامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ـ مصر، ط1 .

42 ـ الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت 816هـ)، التعريفات، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث .ط، دت .

ـ الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تعليق : رشيد أعرضي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 2007 .

44 ـ الجمحي، محمد ابن سلام (ت231هـ)، طبقات فحول الشعراء مع مقدمة تحليلية للكتاب ودراسة نقدية منذ الجاهلية إلى عصر ابن سلام، إعداد : اللجنة الجامعية للتراث العربي، دار النهضة العربية، لبروت، لبنان، دط، دت .

ـ الخصائص، تحقيق : محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان، 2006.

ـ سر صناعة الإعراب، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط2، 2007.

ـ كتاب العروض، تحقيق : أحمد فوزي الهيب، دار القلم، الكويت، ط2، منقحة، 1989 .

48 ـ جابر بن حيان (ت 199 هـ)، الرسائل، 30 كتابا ورسالة في الكيمياء والإكسير والفلك والطبية والهيئة والفلسفة والمنطق والسياسة، إعداد : أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 2006 .

49 ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (- 255هـ)، البيان والتبيين، شرح : موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط2، 2003.

50 ـ جان كانتنو، دروس في علم أصوات العربية، نقله إلى العربية : صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الإقتصاية والاجتماعية، تونس، 1966 .

51 ـ ابن حزم (ت 465 هـ)، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تحقيق: إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان، ط1، 1900 .

52 ـ حسن ظاظا، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت ـ لبنان، دط، 1976 .

53 ـ حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ـ مصر، ط1، 2005 .

ـ علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004.

55 ـ حسام سعيد النعيمي، أبحاث في أصوات العربية، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد ـ العراق، ط1، 1998

56 ـ الحلاج، الديوان ومعه أخبار الحلاج وكتاب الطواسين، تحقيق : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط2، 2003 .

57 ـ ابن خلدون، عبد الرحمن (ت808هـ)، المقدّمة، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، 2004

58 ـ الخوارزمي، أبو عبد اله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت 387 هـ)، مفاتيح العلوم، مراجعة وتعليق : محمد كمال الدين الأدهمي، ط1، 1930 .

59 ـ الخوارزمي، القاسم بن الحسين (ت617هـ)، ترشيح العلل في شرح الجمل، إعداد: عادل محسن سالم العميري، المملكة العربية السعودية، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكّة المكرّمة ـ جامعة أم القرى، ط1، 1998 .

60 ـ خير الدين سيب، الأسلوب والأداء في القراءات القرآنية دراسة صوتية تباينية، دار الكلم الطيّب، دمشق، ط1، 2007 .

61 ـ دي لاسي De Lacy O’eary، علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ترجمة: وهيب كامل، زكي علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دط، 1962 .

62 ـ الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان (ت 444 هـ)، المحكم في نقط المصحف، تحقيق : عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، سوريا، 1960.

63 ـ أبو ذؤيب، الديوان، تحقيق وشرح : أنطونيوس بطرس، دار صادر، بيروت، ط1، 2003 .

64 ـ رؤبة، الديوان، اعتنى بتصحيحه وترتيبه : وليم بن الورد البروسيّ، دار ابن قتيبة، الكويت .

65 ـ ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق وتقديم : عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، دط، دت .

ـ تلخيص كتاب العبارة، تحقيق : جيرار جهامي، دار الفكر اللبناني، بيروت ـ لبنان، ط1، 1992 .

ـ تلخيص كتاب النفس، تحقيق : ألفرد. ل عبري، مراجعة : محسن مهدي، المكتبة العربية للتراث، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، د.ط، 1994

ـ رسالة السماع الطبيعي، تقديم : رفيق العجم، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1994

ـ الضروري في صناعة النحو، تحقيق : منصور علي عبد السميع، تقديم : محمد إبراهيم عبادة، دار الفكر العربي، 2008 .

70 ـ رمضان عبد التواب، التطور اللغوي " مظاهره وعلله وقوانينه"، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، 1983.

ـ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، دار الرفاعي، الرياض، ط1، 1982.

72 ـ رمضان عبد الله، أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات، مكتبة بستان المعرفة، الاسكندرية، ط1، 2006

73 ـ الرازي، فخر الدين محمد بن عمرو بن الحسن بن الحسن ابن علي التميمي البكرى (ت 604هـ)، التفسير الكبير أو "مفاتيح الغيب"، تحقيق : عماد زكي البارودي، المكتبة التوقيفية، مصر، دط، دت .

ـ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق : نصر الله حاجي، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ط1 .

75 ـ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، دراسة وتقديم : عبد الفتاح البركاوي، دار المنار، طبع جديدة، د.ت .

76 – الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق : علي شيتري، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، 1994 .

77 ـ الزركلي، خير الدين،الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط7، 1986 .

78 ـ الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو (– 538هـ)، القسطاس في علم العروض، تحقيق : فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت ـ لبنان، ط2، 1989 .

ـ المفصل في صنعة الإعراب، تقديم : إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999.

80 ـ زهير بن أبي سلمى، الديوان، اعتنى به وشرحه : حمدو طمّاس، دار المعرفى، بيروت ـ لبنان، ط2، 2005 .

81 ـ زيد خليل الفرالة، الحركات في اللغة العربية "دراسة في التشكيل الصوتي، عالم الكتب الحديث، دط، 2004

82 ـ ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب (- 244هـ)، إصلاح المنطق، تحقيق : أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط4، دت .

ـ كتاب الإبدال، تحقيق : حسين محمد محمد شرف، مراجعة : علي النجدي ناصف، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطالع الأميرية، دط، 1978 .

84 ـ السكاكي، أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت626هـ)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، دط، دت .

85 ـ سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية " فونولوجيا العربية "، ترجمة: ياسر الملاح، مراجعة : محمد محمود غاني، النادي الأدبي الثقافي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1983.

86 ـ السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 581هـ)، نتائج الفكر في النحو، تحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1992 .

87 - سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ)، الكتاب، تعليق : إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999 .

88 ـ ابن سينا، أبو علي الحسين (- 428هـ)، رسالة أسباب حدوث الحروف، مراجعة: طه عبد الرءوف سعيد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1978.

ـ رسالة النفس : " الفن السادس من الطبيعيات من كتاب الشفاء"، المؤسسة الجامعية للدراسات الإعلامية، بيروت ـ لبنان، منشورات التراث العربي والإسلامي، باريس، فرنسا، دط، 1988 .

ـ عيون الحكمة، تحقيق : عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت ـ لبنان، ط2، 1980 .

91 ـ شحدة فارع، جهاد حمدان، موسى عمايرة، محمد العاني، مقدّمة في اللغويات المعاصرة، الجامعة الأردنية، دار وائل، عمان ـ الأردن، ط2، 2003

92 - ابن شريح، أبو عبد الله محمد (-476هـ)، الكافي في القراءات السبع، تحقيق وتعليق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا-القاهرة، دط، دت.

93 ـ شريف استيتية، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية منهج لساني معاصر، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2005 .

94 – الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت 548 هـ)، الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا، وعلي حسن قاعور، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، 1997.

95 ـ شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، دت .

96 - طرفة بن العبد، الديوان، دار صادر، بيروت، دط، دت .

97 ـ الطيّب بكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، تقديم : صالح القرمادي، المطبعة العربية، تونس، ط3، 1992 .

98 ـ عبد الجبار الأسدي، القاضي أبو الحسن (ت 415 هـ)، المغني في أبواب التوحيد والعدل، قوم نصه : إبراهيم الأبياري، إشراف : طه حسين، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومين الإدارة العامة للثقافة، دط، دت .

99 ـ عبد الجليل مرتاض، مباحث لغوية في ضوء الفكر اللساني الحديث، ثالة ـ الأبيار ـ الجزائر، 2003 .

100 ـ عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط 2، 1986 .

101 ـ عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمرو العلاء، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت .

ـ المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة، سوريا، 1980.

103 ـ عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، 1998
104 ـ عبد الغفار حامد هلال، تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007 .
105 ـ عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء عمان، الأردن، 2005.
ـ علم الصرف الصوتي، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، ط1، 1998 .
107 – عبد المقصود محمد عبد المقصود، دور علم الأصوات في تفسير قضايا الإعلال في العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2007 .
108 ـ عبد المنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مكتبة مادبولي، دط، دت
109 – العجاج، الديوان، تحقيق : عبد الحفيظ السلطي، مكتبة أطلس، دمشق، حلب، دط، دت. 1971
110 ـ ابن عربي، الرسائل، وضع حواشيه : محمد عبد الكريم الثمري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 2008 .
ـ شجرة الكون، تحقيق : رياض العبد الله، دار القلم، بيروت ـ لبنان، ط2، 1985.
ـ الفتوحات المكية، تحقيق : عثمان يحيى، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالتعاون مع معهد الدراسات لعليا في السوربون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994 .
ـ المبادي والغايات في معاني الحروف والآيات، ويليه :" العقد المنظوم في تحوية الحروف من الخواص والعلوم"، تحقيق : سعيد عبد الفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 2006 .
114 ـ العسكري، أبو هلال، جمهرة الأمثال، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ط2، دت .
115 ـ عصام الدين محمد علي، بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة من أواخر القرن الأول وحتى منتصف اقرن الرابع الهجري، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1986
116 ـ علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2005 .

117 ـ الغزالي، أبو حامد الغزالي (ت 505 هـ)، تهافت الفلاسفة المسمى معيار العلم، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، 1961 .

ـ جواهر القرآن، تحيقق : محمد رشيد رضا الفياتي، دار إحياء العلوم، بيروت ـ لبنان، 1986.

ـ المنخول من تعليقات الأصول، تحقيق : محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ط2، 1980

120 ـ غالب فاضل المطلي، في الأصوات اللغوية : دراسة في أصوات المد العربية، منشورات وزارة الثقافة، العراق، 1984 .

ـ البحث اللغوي عند إخوان الصفا، مطبعة الأصالة، مصر، ط1، 1991 .

122 ـ الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله (ت 207 هـ)، معاني القرآن، تقديم وتعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان .

123 ـ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، إعداد : محمد عبد الرحمن المرعشلي، مادة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط1، 1997

124 ـ الفارابي، أبو نصر(ت 339 هـ)، كتاب الحروف، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت ـ لبنان، 1970 .

ـ الموسيقى الكبير، تحقيق وشرح : غطاس عبد الملك خشبة، مراجعة : محمود أحمد الحنفي، دار الكتاب العربي، القاهرة، دط، دت .

126 ـ ابن فارس، الحسن بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ط1، 1991 .

127 ـ الفاكهي النحوي، عبد الله بن أحمد النحوي المكي (ت972)، شرح كتاب الحدود في النحو، تحقيق : المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة، دط، 1993 .

128 ـ ابن قتيبة الدينوري، أدب الكتاتب، اعتنى به : درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، دط، 2004 .

ـ تأويل مشكل القرآن، تحقيق : أحمد صقر، نكتبة دار التراث، القاهرة، طبعة جديدة منقحة، 2006 .

ـ الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر .

131 ـ القرطبي، أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد الأنصاري المغربي (ت 461 هـ)، الموضح في التجويد، ضبط : أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 2006

132 – القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (-624هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، دط، دت .

133 ـ ابن قيّم الجوزية، بدائع الفوائد، تحقيق : سيد عمران، عامر صلاح، دار الحديث، القاهرة، 2002 .

134 ـ كثير عزة، الديوان، شرح : إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان، 1971 .

135 ـ كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000

ـ فن الكلام، دار غريب، القاهرة، مصر، 2003 .

137 – الكندي يعقوب بن اسحق (ت 260 هـ)، رسالة في استخراج المعمى، ضمن كتاب علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب، تحقيق : محمد مراياتير، ويحيى مير علم، ومحمد حسان الطيان، تقديم : شاكر القحام، مطبوعات مجمع اللغة العربية بمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دط، دت .

138 ـ كيس فيرستينغ، عناصر يونانية في الفكر اللغوي العربي، ترجمة : محمد كناكري، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2003 .

139 ـ المبرد أبو العباس، (ت285هـ)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 1993.

140 ـ المجاشعي، أبو الحسن علي بن فضال (ت479هـ)، النّكت في القرآن الكريم، تحقيق : عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 2007 .

141 ـ محمد حسن محمد جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية "دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط5، 2008 .

142 ـ محمد شواهنة، القواعد الصرف الصوتية بين القدماء والمحدثين، الوراق، ط2، دت .

143 ـ محمد صالح الضالع، علم الأصوات عند ابن سينا، دار المعرفة الجامعية، مثير الإسكندرية، دط، دت .

144 ـ محمد عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، موسوعة فلسفية شاملة، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 2000 .

145 محمد عطية الأباشي، الآداب السامية مع بحث مستفيض عن اللغة العربية وخصائصها وعروقها وأسرار جمالها، ط2، 1984 .ـ

146 ـ محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، عين ميلة ـ الجزائر، دط، دت .

147 ـ محمود السعران، علم اللغة : مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة، بيروت، لبنان، د.ت .

148 ـ محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية " مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية "، مكتبة غريب، الفجالة ـ القاهرة . دط، دت .

149 ـ محي الدين صبري الكردي، جامع البدائع، حقوق الطبع محفوظة للناشر، ط1، 1921 .

150 ـ مسلم، ابن صحاح أبو الحسن النيسابوري، الصحيح، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، دط، دت .

151 ـ مصطفى جمال الدين، البحث اللغوي عند الأصوليين، دار الهجرة، إيران، فم، ط2، 1405هـ .

152 – مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، اِعتنى به : درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 2006 .

153 ـ مصطفى طاهر الحيادرة، من قضايا المصطلح اللغوي العربي، عالم الكتب الحديث، أربد ـ الأردن، ط1، 2003 .

154 ـ المعري، أبو العلاء (ت 449هـ)، رسالة الصاهل والشاحج، تحقيق : عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، ط2، 1984 .

ـ رسالة الغفران، وضع حواشيه، علي حسين فاغور، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، 2001 .

ـ رسالة الملائكة، إشراف : لجنة من العلماء، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، دط، دت .

ـ شرح اللزوميات، تحقيق : سيدة حامد، ومنير المدني، وزينب القوصى، وفاء الأعصر، مراجعة حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992 .

158 ـ منصور محمد الغامدي، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، ط1، 2001 .

159 ـ ابن منظور المصري(ت711هـ)، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، د ط، دت .

160 – ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة : أحمد مختار عمرو، عالم الكتب، القاهرة، 1983 .

161 ـ نجلاء محمد عمران، زين كامل الخويسي، مختارات صوتية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2007 .

162 ـ هنري فليش، العربية الفصحى " نحو بناء لغويّ جديد "، تعريب : عبد الصبور شاهين، طبعة المشرق، بيروت، ط2، دت .

163 ـ يحيى عبابنة، دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية، دار الشروق، عمان ـ الأردن، ط1، 2000 .

ب ــ المخــطوطــات :

1 ـ أمينة طيبي، الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين، رسالة تقدمت بها الطالبة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2004-2005 .

2 ـ بوداود إبراهيمي، القياسات الحاسوبية للكميات الصوتية في التراث، رسالة تقدّم بها الطالب لنيل شهادة الماجستير في اللغة، جامعة وهران، السانيا، 2006 ـ 2007 .

3 ـ ختير عيسى بوخاتم مولاي علي، الصوائت عند فخر الدين الرازي " دراسة تطبيقية في التفسير الكبير " جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس ـ الجزائر، 2008 ـ 2009 .

4 ـ راشد شقوفي، أصوات المدّ في قراءة نافع، رسالة تقدم بها الطالب لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات العربية، تلمسان ـ الجزائر، 2008 ـ 2009 .

5 ـ فتيحة باريك، الجوانب اللغوية في رسائل ابن حزم الأندلسي، مذكرة تقدمت بها الطالبة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، تلمسان ـ الجزائر، 2008 ـ 2009 .

6 ـ فاطمة بورحلة، الظواهر الصوتية والأدائية عند ابن سينا، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الصوتيات العربية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2008 – 2009 .

7 ـ المهدي بوروبة، ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ،رسالة تقدّم بها الطالب لنيل شهادة الدكتراة في الصوتيات، الجزائر، 2002 .

ت ــ الدوريات :

1 ـ أسكندر نايف، ابن سينا والموسيقى، ترجمة : نايف أبو كرم، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية صدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق ـ سوريا، 1984، العددان/ 15- 16.

2 ـ زروقي عبد القادر، مواضعة المصطلح ولغز المفهوم، مجلة المصطلح، مجلة علمية أكاديمية تعنى بإشكالية المصطلح وتعريبه وترجمته، العدد : 5، جانفي 2007 .

3 ـ شابحة حمدون، أثر الترجمة في الحركة الثقافية في العهدين الأموي والعباسي إلى أيام المأمون، مجلة الأثر، جامعة ورقلة ،الجزائر، العدد : 08 .

4 ـ عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات العربية نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق، وقائع ندوة جهوية، أبريل، 1987، الرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط1، 1991

5 ـ المهدي بوروبة، الدراسة المقطعية في التراث " من إشارات النحاة واللغويين إلى تنظير الفلاسفة المسلمين "، مجلة مجمع اللغة الجزائري للغة العربية، مجلة دورية لغوية علمية تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، العدد : 1، 2005 .

ـ المصطلح الصوتي التراثي بين الهجر والاستخدام، الملتقى الوطني الأوّل : " التراث والحداثة في اللغة والأدب "، البليدة أيام : 07، 08، 09، 1999 .

2 ــ المراجع بالأجنبية :

1 - DE SAUSSURE Ferdinand , Coure de linguistique générale, Editions TALANTIKIT Béjaia , 2002

2- Dubois Jean, dictionnaire de linguistique et des sciences du language, Larousse .

ثامنا: فهرست الموضوعات:.

تقديم	3
أولا: أصول التفكير الصوتي عند الفلاسفة المسلمين.....	4
ثانيا: مصطلحات المصوتات	19
1 ـ مصطلحات المصوتات القصيرة.....	20
أ ـ الحركة.....	20
ب ـ المصوتة.....	23
2 ـ مصطلحات المصوتات الطويلة.....	25
ثالثا: الدراسة الأصواتية للمصوتات.....	32
1 ـ عدد المصوّتات	32
2 ـ مخارج المصوتات	40
أ- مخرج المصوتات القصيرة	40
1 ـمصوّت الفتحة.....	40
2- مصوّت الكسرة.....	42
3 - مصوّت الضمة.....	43
ب- مخرج المصوتات الطويلة	44
1- الفتحة الطويلة.....	44
2- مخرج الكسرة الطويلة.....	46
3- مخرج الضمة الطويلة.....	46
3 ـ كمية المصوّتات.....	48
4 ـ موقعية المصوّت من الصامت	52
5- المصوتات خفّة وثقلا	55
رابعا : الدراسة الوظيفية للمصوتات	58
1 ـ التناوب بين المصوتات	58
أ ـ التناوب بين الفتحةو الكسرة.....	59

ب ـ التناوب بين الفتحة والضمة.....	63
ت- التناوب بين الكسر والضم.....	64
ث ـ التناوب بين المصوتات الثلاثة.....	65
2 ـ كراهية توالي المصوتات.....	66
3ـ مصوّت التخلص من التقاء الساكنين	78
4 ـ إبدال المصوّت من الصامت.....	82
5 ـ المدّ والقصر في المصوتات.....	85
خامسا : المصوّتات وأثرها في الدلالة	88
1 ـ المصوّت علامة إعرابية.....	89
2 ـ أهمية المصوّت في بنية الكلمة.....	98
3 ـ المصوّت وأثره في التقطيع الصوتي	105
سادسا:معالجة القدامى للمصوتات في ضوء علم الأصوات الحديث...	118
1 ـ إشكالية المصطلح.....	118
2 ـ مخارج المصوّتات.....	129
3 ـ كمية المصوتات.....	134
4- مدى وعي القدامى لأهمية المصوتات في البناء المقطعي.....	139
سابعا: فهرست المصادر والمراجع.....	152
ثامنا: فهرست الموضوعات.....	166

دراسة المصوتات العربية عند الفلاسفة المسلمين

فرح ديدوح

جاء العمل في مائة وثلاثة وثلاثين (133) صفحة، مقسما في سبعة (07) أقسام، بحيث يقدم لنا هذا الكتاب صورة ناصعة عن معالجة الفلاسفة المسلمين للصوائت أو المصوتات العربية بفرعيها القصير والطويل ومن الناحيتين الأصولية والتشكيلية. والدراسة محاولة هادفة أنارت جانبا هاما من تراثنا الصوتي،ابتكره الفلاسفة المسلمون، وهو جانب لم ينل العناية الكافية من قبل النحاة واللغويين والقراء، فقد شاب تناولهم للصوائت العربية كثير من الغموض والاضطراب، في حين ترك لنا الفلاسفة المسلمون تناولا علميا رائدا للمصوتات العربية ومن جميع الجوانب، فكان عملهم حلقة مشرقة سدت نقصا في معالجة النحاة واللغويين في هذا الجانب.

للبحث المقدم أهمية في حقل الدراسات الصوتية التراثية، حيث اختارت الباحثة الجهود الصوتية عند الفلاسفة المسلمين مركزة عنايتها إلى جمع أفكارهم وأرائهم حول المصوتات العربية.

من ملخص البحث

منشورات
المجلس الأعلى للغة العربية

شارع فرانكلين روزفلت الجزائر
ص ب 575 الجزائر ديدوش مراد
الهاتف: 24 07 23 21 213+
الفاكس: 07 07 23 21 213+
www.csla.dz